التَّفَاؤُلُ

مَقْصَدٌ شَرْعِيٌّ

تصنيف

عبد الرحمن بن نايف بن مطر الأسلمي الشمري

عفا الله عنه

حقوق الطبع غير محفوظة
والعِلم مُشاع بين الناس

طبعة شهر شوال
١٤٤٠ هجري

قال الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ: (نشر العِلم من أفضل أعمال البرّ). [النبلاء (٨ / ١١٤)]

وقال محمد بن علي البعلي الحنبلي (ت ٧٧٧ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: (إن العِلم أفضل ما صُرفت إليه الهمة، وأجمعت عليهِ عُلماء الأمة). [مقدمة مختصر الفتاوى المصرية ص ٩]

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (إن الاشتغالَ بالعِلم من أفضلِ القُرب، وأجلِّ الطاعاتِ، وأهمِّ أنواع الخير، وآكدِ العبادات، وأولى ما أُنفقت فيه نفائسُ الأوقات، وشَّمر في إدراكه والتمكُّن فيه أصحابُ الأنفس الزاكيات، وبادر إلى الاهتمام بهِ الراغبون في الخيرات، وسابق إلى التَّحلِّي بهِ مُستبقُو المكرُمات). [التلخيص في شرحه على صحيح البخاري (١ / ١٨٤)]

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ:(فإن خير الأعمال الاشتغالُ بالعِلم الديني). [مقدمة لسان الميزان]

وقال عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني الشافعي (ت ٧٦٨ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: (واللَّذة التي يجدُها – أي: طالب العِلم – مع الاشتغال، خلقها الله تعالى في قلوب المشتغلين بالعلوم أو بالأعمال، ليكون عونًا لهم على تحصيل المقاصد، بحيث إن الإنسان يُقدِّم ذلك الشُغل الذي هو فيه على غيره من حظوظ النفس، حكمة من الله تعالى ولطفا، حتى أخبرني بعض شيوخنا: إنه كان يتغدّى بالاشتغال بالعِلم، قلتُ: ولقد كنت في بعض الأوقات يَبيتُ عشاي مطروحًا من أول الليل إلى آخر وقت السَحر، لِما أجد من الميل إلى غيره). [مرآة الجنان وعبرة اليقظان (٣/ ٢٤٥)]

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: (فإن لذَّة العِلم تزيد على كُل لذّة). [صيد الخاطر ص٢٩٠]

وقال الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ: (اعلم رحمك الله: أن طلب العِلم فريضة، وأنه شفاء للقلوب المريضة). [الدُرر السنية (٤/ ٣٣٧)]

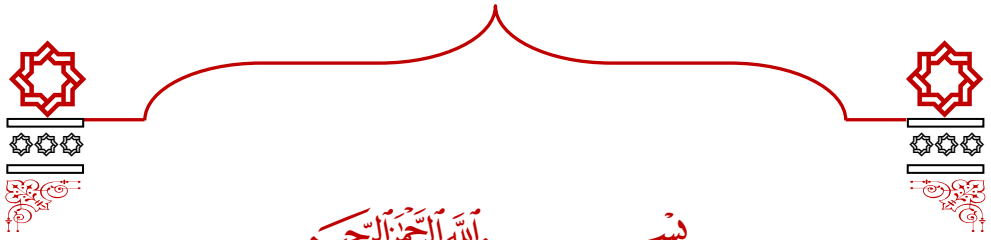

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾، **أما بعد:**

فهذا من أنفس وأروع الكُتب التي صنعتُها وسطّرتها ووسمته بـــ: **(التفاؤل مَقصدٌ شرعيٌّ)**، وهـو عندي بمنزلة: روح القلب وحياته، ذلك لأنه اجتمعت فيه أمور انفرد بها عن غيرها:

منها: مدة تأليفه التي استغرقت منِّي عشر سنوات كاملة، اعمل فيه بصبر جميل ونفس طويل، قرأت خلالها لهذا البحث فقط أكثر من خمسمائة مؤلف ورسالة ولله الحمد، أضيف النُكتة تلو النُكتة حتى استوت على سوقها خضراء مُزهِرة تسُر الناظرين.

ومنها: قوة الموضوع وشعثِه في الكُتب حتى أعانني الله ﷻ على لملمة رأسه، ثُم أعانني على ترتيبه وتنسيقه وتنظيمه فـبـثِّـه ونشره.

ومنها: قِلة من تكلّم فيه بهذه الصورة، وبيّن مزاياه وفضله مع حاجة الإنس والجن إليه وإلى تفاصيله العديدة والكثيرة والمتنوعة وما يجوز فيه وما يحرُم تعاطيه، وبيان أن الدِّين تمم أمر التفاؤل وجعله من محاسن الشريعة الخالدة.

ومنها: تشويش بعض الناس عليه وربطه بالطِّيرة وادعاء عِلم الغيب فالشرك!!! ظُلمات بعضها فوق بعض.

ومنها: حاجة الناس الشديدة اليوم إلى مثل هذا النوع من التصنيف الفريد والبديع والجليل، ولماذا وصفته بهذه الأوصاف؟

لأنه يعتمد على السَبر والاستقراء التام للنصوص الشرعية، والآثار السَّلفية، والفهم الثاقب الخطير لها، وليس مُجرد نقل أجوف خالي من هنا ومن هنا ومن هناك ثُم أقول المؤلف أنـا!!!، لا والله وسترى بعينيك صِـدق كلامي هذا.

وليعذرني القارئ الكريم على ترك ذِكر بعض المصادر والمراجع في ما أنقله من المتون العلمية، فتجدُني أذكر القول مثلًا عن أحد العلماء، أو أذكر حديثًا وخبرًا ولا أذكر مرجعه ومصدر النقل منه هذا أحيانًا، والسبب أني أكسل من وجـه فلا أنشط لهذا، ومن وجـه آخـر كثرة النقول العلمية وغزارتها والتي أكرمني الله بها في هذا الكتاب على صِغر حجمه، **فقد تجاوزت الألف نقل**، سواءٌ من آية أو حديث أو أثـر أو قول عالم أو أو أو أو إلخ.

وفي بعض المرات الأمر يختلف فتجدُني أذكر المصدر بالجزء والصفحة والسطر والطبعة، دِقـة مُـتـنـاهـيـة في التحرّي!!!

فالمقصد هو: أني أنشط في مواضع وأفتر في أُخرى كما هي حالة الإنسان في حياته الدُّنيا، والعذر عند كِرام القوم مقبولُ.

لكن ليكُن متفائلًاجدًا أن كُل ما أنقله فهو من مراجع ومصادر شرعية موثوقة لأن هذا الأمر من الدِّين، فأرسِل الحكيم ولا تُوصِه.

والتفاؤل: منه الحسِّي المشاهد الملموس، ومنه المعنوي الذي يقع في النفوس، وتجده بالقلب والروح من المشاعر ونحوها.

وقد قسّمت الكتاب ونظمت عِقده على فقرات بلغت (٦٧) فقرة، ليكون حين قراءته سَهلًاوممتعًا ولذيذًا.

بقي أن أُنبِّه على شيء أخير وهو: سيقع في قلب بعض من يقرأ هذه الرسالة النادرة أني قد أطلت فيها بلا داعي!! أو يقول: أني قد تكلَّفت النصوص وأقوال العلماء في هذا الباب تكلُّفًا عجيبًا وغريبًا!!

فأقول: غفر الله لي ولكم، اعلموا رحمكم الله: إن الاستقراء التام في تقرير أي مسألة، في أي فن من فنون العِلم النافع، لهو من أصعب الأشياء على طالب العِلم، بل على العالِم أحيانًا، لماذا؟

لأن العِلم كالشجرة الكبيرة، فغُصن: عِلم التوحيد، وغُصن: عِلم الحديث، وغُصن: عِلم الفقه، وغُصن: عِلم العربية واللغة، وغُصن: عِلم التفسير، وهكذا في سلسلة طويلة وضخمة.

فتفرُّق العِلم وانتشاره وتشعُّبه هو بحدِّ ذاته صعب على طالبه، فكيف إذا قُلنا لهُ: حرّر المسألة الفلانية ولملم شعثها على جميع أبواب الشريعة، سيجد بلا شك صعوبة بالغة.

يُهوِّنها: توفيق الرحمن الرحيم أولًا، ثُم لـذَّة الاستقراء عند من يعرفه حتى يصل لمرحلة حـق اليقين في هذه المسألة.

فلا تستطل - يا أخي - هذا البحث، فقد كان السَّلف الصالح من العلماء رحمهم الله، يجلس الواحد منهم في تحرير المسألة الجزئية الواحدة، المجالس الطويلة جـدًا، ويُبـيِّـن من خلالها محاسن الدِّين وفضله ومنزلته، ويُورد من دقيق العِلم وغوامض الاستنباط ما يُـحـيِّـر بـه العقول البليغة.

ولكن نحن لـمّا قصُر بنا العِلم والفهم، وصرنا إلى البلادة أقرب مِـنّـا إلى النباهة، قمنا بالعتب واللوم على غيرنا ممن يفعل صنيعهم، ومن تشبه بقوم فهو منهم.

فأسأل الله ﷻ أن يستعملنا ولا يستبدلنا، ونسأله أن ينفع بهذا الكتاب كل مخلوق نعلمه أو لا نعلمه، إنه وليّ ذلك والقادر عليه، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

(التفاؤل من الدِّين)

أبشِرُوا وَأَمِّلُوا ما يَسُرُّكُم في هذا الكتاب النافع المبارك، فوالله الذي لا إله إلا هو لتستمتِعون بهذا البحث، حتى تقولون لو استقبلنا من أمرنا ما قـرأنـا إلا هذا الكتاب.

فيا طالب العِلم: أبشِر بَخير يَـومٍ مـرَّ عليكَ مُـنـذُ ولدَتكَ أُمُّك، وخير ما نـبـدأ بـه قـولـه ﷺ: (أخذنا فألك من فيك)، فنعم الفأل ونعم البشارة.

هكذا كان يقول إذا سمع كلمة فأعجبته، وكما أن البلاء والشر مُـوكَّـلٌ بالمنطق، **كذلك الخير والعافية مُـوكَّـلٌ بالمنطق**، وكُـلٌّ من عند الله سبحانه وتعالى.

وكان ﷺ يعجبه الفأل الحسن ويُـحـبه ويـطلبه ويكره الطيرة عليه الصلاة والسلام،

وقال: (ويعجبني الفأل الصالح)، (وأحب الفأل الحسن)،

و(كان يتفاءل ولا يتطير وكان يحب الاسم الحسن)،

وكل هذه أحاديث صِحاح،

وتأمل كلمة – كان – المشعرة بدوام ذلك واستمراريته في جميع أحواله.

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إن حُسن الظن من حُسن العبادة)، [رواه الإمام أحمد في المسند: وصححه ابن حبان، والحاكم، والذهبي، وأحمد بن شاكر المِصري].

قلتُ: أفضل تعريف للتفاؤل ما جاء به هذا الحديث، وعليه نقول تعريف التفاؤل هو: حُسن الظن بالله في حصول المرغوب والبُعد عن المرهوب، وهذا يشمل خيري الدُّنيا والآخرة.

وتقول مثلًا لشخص: كُن متفائلًا أن فلان سيعمل عمله على أكمل وجه، أو أن فلان لا يرُد سائلًا، أو أن فلان يُعطي ولا يمنع، وهكذا.

فالتفاؤل هو: إحسان الظن بحصول الخير، ودفع الشر.

تقدّمت لِخطبة امرأة مثلًا: فكُن متفائلًابالقبول.

قرّر الأطباء إجراء عملية طبية لك: فكُن متفائلًا بنجاحها.

قدّمت أوراقك لطلب وظيفة: فكُن متفائلًا بتعيينك فيها.

وهكذا الأمر في كُل شيءٍ، غلِّب الجانب المشرق الإيجابي على الجانب المظلم السلبي.

وعكس ذلك تمامًاهو: التشاؤم فاحذرهُ وحذِّر الناس منهُ.

تَفَاءل بما تَهوى يكُن فلَقلَّما ** يُقالُ لِشَيءٍ كان إلا تحقَّقَا

١ - (الألفاظ التفاؤلية في الكتاب والسُّنة والأخبار المتنوعة)

قال موسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأهله: ﴿ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾، فكان كذلك.

وقال أيضًا: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (ففعل الله به ذلك وهداه إلى الصراط المستقيم في الدُّنيا والآخرة).ا.هـ

ومن الخير المُوكَّل بالمنطق: قول امرأة فرعون ﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾، فنفعها ذلك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وتأمل هذا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِي مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾، فكان كذلك.

وفي السُّنة قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده)، فكان كما قال.

وفي صحيح مسلم: حين خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى معركة بدر، قال: (قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض).

فقال: عُمير بن الحُمام الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال: (نعم)، فقال عُمير: بخٍ بخٍ.

فقال رسول الله: (ما يحملك على قولك بخ بخ)، قال: لا والله يا رسول الله، إلاّ رجاءةَ أن أكون من أهلها، قال: (فإنك من أهلها).

فأخرج تمرات فجعل يأكل منهن، ثُم قال: لئن أنا حييتُ حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قُتِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفيه أيضًا: من حديث أُبيٍّ بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقصة الرجل الذي كان بيته بعيدًا عن المسجد، فقال له أُبيٌّ: لو اشتريت حِمارًا تركبه في الظلماء والرمضاء، فقال: ما يسُرُّني أن منزلي إلى جنب المسجد، إنّي أُريدُ أن يُكتب لي ممشاي إلى المسجد ورُجُوعي إذا رجَعتُ إلى أهلي.

فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (قد جَمَعَ اللهُ لَكَ ذلك كُلّه).

وفي صحيح البخاري: حين قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لثُمامة بن أُثال: (ما عِندك يا ثُمَامَة؟)، فقال: عِندي خَيرٌ يا محمد،.....الحديث، فكان إسلامه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي سُنن النسائي: بسند صحيح من حديث شداد بن الهادِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه: قصة الصحابي الذي قال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اتّبعتُك على أن أُرمى إلى هاهنا وأشار إلى حلقِهِ بسهمٍ فأمُوت فأدخل الجنة،.....الحديث، فكان كما قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقصة الرجل التاجر الذي كان يقول لغلمانه: تجاوزوا عن المعسر، لعلَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يتجاوز عنا، فلقي الله عَزَّ وَجَلَّ فتجاوز عنه، وهي في الصحيحين.

وكان من خبر الصحابي الجليل: عكرمة بن أبي جهل المخزومي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أحد قواد الصحابة في حروب الرّدة، قبل أن يُسلِم أنه: (ركب البحر فأصابهم عاصف، فقال أصحاب السفينة: أخلصوا فإن آلهتكم لا تُغني عنكم هٰهُنا شيئًا، فقال عكرمة: والله لئن لم ينجني في البحر إلا الإخلاص، لا ينجيني في البرِّ غيره، اللهم إن لك عليَّ عهدًا إن عافيتني مما أنا فيه، أن آتي محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى أضع يدي في يده فلأَجِدنَّهُ عفوًا كريمًا، قال: فجاء فأسلم).، فكان كما قال.

وجاء في البداية والنهاية لابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال صالح بن كيسان: رأى بعض مُتفرّسي العرب معاوية بن أبي سُفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو صبي صغير، فقال: إني لأظن هذا الغلام سيسُود قومه، فقالت هند: ثكلته إن كان لا يسُود إلا قومه،..... وقال أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رأيت هِندًا بمكة، كأن وجهها فلقة قمر، وخلفها من عجيزتها مثل الرجل الجالس، ومعها صبي يلعب، فمر رجل فنظر إليه فقال: إني لأرى غُلامًا إن عاش ليسُودنَّ قومه، فقالت هِند: إن لم يسُد إلا قومه فأماته الله،.....

ونظر أبو سُفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يومًا إلى معاوية وهو غُلام، فقال لهند: إن ابني هذا لعظيم الرأس، وإنه لخليق أن يسُود قومه، فقالت هِند: قومه فقط!! ثكلته إن لم يسُد العرب قاطبة). ا.هـ فكان كما قالت، وهند بنت عتبة القرشية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا والدة الخليفة معاوية بن أبي سُفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وقالت أم المؤمنين خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا لنبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أبشر فوالله لا يُخزيك الله أبدًا)، فكان كما قالت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

وجاء في سيرة ابن إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ **وفيه**: (كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع جده عبد المطلب، وكان يُوضع لعبد المطلب جدّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فراش في ظِل الكعبة، فكان لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالًا له، وكان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأتي حتى يجلس عليه، فيذهب أعمامه يُؤخّرونه، فيقول جده عبد المطلب: دعوا بني، فيمسح على ظهره، ويقول: إن لبني هذا شأنًا، فتُوفي عبد المطلب، ورسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابن ثماني سنين). ا.هـ فكان كما قال.

وقال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الحافظ علم الدين البرزالي الدمشقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان هو الذي حبّب إليَّ طلب الحديث، فإنَّهُ رأى خطي، فقال: خطك يُشبه خطّ المحدثين، فأثّر قوله فيَّ). ا.هـ [**من كتابه: ثلاث تراجم نفيسة**].

وفي ترجمة العلامة محمد بن مفلح المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من المقصد الأرشد: (قال ابن القيم لقاضي القضاة موفق الدّين الحجاوي: ما تحت قبة الفلك أعلم بمذهب الإمام أحمد من ابن مفلح، وحضر عند الشيخ تقي الدين ابن تيمية ونقل عنه كثيرًا، **وكان يقول لهُ**: ما أنت ابن مفلح، أنت مفلح، وكان أخبر الناس بمسائله واختياراته، حتى إن ابن القيم كان يُراجعه في ذلك). ا.هـ

ويُروى: عن الشيخ مهذب الدين بن منير الطرابلسي، وكان أديبًا ظريفًا عارفا بالشعر والأدب، وكان السيد المرتضى الموسوي نقيب الأشراف بالعراق والشام وغالب الممالك، وكان بينه وبين مهذب الدين مودة، فكتب إليه مهذب الدين قائلًابعد حادثة وقعت بينهما:

وإليكهـــــا بدويـــــة ** رقـــت لرقتهـــا الحـــضر
شـــــامية لـــــو شـــــامها ** قـــس الفـــصاحة لافتخـــر
ودرى وأيقـــــن أننـــــي ** بحـــــر وألفـــــاظي درر
حبرتهـــا فغـــدت كزهـــر ** الـــروض بـــاكره المطـــر
وبديعـــــة كبديعـــــة ** عـــذراء ترفـــل في الحـــبر
وإلى الـــشريف بعثتهـــا ** لمـــا قراهـــا وانبهـــر
ردّ الغـــلام ومـــا اســـتمر ** عـــلى الجحـــود ولا أصر
وأثـــــابني وجزيتـــــه ** شـــكرًا وقـــال لقـــد صـــبر

فلما وصلت القصيدة إلى الشريف ضحك، وقال: قد أبطأنا عليه فهو معذور، وجهز المملوك مع هدايا حسنة، فمدحه مهذب الدين فقال:

إلى المرتـــضى حـــثّ المطـــيّ فإنـــه ** إمـــام عـــلى كـــل البريـــة قـــد ســـما
ترى الناس أرضًـا في الفـضائل عنـده ** ونجـل الزكـيّ الهاشـمي هـو الـسما

قال الراوي: وقوله (وإلى الشريف بعثتها) إلى آخر القصيدة، قد يتوهم أنه مُلحق بعد ردّ المملوك وليس كذلك، وإنما قاله تفاؤلًا، وحُسن ظن بالشريف، واعتمادًا على شهامته، وهذا من مكر مهذب الدين لِعلمه بسجايا الشريف. ا.هـ

قلتُ: وأجعل هذا القول شعارك ودثارك: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

وقد قال ابن أبي شيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مُصنفه: حدثنا أبو معاوية (محمد بن خازم)، عن الأعمش (سُليمان بن مِهران)، عن عمارة (ابن عُمير)، عن أبي الأحوص (عوف بن مالك)، قال: قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (تعوَّدوا الخير، فإنما الخير في العادة)..

قلتُ: وسنده كوفي صحيح موقوف.

والشاهد منه: أن تُعوِّد لسانك ونفسك وقلبك وباطنك وروحك وكل شيء يتعلق بك، تُعوِّده الخير، ومن الخير: الألفاظ التفاؤلية، وثق تمامًا أنه مع مرور الزمن ستجد انعكاس ذلك على حياتك كُلها، إي والذي نفس عبد الرحمن بيده.

وفي كتاب معرفة الصحابة لأبي نُعيم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ وفيه:

(كان عَمرو بن الجموح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رجلًا أعرج شديد العرج، فكان له بنون أربعة يشهدون مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المشاهد أمثال الأسد، فلما كان يوم أُحد أرادوا حبسه، وقالوا له: إن الله قد عذرك، فأتى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: يا رسول الله، إن بني يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه، والله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة.

فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك، وقال لبنيه: لا عليكم أن لا تمنعوه لعل الله أن يرزقه الشهادة، فخرج معه فقُتل يوم أُحد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ). ا.هـ

وقال نبي الله يعقوب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾، فكان كما قال.

بل الأمر تعدّى الحياة الدنيوية إلى الحياة الأخروية، فالتفاؤل اللفظي يُفيد في كل وقت، وفي كل حين، على كل وجه.

في صحيح مسلم: عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: يخرج من النار أربعة فيُعرضون على الله، فيلتفت أحدهم فيقول: أي ربِّ، إذ أخرجتني منها فلا تُعِدني فيها، فيُنْجيهِ اللهُ منها.

وفي مُسند الإمام أحمد: عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالا: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: آخرُ من يخرج من النار رجلان يقول الله لأحدهما: يا ابن آدم ما أعددت لهذا اليوم؟ هل عملت خيرًا أو رجوتني؟ فيقول: لا يا ربِّ، فيؤمر به إلى النار، وهو أشدُّ أهل النار حسرةً، ويقولُ للآخرِ: يا ابن آدم ما أعددت لهذا اليوم؟ هل عملت خيرًا أو رجوتني؟ فيقولُ: نعم يا ربِّ، قد كنتُ أرجو إذ أخرجتني أن لا تُعِيدَني فيها أبدًا.

وفي سُنن الترمذي: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: إنَّ رجلين ممن دخل النار اشتد صياحهما، فقال الربُّ عَزَّ وَجَلَّ: أخرجوهما، فلما أُخرِجَا قال لهما: لأي شيء اشتد صياحكما؟ قالا: فعلنا ذلك لترحمنا، قال: إن رحمتي لكما أن تنطلقا فتُلقِيا أنفسكما حيث كنتما من النار، فينطلقان فيُلقي أحدهما نفسه فيجعلها عليه بَردًا وسَلامًا، ويقوم الآخر فلا يُلقي نفسه، فيقول لهُ الربُّ عَزَّ وَجَلَّ: ما منعك أن تُلقي نفسك كما ألقى صاحبك؟ فيقول: يا ربِّ إني لأرجو أن لا تُعِيدَني فيها بعد ما أخرجتني، فيقول له الربُّ: لكَ رجاؤُك، فيدخلان جميعًا الجنة برحمة الله.

٢ - (فضل التفاؤل وثمرته)

التفاؤل رفيق مُؤنس تستمتع به على كل حال، كالأمل جميل ولو لم يقع ما تريد، لذلك في الأمثال يقولون: (لولا الأمل لبطل العمل) وهذا صحيح.

كل إنسان يعمل لأمل يُـؤمِّـلـه، فالطالب يدرس ويؤمل النجاح، والمجاهد يقاتل ويؤمل النصر أو الشهادة.

وهكذا في جميع شؤون الحياة الدينية والدنيوية، إذ لولا الأمل لخربت الدُّنيا، والدُّنيا مزرعة الآخرة، فالتفاؤل خير على كـل حال.

يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صيد الخاطر: (فإني أكتب الحديث أرجو أن أرويه، وأبتدئ بالتصنيف أرجو أن أُتـمـه). ا.هـ

قال السيوطي (ت٩١١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وإنما أحب الفأل، لأن الناس إذا أمَّـلُـوا فائدة الله ورجوا عائدته عند كـلِّ سبب ضعيف أو قوي، فهم على خير، ولو غَلِطوا في جهة الرجاء، فإن الرجاء لهم خير، فإذا قطعوا أمَلهم ورجاءهم من الله كان ذلك من الشر). ا.هـ [**من مصباح الزجاجة على سُنن ابن ماجه ٢/ ٢٠٣**].

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:(والفأل يُـفضي بصاحبه إلى الطاعة والتوحيد، والطِّيرة تُـفضي بصاحبها إلى المعصية والشرك، فلهذا أُستحب الفأل وأبطل الطيرة). ا.هـ [**من مفتاح دار السعادة ٣/ ٣١٢**].

قلتُ: ومن الطاعة في ذلك: حُسن الظن بالله، والإقدام على الأعمال، وتطبيق السُّنن، وإفراح النفس، وترغيم العدو والشيطان، ونُصرة الدِّين، وانعدام اليأس، وإدخال السرور على الخلق، وتـثـبـيـت المؤمنين، وقمع المرجفين، وبعث الأمـل

ونعشه في النفوس، وتبشير الخلق، واليقين بوعد الله وفضله، والكلمة الطيبة صدقة، وهي من الفأل الصالح، والمؤمن القوي أخير وأحب إلى الله ورسوله والناس أجمعين من المؤمن الضعيف، وغير ذلك من الفوائد.

٣ - (علاقة التفاؤل بحُسن الاسم والوصف)

تأمل معي هذا الحديث: حين قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إذا أتى الرجل القوم فقالوا مرحبًا فمرحبًا به يوم يلقى ربه، وإذا أتى الرجل القوم فقالوا له: قحطًا فقحطًا له يوم القيامة). ا.هـ [**أخرجه الحاكم في المستدرك: وصححه الذهبي والألباني رحم الله الجميع**].

كُل ذلك من التفاؤل والاستبشار بالكلمة الصالحة النافعة الطيبة.

وفيه: إن الكلمة في الدُّنيا تؤثر على صاحبها في الآخرة، والناس شهداء الله في أرضه.

وفيه: إن الاسم والوصف الحسن يُوثِّر على صاحبه من باب أولى.

وتأمل أيضًا هذا الحديث: (كان لا يتطير من شيء، وكان إذا بعث عاملًا، سأله عن اسمه فإذا أعجبه اسمه فرح به ورؤي بشر ذلك في وجهه، وإن كره اسمه رؤي كراهية ذلك في وجهه، وإذا دخل قرية سأل عن اسمها: فإذا أعجبه اسمها فرح بها ورؤي بشر ذلك في وجهه، وإن كره اسمها رؤي كراهية ذلك في وجهه). ا.هـ [**من سُنن أبي داود، وصححه الألباني وغيره**].

وفي الموطأ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من يحلب هذه الناقة؟ فقام رجل، فقال: ما اسمك؟ فقال: مُرة، قال: أجلس، فقام رجل آخر، فقال: ما اسمك؟ فقال: حرب، قال: أجلس، فقام رجل آخر، فقال: ما اسمك؟ فقال: يعيش، قال: أحلب). ا.هـ

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التمهيد: (هذا من باب طلب الفأل الحسن،..... لأنه كان يتفاءل بالحسن من الأسماء). ا.هـ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الاستذكار: (هذا من باب الفأل الحسن فإنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يطلبه ويعجبه، وليس هذا من باب الطيرة). ا.هـ

قلتُ: ونظير ذلك ما أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي: (عن أبي حدرد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: من يسوق إبلنا هذه؟ فقام رجل فقال أنا، فقال: ما اسمك؟ قال: فلان، قال: أجلس، ثم قام آخر، فقال له: ما اسمك؟ قال: فلان، قال: أجلس، ثم قام آخر، فقال له: ما اسمك؟ قال: ناجية، قال لهُ رسول الله: أنت لها فسقها). ا.هـ

قلتُ: كـأن (فلان) اسمًاغير مُستحسن، وسكت الراوي عن تعيينه.

وفي مغازي الواقدي (ت٢٠٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو يتكلم عن غزوة خيبر، فقال: (ثُم صلَّى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العشاء بالناس، ثم دعا بالأدِلّاءِ، فجاء حُسيل بن خارجة الأشجعي وعبد الله بن نُعيم الأشجعي، قال: فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحُسيل: امض أمامنا حتى تأخذنا صدور الأودية حتى نأتي خيبر من بينها وبين الشام، فأحُولُ بينهم وبين الشام، وبين حُلفائهم من غطفان، فقال حُسيل: أنا اسلك بك، فانتهى به إلى موضع له طُرُقٌ، فقال له: يا رسول الله إن لها طُرُقًا يؤتى مِنها كُلَّها، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سَمَّها لي، وكان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحب الفأل الحسن والاسم الحسن، ويكره الطيرة والاسم القبيح.

فقال الدّليل: لها طريقٌ يُقال لها حَزن، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا تسلُكها، قال: لها طريقٌ يُقال لها شاس، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا تسلُكها، قال: لها طريقٌ يُقال لها حاطِب، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا تسلُكها، قال عُمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ما رأيت كاللّيلةِ أسماءً

أقبحَ، سَمّ لرسول الله، قال: لها طريقٌ واحدةٌ لم يَبقَ غيرُها، فقال عُمر: سَمّها، قال: اسمُهَا مَرحَبٌ، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نَعَم أُسلُكهَا، قال عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ألا سَمَّيت هذا الطريق أوّلَ مرّةٍ!) ا.هـ

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ في كشف المشكل عند حديث: قد سهل لكم من أمركم: (فيه: دليل على استحباب التفاؤل بالاسم الحسن). ا.هـ

قلتُ: وبهذا القول قال جماعات من السَّلف والخلف.

وقال الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه: التوحيد، باب: ما جاء في التطيُّر، فيه مسائل: السادسة: (أن الفأل ليس من ذلك بل مُستحَبٌّ). ا.هـ

وما يُنقل في كُتب السِّيرة: عندما هاجر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولقيه رجل فقال: ما اسمك؟ قال بُريدة، فالتفت إلى أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: بَرَدَ أمرنا.

قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ **في كتابه: غريب الحديث**: (وفيه استحباب الفأل والتيمُّن بالاسم الحسن). ا.هـ

وفي صحيح البخاري: كتاب الأذان، تحت باب: ما يحقن بالأذان من الدِّماء، يقول أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فخرجنا إلى خيبر، فانتهينا إليهم ليلًا، فلما أصبح ولم يسمع أذانًا رَكِبَ، قال: فخرجوا إلينا بمكاتلهم ومساحيهم فلمَّا رأوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالوا: محمد والخميس، قال: فلمَّا رآهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: الله أكبر خَرِبَت خَيْبَر.... الحديث. ا.هـ

قال السُّهيلي رَحِمَهُ اللَّهُ: (يؤخذ من هذا الحديث التفاؤل، لأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لما رأى آلات الهدم أخذ منه أن مدينتهم ستخرب). ا.هـ **[من فتح الباري لابن حجر** رَحِمَهُ اللَّهُ**]**.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في زاد المعاد في فوائد هذه الغزوة: (ومنها: جواز التفاؤل بل استحبابه بما يَراه أو يسمعه، مما هو من أسباب ظهور الإسلام وإعلامه، كما تفاءل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برُؤية المساحي والفؤوس والمكاتل مع أهل خيبر فإن ذلك فألٌ في خَرابِها). ا.هـ [**وهذه الفائدة بعينها قالها ابن رجب الحنبلي في شرحه على البخاري، وبنحوها قال ابن الملقن في شرحه على البخاري المسمى بالتوضيح**].

وقال أبو الحسن السِّندي (ت ١١٣٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حاشيته على سُنن النسائي، ما نصه: (قوله خرِبت خيبر أي: على أهلها، وفُتِحَت على المسلمين، قالَهُ تفاؤلًا حين رأى في أيدي أهلَها آلات الهَدم). ا.هـ

وفي ترجمة حِبَّان بن الحكم السُّلَميُّ من الإصابة لابن حجر: عن محمود بن لبيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال يوم الفتح: (يا بني سُليم، من يأخذ رايتكم؟) قالوا: أعطِها حِبان بن الحكم الفرَّار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فكرِه قولهم الفرَّار، ثم أعطاه الراية، ثم نزعها منه، وأعطاها: يَزيد بن الأخنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. ا.هـ

قلتُ: فما نزعها من حِبَّان إلا طلبًا للتفاؤل المحمود المحبوب للنفوس.

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الإصابة: (قريب بن ظفر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لهُ إدراك، وكان رسول سعد بن أبي وقاص إلى عُمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، في قصة فتح نهاوند، فلمّا وصل إلى عُمر تفاءل باسمه واسم أَبيه، وقال: ظفر قريب، وكان ذلك في سنة إحدى وعشرين من الهجرة). ا.هـ

قال العلامة اللغوي محمد بن الحسن بن دُريد الأزدي (ت ٣٢١ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أخبرنا أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني قال: قيل للعُتبي: ما بال العرب سمّت أبناءها بالأسماء المستشنعة، وسمّت عبيدها بالأسماء المستحسنة؟ فقال: لأنها سمّت أبناءها لأعدائها، وسمّت عبيدها لأنفسها، وقد أجاب العُتبي بجملة كافية، ولكنها

محتاجة إلى شرح يُوضحها الاشتقاق،.....

واعلم أن للعرب مذاهب في تسمية أبنائها:

* **فمنها:** ما سمَّوه تفاؤلًا على أعدائهم نحو غالب، وغَلاّب، وظالم، وعارم، ومُنازِل، ومُقاتل، ومُعارِك، وثابت، ونحو ذلك، وسمَّوا في مثل هذا الباب: مُسهِرًا، ومُؤرِّقا، ومصبِّحا، ومنبِّها، وطارقًا.

* **ومنها:** ما تفاءلوا به للأبناء نحو: نائل، ووائل، وناجٍ، ومُدرِك، ودَرَّاك، وسالم، وسُلَيم، ومالك، وعامر، وسعد، وسَعيد، ومَسعَدة، وأسعَد، وما أشبه ذلك.

* **ومنها:** ما سُمِّي بالسِّباع ترهيبًا لأعدائهم نحو: أسد، وليث، وفَـرَّاس، وذِئب، وسِيد، وعَمَلَّس، وضِرغام، وما أشبه ذلك.

* **ومنها:** ما سُمِّي بما غلُظ وخشُن من الشّجَر تفاؤلًا أيضًا نحو: طلحة، وسَمُرة، وسَلَمة، وقَتادة، وهَراسة، كلُّ ذلك شجرٌ له شوكٌ، وعِضاهٌ.

* **ومنها:** ما سُمِّي بما غُلظ من الأرض وخشُن لمسُه وموطِئُه مثل: حَجَر وحُجَير، وصَخر وفِهر، وجَندل وجَروَل، وحَزن وحَزم). ا.هـ[**من كتابه الممتع: الاشتقاق**].

وفي صحيح مسلم: عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رأيتُ ذات ليلة، فيما يَرى النائم، كـأنَّا في دار عُقبة بن رافع، فأُتينا برُطب من رُطب ابن طاب، فأوَّلتُ الرِّفعَةَ لَنا في الدُنيا، والعاقبةَ في الآخرة، وأنَّ ديننا قـد طابَ.

قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني(ت٤٣٠هـ)رَحِمَهُ اللَّهُ في معرفة الصحابة: (قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الرِّفعَة لَنا، تفاؤُلًا بـرَافـع). ا.هـ

٤ - (ضابط التفاؤل وأنه سببٌ كسائر الأسباب)

تنبيه جليل: قول بعض أهل العِلم: إنَّ من شرط التفاؤل أن لا يُقصد، غير صحيح البتة.

فالتفاؤل سببٌ يُطلب كغيره من الأسباب التي خلقها الله سبحانه ويُقصد بعينه، إذا علِمنا أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكُن.

والله سبحانه هو خالقُ الأسباب ومُسَبّباتها، وكُل ذلك بقدر الله سبحانه وتعالى، ولكن يجب تعليق قلوب العباد بمُسبِّب الأسباب، ومع ذلك فاتخاذ الأسباب الشرعية والمحسوسة والمأمور بها لا يُنافي التوكل ولا يقدح في الدِّين، كيف وقد طلبه خير الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ بأبي هو وأمي.

فطلبك للتفاؤل لا يُنافي تعاطي الأسباب، ولم يقدح في تفاؤله من أخذ بالأسباب الشرعية والحسية.

وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في آخر كتابه: (مفتاح دار السعادة)، أن الناس في هذا الباب من فعل الأسباب طرفان ووسط، فطرف نفاها بالكلية، والآخر بالغ فيها، والموفق هو الذي سَلك سبيل التَّوسُّط والإنصاف.

و السؤال هو: متى يُذم وتكون طيرة وحرام ولا يجوز؟

فالجواب: إذا صدَّته وردته عن وجهته، فهنا علَّق أمره وقلبه بذلك السبب بعينه وأشرك بفعله، كسائر الأسباب الشرعية في الدُّنيا، إذا علَّق العبد قلبه فيها من دون الله، أخل ذلك في دينه وإيمانه، وأقرب مثال يحضرني هنا: طلب الرزق، والذهاب للطبيب لتلقي العلاج.

فإن الشرع حثَّنا على طلب الرزق الحلال والسعي فيه، ولكن متى ما تعلَّق القلب بهذا المطلوب بعينه، أثَّر ذلك في دين الإنسان.

وكذا الذهاب للطبيب، متى ما وقع في قلبك أن الشفاء بيد هذا المخلوق الضعيف الذي لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا فضلًا عن أن يُعطيه لغيره، هلكت في دينك.

لذلك ثبت عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنه قال: (الله الطبيب)، فطبيبُها على الحقيقة الذي خلقها، وهو الله سبحانه الشافي والمُعافي.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وليس في الإعجاب بالفأل ومحبَّته شيءٌ من الشرك). ا.هـ [**من مفتاح دار السعادة ٣/ ٣٠٦**].

وقال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والأسباب نوعان: أحدهما: أسباب الخير، فالمشروع أنَّه يفرَحُ بها ويستبشر، ولا يَسكُنُ إليها، بل إلى خالقِها ومُسبِّبها، وذلك هو تحقيق التوكل على الله والإيمان به، كما قال تعالى في الإمداد بالملائكة: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ﴾، ومن هذا الباب الاستبشارُ بالفأل). ا.هـ [**من لطائف المعارف ص ١٤١**].

قلتُ: والفرق بينهما: أن الفأل من باب إحسان الظن بالله ورجاءه مع فعل الأسباب المشروعة دون التعلُّق بها.

وأما الطيرة: فهي تعلُّق القلب بالأسباب دون مُسبِّبها.

لذلك سمَّاها النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ شِركًا، فقال: (الطيرة شرك)، وقال: (من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك)، لماذا؟!

لأنه علَّق قلبه بها، وائتَمَر بأمرها وانتهى بنهيِها، إذا قالت لهُ أذهب ذهب، وإذا قالت لا تذهب لا يذهب، فجعلها فاعلة مؤثرة بنفسها دون الله.

وأضرب أمثلة لكي يتضح الأمر أكثر فتأمل معي جيدًا:

أ إذا قيل لكَ أن هناك اسمان: (صالح والوليد)، فقلت: أنا أريد أن اسمي ابني بصالح رجاءً وتفاؤلًا أن يكون كذلك، فما المانع من طلب هذا الفأل؟!

ب أردت أن تُرسل رسولًا لأمر ما، فاخترت رجلًا جميلًا حَسن الهيئة، حَسن الاسم، تفاؤلًا بذلك، فما المانع؟!

جـ غيَّرت اسمك القبيح، تطبيقًا للسُّنة من وجه، وطلبًا للتفاؤل من وجه آخر، واستبشارًا أن يُغيِّر الله حالك للأفضل من وجه ثالث، فما المانع؟!

د طلبت رجالًا ليعملوا عندك، فعُرض عليك أسماؤهم: فوجدت من بينهم: (صادق وأمين وعبد الله وحارث وتوفيق وفلاح..)، فاخترت هؤلاء تفاؤلًا بأسمائهم، فما المانع؟!

س أمامك طريقان: أحدهما اسمه: السَهلة أو السالمي، والآخر: عسير أو الشوك أو طريق ظلم؟ فاخترت السَهلة، فما المانع؟!

ص خُيِّرت في الوظيفة بين مدينتين، إحداهما اسمها: بُريدة أو العُلا أو الرياض، والأُخرى: مُرير أو السَعيرَة أو الحفر؟ وهذه أسماء مُدُن واقعة الآن عندنا بالمملكة الإسلامية السعودية، فاخترت العُلا وبُريدة تفاؤلًا واستبشارًا.

كل هذه الصور وغيرها كثير، قد جاءت بها السُّنة، وهي من الفأل المطلوب المباح والمرغوب فيه، ولا يستطيع أحد دفع ذلك عن نفسه، واسأل نفسك؟!

وقد سُئل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أرأيت أدويةً نتداوى بها، ورُقىً نسترقي بها، هل تَرُدُّ من قدر الله شيئًا؟ فقال: (هي من قدر الله تعالى). ا.هـ [**من سُنن الترمذي وصححه**].

وقال أيضًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وقد سُئل**: هل ينفع الدواء من القدر؟ فقال: (الدواء من القدر وقد ينفع بإذن الله). ا.هـ [**من المعجم الكبير للطبراني وحسنه الألباني**].

وفي الصحيح: قال عُمر بن الخطاب لأبي عُبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: نفِر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل فهبطت واديًا له عُدوتان: إحداهما مخصبة، والأُخرى جدبة، أليس إن رعيت المخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟!

وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: **(الفقيه كلُّ الفقيه، الذي يردّ القدر بالقدر، ويدفع القدر بالقدر، ويُعارض القدر بالقدر، بل لا يمكن الإنسانَ يعيش إلا بذلك، فإنّ الجوع والعطش والبرد وأنواع المخاوف والمحاذير هي من القدر، والخلقُ كلّهم ساعون في دفع هذا القدر بالقدر)**. ا.هـ [**من كتابه البديع: الداء والدواء ص ٣٤**].

قلتُ: وليس معنى قولنا طلب الفأل وتقصُّدُه معناه: أنه لابد أن يقع، كلا قد يُطلب الفأل ولا يتحقق، ولسنا مُطالبين إلا ببذل الأسباب الشرعية فقط.

قال الإمام شُعبة بن الحجاج رَحِمَهُ اللَّهُ: سمِّيت ابني سعدًا، فما سعد ولا أفلح!!.

ثُم نقول للمعترض على هذا الكلام، أليس التفاؤل من قدر الله؟

الجواب: بلى.

أليس الشؤم من قدر الله؟

الجواب: بلى.

فطلبنا إذن للتفاؤل من قدر الله، والله سبحانه هو خالقُ الأسباب ومُسبّباتها، لا خالِقَ غيرُه، ولا مُقدِّر غيره سبحانه وتعالى، فكما أنك تطلب العافية والرزق والخير بأسبابه الشرعية، كذلك اطلب الفأل.

واعلم رحمك الله وغفر لك أن التفاؤل قسمان:

حلال مباح مطلوب مرغوب.

حرام محظور من جنس الشرك.

فما الأول فهو: كاختيار الاسم الجميل والوجه الحسن ابتداءً عن قصد ونيَّة وتطبيق للسُّنة، وكلبس البياض من الثياب، والشِعارات في الحروب الباعثة للتفاؤل والنصر، وتغيير الاسم والوصف والهيئة والمكان القبيح، وقلب الرداء في الاستسقاء، وقلب الواقع المزري لواقع مأمول، وغيره مما ثبت في السُّنة، فهذا الذي كان يُحبُّه ويطلبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأما الثاني: فكضرب الحصى والاستقسام بالأزلام وضرب الرمل والطَّرق والعيافة والعرافة والكهانة وقراءة الكف والفنجان وما يُعرف اليوم بأبراج الحظ، والتنجيم، وغيرها من الخزعبلات الكُفرية.

والضابط في هذه الخزعبلات كُلِّها: ما تعلَّق بأمر غيبي، قد يُصيب وقد يخطئ، فهذا هو عمل الجاهلية بعينه.

وهو الذي كرِههُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحذَّر منه بقوله: (ليس منا من تَطَيَّر ولا من تُطُيِّر لهُ، أو تَكَهَّن أو تُكِهِّن لهُ).

وقال: (الطيرة شرك).

وقال: (العيافة والطيرة والطرق من الجبت)، إلى غير ذلك من الأحاديث الثابتة والصحيحة.

قال ابن الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ: (الطيرة شرك،..... وإنما جعلها من الشرك، لأنهم كانوا يعتقدون أن التطير يجلب لهم نفعًا أو يدفع عنهم ضرًا، إذا عمِلوا بموجبه، فكأنهم أشركوه مع الله في ذلك). ا.هـ [**من التوضيح ٢٧/ ٥١١**].

قلتُ: ولِيُعلم إنَّ أصل هذا التقسيم قد ذكره القرافي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه البديع: (الفروق)، وقد عدَّلت فيه وزدت عليه توضيحًا لم أُسبق إليه البته، بما أدينُ الله به وأعتقده، وبهذا التفصيل والبيان تنحل جميع الإشكالات في هذا الباب، ولله وحده الفضل والمنّة.

هذا البيانُ يُزِيلُ لَبسًا طالَما ** هَلكت عليه الناسُ كُلَّ زَمانِ
ويَحِلُّ ما قد عَقَّدُوا بأُصُولهم ** وبُحوثِهم فَافهَمه فَهم بَيانِ

وقد بوَّب ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه بابًا قال فيه: ذكر ما يجب على المرء من لزوم التفاؤل، وترك التطير اقتداءً برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٥ - (علاقة جمال الصورة الظاهرة بالتفاؤل)

ثبت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: إذا أبردتم إلي بريدًا فابعثوه حسن الوجه، حسن الاسم. ا.هـ

قال العلامة الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لأنه يستبشر برؤيته قبل معرفة ما عنده،..... وكذلك الاسم فإنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يُحب الاسم الحسن ويتفاءل به ويُغيِّر الاسم القبيح). ا.هـ [من التنوير ١/ ٤٨٩].

وقال الإمام الـحُجة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كون الرسول الذي يُرسل بريدًا، وأحبَّ الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يكون حَسن الوجه هو من باب التفاؤل،..... والتفاؤل أمر مرغوب فيه بخلاف التشاؤم). ا.هـ [باختصار من سلسلة الهدى والنور (١٨٩/ أ) شريط مسموع].

وقال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لأجل التفاؤل، فإن الفأل الحسن حسن، وبين الاسم والمسمى علاقة ورابطة تناسبه، قلما تخلَّف ذلك، فإن الألفاظ قوالب المعاني، والأسماء قوالب المسميات، والاسم عنوان قبح المسمى، كما أن قبح الوجه عنوان قبح الباطن، وبه يُعرف أن ذا ليس من الطيرة في شيء). ا.هـ [**من فيض القدير ١/ ٤٠١**].

قلتُ: وكان التطبيق العملي من الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهذا الحديث، فكان رسوله إلى: ذي عَمرو الحميريُّ أحد ملوك اليمن، وذي الكلاع، وحوشب ذو ظُليم ثلاثتهم، هو: جرير بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وكان من أجمل الرجال.

وكان رسوله إلى قيصر، هو: دِحية الكلبي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، الذي كان جبريل عليه السلام ينزل على صورته.

وهكذا فعل أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، فقد أرسل علي بن أبي طالب إلى معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. ا.هـ [**راجع: الإصابة لابن حجر (١/ ٥٨٣)، (٣/ ٦٢ و٣٨٢ و٤٤٤)، ط: دار هجر المصرية**].

وقال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأهل اليقظة والانتباه يرون أن الأشياء بأسرها من الله سبحانه، فإذا ورد وارد حسن الوجه حسن الاسم تفاءلوا به، وكان المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشتد عليه الاسم القبيح ويكرهه من مكان أو قبيلة أو جبل أو شخص ومن تأمَّل معاني السُّنة، وجد معاني الأسماء مرتبطة بمسمّياتها حتى كأن معانيها مأخوذة منها، وكأن الأسماء مُشتقة منها).ا.هـ [**من فيض القدير ١/ ٣٠٦**].

قال الفقيه الكبير محمد بن سيرين التابعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كانوا - أي: الصحابة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ **- يستحبُّون الفأل**). ا.هـ [**ذكَره السِّلَفي بإسناده في الطيوريات**].

وقال ابن الملقن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وكان الشارع يستحب الاسم الحسن والفأل الصالح، وقد جعل الله تعالى في فِطرة الناس، محبة الكلمة الحسنة والفأل الصالح والأنس به). ا.هـ [**من التوضيح لشرح الجامع الصحيح ٢٧ / ٥٠٩، ط: قطر**].

وقال ابن المنذر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أوسطه: في قصة الحديبية، ومن فوائدها: (استحباب الفأل لقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قد سهل لكم من أمركم). ا.هـ

وقصة الرجل التاجر الذي كان يقول لغلمانه: تجاوزوا عن المعسر، لعلَّ الله ﷻ يتجاوز عنا، فلقي الله ﷻ فتجاوز عنه، وهي في الصحيحين.

قال الوزير ابن هُبيرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (واستحب التفاؤل: لأن الفأل حُسن ظن بالله تعالى، والطِّيرة سُوء ظن بـهِ ﷻ). ا.هـ [**من الإفصاح عن معاني الصحاح**].

وهذا الاستحباب: أحد الأحكام الشرعية الخمسة، وفيه من التفاؤل وحُسن الظن بالله سبحانه وتعالى القائل في الحديث القدسي: (أنـا عند ظن عبدي بـي، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر).، ومن القواعد الكلية الكُبرى في الشريعة الربانية وفي السُّنة النبوية: أن الجزاء من جنس العمل، والظن عمل قلبي فافهم بارك الله فيك.

على بحر الكامل قال الشاعر:

إني صـــنعتُ مـــن التفـــاؤل مَركبًـــا ** وشـــددتُ مـــن عـــزمِ اليقـــين شِراعـــه

أبحـــرت فيـــه، عـــلى الله تـــوكُّلي ** مـــا خـــاب مـــن للخـــير مـــدَّ ذِراعـــه

٦ - (الغيب التفاؤلي)

هنا نكتة بديعة أجعلها معلقة في ذهنك دائمًا: في أي بابٍ من أبواب الخير التي تطرُقها في المستقبل، لا تُفكِّر أبـدًا أن تنطق بعبارة: (لا أستطيع) أو (لا أقدر) أو (هذا الأمر مستحيل)، ونحوها من عبارات التشاؤم، فضلًا أن تقولها حقيقةً، فإنك بهذه الكلمات وقعت في عِـدّة محظورات:

أ حكمت مُسبقًا بأمر غيبي لا تعلم بـه، ولا تعرف نهايته.

ب البلاء مُـوكَّـلٌ بالمنطق، كما تقرر في القواعد الشرعية، وأدلة ذلك لا حصر لها كثرة، مـنـهـا:

الرجل الذي قال: حمى تفور على شيخ كبير تُزيره القبور.

وقصة عويمر العجلاني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الملاعنة.

وقول كعب بن الأشرف اليهودي: (إن الكريم لو دُعي إلى طعنةٍ ليلًا لأجاب)، فكان كما قال وقُتل.

وقول الرجل حين قال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كل بيمينك)، قال: لا أستطيع، فما رفعها إلى فـيـهِ.

وفي ترجمة الحارث بن أبي حارثة من الإصابة لابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ، قال: إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطب بنت الحارث، فقال: إن بها سوءًا؟ ولم يـكُن كما قال، فرجع الحارث فوجدها قد بَرصت.

قال العلامة الكبير ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في التُحفة عن البلاء مُوكَّل بالمنطق، ما نـصـه: (وقد رأينا من هذا عِـبـرًا فـيـنا وفي غيرنا، والذي رأيناه كقطرة في بحر). ا.هـ

قلتُ: ومن هذا الباب ما يفعله كثير من الناس، خشية الإصابة بالعين أو بالحسد أو بغيرهما، من الأعذار الوهمية والتي تنقدح في ذهنه بسبب وسوسة الشيطان لـهُ، من إظهار المرض في نفسه أو ولده، ويشتكي كثيرًا وهو صحيح سليم، من كذا وكذا وأن في ابنه كذا وكذا، وفي زوجـه كذا وكذا من الأوجاع، وهو كاذب في ذلك كله، لِـيطرد ويُـبـعِـد في زعمه العين عن أهله!!

ويُروى مرفوعًاولا يصح: (لا تـتمارضوا فتمرضوا)، وهذا معناه صحيح وواقع.

وهناك فرقٌ: بين هذه الصورة وهي: ادِّعاء المرض والبلاء وأنت مُعافى سليم، وبين إخفاء النعمة ابـتـداءً خشية العين، فهذا الأخير جائز بل هو من جنس التوكل على الله.

قال نبي الله يعقوب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾.

وثبت بالحديث الصحيح: (استعينوا على إنجاح حوائجكم بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود).

وقد قال العلامة ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره، عند قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾، مـا نـصـه:

(ومن هذا يؤخـذ الأمر بكتمان النعمة حتى توجد وتظهر). ا.هـ

وقال الفقيه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الزاد: (سِتر محاسن من يخاف عليه العين). ا.هـ

جـ ظلمت نفسك بهذه الكلمات وإن لنفسك عليك حقًا ومن حقها عليك أن لا تستحقرها، ولا تتنقص منها، ولا تعيبها، ولا تزدريها.

د تشبهت بالمنافق الذي قال لهُ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كُل بيمينك، ومعلوم أنـه لا يلزم من التشبُّه القصد!!

طيب ما هو الحل؟ ما هو الصواب؟ ماذا نقول؟

الجواب أن تقول: سأُحاول - أرجو - بإذن الله - بحول الله، ونحوها من عبارات التفاؤل، وأنت مأجور بها على كُل حال، لأن الكلمة الطيبة صدقة، ولو لم يقع ما تُريد، ونِيَّة المؤمن أبلغ من عمله كما هو مُقرر، وأبذل الأسباب الحسية والشرعية في ذلك كُله.

٧ - (علاقة اللون الأبيض بالتفاؤل)

جاء في السُّنة النبوية استحباب لبس البياض من الثياب وتكفين الميت بها، وكان لِواؤه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين دخل مكة أبيض. [**سُنن أبي داود وصححه الألباني**].

قال الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: (تفاؤلًا بأن العبد يُقدِم على ربه، وقد نقي بدنه من الأدناس وصار أبيض، وأنه من الذين تبيض وجوههم). ا.هـ [**من التنوير شرح الجامع الصغير ٣/ ١٨٢**].

وفي مصنَّف الإمام ابن أبي شيبة الكوفي رَحِمَهُ اللَّهُ: عن عبد الله بن قيس بن عباد، عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه أوصى فقال: كفنوني في بردي عصب، وجللوا سريري بكسائي الأبيض الذي كنت أُصلي فيه. ا.هـ

وفيه أيضًا: عن حارثة بن مضرب العبدي، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان سيما أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم بدر الصوف الأبيض. ا.هـ

وفي صحيح ابن حبان رَحِمَهُ اللَّهُ **من حديث ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال**: (رأى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على عُمر بن الخطاب ثوبًا أبيض، فقال: أجديد قميصك أم غسيل؟ فقال: بل جديد، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: البس جديدًا، وعش حميدًا، ومت شهيدًا). ا.هـ

٨ - (التفاؤل في شِعارات الحروب)

في الجهاد الشرعي لا البدعي!!! فتنبَّه ولا تكُن من.....؟

جاءت السُّنة بِشِعارات مليئة بالتفاؤل والنصر والظفر، فمنها:

أ عن سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: غزونا مع أبي بكر زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكان شِعارنا: أمِتْ أمِتْ. ا.هـ [**من سُنن أبي داود وصححه: الحاكم، والذهبي، والألباني**].

ب وعن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال لنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنكم ستلقون العدو غدًا، وإن شِعاركم: حم لا يُنصرون. ا.هـ [**من مُسند الإمام أحمد وغيره: وصححه الحاكم، والذهبي، والألباني**].

جـ وعن سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان شِعار المهاجرين: عبد الله، وشِعار الأنصار: عبد الرحمن. ا.هـ [**من سُنن أبي داود**].

قلتُ: ومن دُرر الشيخ العلامة بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ، ما ذكره تحت حديث أبي عقبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: شهدت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُحُدًا فضربت رجلًا من المشركين فقلت: خذها مني وأنا الغُلام الفارسي، فالتفت إليَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: (فهلَّا قلت: فخذها مني وأنا الغُلام الأنصاري). اهـ.

قال الشيخ بكر رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولا يردُ على ذلك اسم: سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فالنهي هنا: عن اتخاذ النسبة إلى المشركين، وعبدة النار شِعارًا في الحروب ونحوها). ا.هـ [**من معجم المناهي اللفظية ص٤١٢**].

قلتُ: ونظيره من وجهٍ ما في مُستدرك الحاكم وصححه ووافقه الذهبي قال:

سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلًا ينادي في شِعاره يا حرام يا حرام، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يا حلال يا حلال). ا.هـ

د **قال أبو بكر بن أبي شيبة** رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثنا وكيع (ابن الجراح)، قال: حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه (عُروة بن الزبير)، قال: كان شِعار المسلمين يوم مُسيلمة: يا أصحاب سورة البقرة. ا.هـ [**من مُصنف ابن أبي شيبة (١٨ / ١٧٨ / ٣٤٢٥٧)، وإسناده صحيح**].

ر وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان شِعار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (يا كُـلَّ خَـيْـرٍ). ا.هـ[**من مجمع الزوائد للهيثمي**].

ن **وقال ابن حجر** رَحِمَهُ اللَّهُ **في الإصابة**: في ترجمة صخر بن حرب أبو سُفيان القرشي، والد خال المؤمنين مُعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ما نصه:

(روى يعقوب بن سفيان وابن سعد بإسناد صحيح، عن سعيد بن المسيّب، عن أبيه قال: فقدت الأصوات يوم اليرموك، إلا صوت رجل يقول: **يا نصر الله أقترب**، قال: فنظرت فإذا هو: أبو سُفيان، تحت راية ابنه يزيد). ا.هـ

قلتُ: وكان هـذا شِعارهم فيها: (**يا نصر الله أقترب**).

و وفي مُستدرك الحاكم وصححه: عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: وفد على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أربعة مائة رجل من أزد شنوءة، فقال لهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مرحـبًا بالأزد، ..... شِعاركم يـا مبـرور. ا.هـ

قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ **في نيل الأوطار**: (حم لا يُنصرون: هذا اللفظ فيه التفاؤل بعدم انتصار الخصم، مع حصول الغرض بالشِعار وهو العلامة في الحرب،..... وقوله: أمِتْ أمِتْ: أمر بالموت، وفيه التفاؤل بموت الخصم). ا.هـ

وقال الواقدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه فتوح الشام: (عن عطاء بن مراد قال: سألت رجالًا عِدة: ما كان شِعار المسلمين يوم اليرموك، فأُخبرت.....، أن شِعار خالد ومن معه يا حزب الله، وشِعار حِميَر الفتح، وشِعار دارم الصَبر الصَبر، وشِعار بني مراد يا نصر الله أنزل، **يا نصر الله أقترب**). ا.هـ

وقال العلامة الزَّبيدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تاج العروس: (أمِتْ أمِتْ: هو تَفاؤلٌ بالنَّصرِ بعد الأمْرِ بالإمَاتَةِ). ا.هـ

٩ - (التفاؤل في الخبر الذي بمعنى الدعاء والرجاء)

في قوله: (حم لا يُنصرون): تنازع فيها فريقان، فبعضهم قال: يُريد به الخَبر لا الدُّعاء، لأنه لو كان دعاء، لقال: لا يُنْصرُوا مجزومًا، فكأنه قال: والله لا يُنصَرُون.

والفريق الآخر قال: بل هذا دعاء، وجزم به بعض أهل العربية.

والصواب الذي لا ريب فيه: أنه خبرٌ بمعنى الدعاء.

كما تقول لشخص: غفر الله لك - شكر الله سعيك - رحمك الله - طال عُمرك - حسيبك الله - السلام عليكم - ذَنب مغفور - تقبل الله طاعتك، ونحوها.

كُل هذه بمعنى الدعاء، وقد ثبت بالحديث: (رحم الله عبدًا سمحًا إذا باع.....)،، (رحم الله رجلًا سمع مقالتي.....)،، ونحوه.

فهذا الكلام بصيغة الخبر، والمراد منه الإنشاء الطلبي، والنُكتة فيه: هي التفاؤل بحصوله ووقوعه، وكأنه وقع وانتهى وحصل، ونُخبر به ونُعبِّر عنه بصيغة

الماضي، وهذا كُله فيه حُسن ظن بالله في حصول هذا المطلوب والمحبوب والمرغوب.

لذلك تجدون يا إخواني العُلماء رحمهم الله يقولون: إذا ذُكِر اسم الصحابي: رضي الله عنه.

ولا يقولون: يَرضى الله عنه.

يقولون مثلًا الإمام مالك: رحمه الله، ولا يقولون: يَرحمه الله.

وكلا اللفظين جائز، ولكن التعبير بالفعل الماضي، فيه معنى التفاؤل والرجاء، وكأنه وقع ومضى وحصل وأخبر عنه، هل فهمتُم يا إخواني: رضي الله عنكم.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾.

فتقول لآخر: سعيكم مشكور، اقتباسًا منك للآية.

وفيها فائدتان:

أ الدعاء له.

ب التفاؤل أن يكون يوم القيامة ممن قال الله فيهم ذلك.

ومن ذلك قول: طَهُورٌ إن شاء الله للمريض، والصائم إذا أفطر: ذهب الظمأ وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله.

فهذا خبرٌ بمعنى الدعاء، وهو من التفاؤل والرجاء في وقوعه وتحققه.

وأقولها بصراحةٍ وأعلم أن كثيرًا من المتعالمين الجُهال لِقِصَرِ عِلمه، وقِلَّةِ فهمه، وبَلادةِ فِكره، سيعترض على كلامي هذا المحرّر، ولكنِّي على يقين أن هنا وهناك ثُلَّة صالحة، ستفهم ما أقول:

عَليَّ نَحْتُ القَوافي من معادِنِها ... وَمَا عَليَّ بأن لا تَفْهَم.....

هناك كلمات خبرية وجُمل خبرية عُلِّق فيها على أمر مُستقبل، يقولها الناس أو تجري على ألسنتهم ولا يقصدون فيها إلا الخير، لكن ينقُصُهم التوجيه والتعليم برفقٍ ولُطفٍ ولينٍ وحكمة.

مثلًا قولهم: المرحوم فلان، المغفور له فلان، الشهيد فلان، فلان في الجنة، ونحوها مما يُفهم منه الجزم والقطع بذلك، فكل هذه يجوز أن تُقال بشرط أن يُضيف الاستثناء: (إن شاء الله) أو (بإذن الله).

وإذا لم يقُل إن شاء الله أو بإذن الله، وقع في المحظور، وأساء الأدب مع الله سبحانه، وأخبر بخبرٍ غيبي لا يعلمه إلا الله.

بمعنى: لا يجوز للعبد أن يُخبر خبرًا محضًا يجزم به، بأن فلان بعينهِ: مرحوم أو شهيد أو مغفور لهُ، وما أدراك يا أخي؟! أطّلعت الغيب!!

ويجوز لهُ أن يُخبر خبرًا بمعنى الدعاء والرجاء والتفاؤل، مقرونًا بالمشيئة.

كقول: حجٌ مبرور إن شاء الله أو صلاة مُتقبلة أو صيام مقبول أو عُمرة متقبلةٌ، وهكذا تقرَن المشيئة بخبرك، وبهذا التفصيل تجتمع الأدلة ولله الفضل والمنّة.

فالأخبار التي بمعنى الدعاء يجوز الاستثناء فيها، بخلاف الدعاء الإنشائي الطلبي، فهذا جاء النهي عن الاستثناء فيه، فاحرص على هذا التفريق اللطيف الذي لا تجده إلا هُنا.

قال العلامة ابن الملقن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (واعلم أن ما جاء من الدعاء بصيغة الخبر، مثل: سمع الله لمن حمده، وغفر الله لنا، ورضي عنا، وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وسلم، ونحو ذلك، قد قيل: إنه من باب التفاؤل بإجابة الدعاء، وكأنه وقع واستُجيب، وأخبر عن وقوعه). ا.هـ [**من الإعلام بفوائد عمدة الأحكام**].

قلتُ: وقال بعض أهل العِلم: (**من البلاغة وضع الخبر موضع الإنشاء، والهدف منه هو: التفاؤل بتَحَقّق المطلوب، كالدُّعاء بصيغة الخبر تفاؤلًا بالاستجابة، ومنه قول**

الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (غِفَارُ غفر اللهُ لها)، غَفر: فعل ماضٍ، فالصيغةُ خبر، وقد وُضِع موضع الإنشاء، إذ المعنى: اللّهُم اغفِر، والهدف منه التفاؤل باستجابة الدعاء). ا.هـ

دُرة نفيسة: كما سَبق تقريره وبيانه فاستخدام الخبر بمعنى الدعاء فيه التفاؤل بأن يستجيب الله سبحانه وتعالى لهذا الدعاء، ويتحقّق في الواقع حتى يكون خَبرًا واقعًا.

قال نبي الله يوسف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لإخوته: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

فقوله: يغفر الله لكم: خبر بمعنى الدعاء. ا.هـ [**هذه الفائدة البديعة والجيدة قرأتها في كتاب: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، للأستاذ: عبد الرحمن بن حسن الميداني نفع الله به، بتصرف يسير**].

قال أحمد بن علي السُّبكي (ت ٧٧٣ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: (الخبر قد يقع موقع الإنشاء، أي: صيغته وهي ما ليست من صيغ الإنشاء، قد تُستعمل ويُراد بها الإنشاء، وذلك للتفاؤل، نحو: غفر الله لك، فإنه أبلغ من: ربِّ اغفر له، فإن صيغة: غفر، أصلها للمُضي، والماضي لا يتعلّق به الطلب، فالتعبير عنه بذلك يحصل به تفاؤل ومَسرّة، ولقصد التفاؤل سُمّيت الفلاة: مفازة، والعطشان: ناهلًا، واللّديغ: سَليمًا). ا.هـ [**بتصرف من: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**].

وقال محمد بن يوسف الكرماني (ت ٧٨٦ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: (قد يوضعُ الخبرُ مَوضعَ الطَّلب إخراجًا للكلام لا على مُقتضى الظَّاهر، وذلك لوُجوهٍ من الأغراض:

منها التَّفاؤلُ بالوقوعِ، كما إذا قيل لك في مقام الدُّعاء: وفَّقك الله للتَّقوى، بدل قوله: اللَّهمَّ وفِّقه له، كأنَّه يتفاءلُ بلفظ المُضيِّ على عَدِّه من الأمور الحاصلة التي

حقُّها الإخبارُ عنها بأفعال ماضية، ومن التَّفاؤل تسميةُ المفازة: للفلاة المهلكة، والنَّاهل وهو الرَّيّان: للعَطشان، والسَّليم وهو ذُو السَّلامة: للَّديغ، إطلاقًا للضدِّ على الضِّدِّ تفاؤُلًا به، واحترازًا عن التلفُّظ بالفلاة، والعطشان، واللَّديغ). ا.هـ [**بتصرف من: تحقيق الفوائد الغياثية**].

فائدة غالية وعالية: قال الشيخ العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لا بأس طهورٌ إن شاء الله، هذا تفاؤلًا ورجاءً أن يكون طهورًا إن شاء الله، ومن باب حُسن المخاطبة، والتبشير بالخير، فهذا من باب الخبر والرجاء). ا.هـ [**من كتاب: الفوائد الجلية من دروس الشيخ ابن باز العلمية، ص١٠، ط: دار طيبة، باعتناء الأخ: علي بن مفرح الزهراني نفع الله به**].

١٠ - (التفاؤل في كلام العرب)

ومن صور التفاؤل: إطلاقهم (أي: العرب) عبارات تفاؤلية جميلة منها:

المفازة للمهلكة - السليم للَّديغ - مَطبوب للمسحور - صحيح للسقيم - جبير للكسير ومنه: الجبيرة تفاؤلًا بجبر الكسر - صالح للمريض.....إلخ.

وكما أن من عادتهم أنهم يُكنُّون ما يستقبحونه عادة كالرفث والغائط، كذلك فعلوا هُنا فيما يكرهونه، وفيه تفاؤل.

قلتُ: ويُقال في كُنية الدُّنيا: أمُ دَرَن، والدَرَن الوسخ.

قال ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الروضة: (وكانت العرب تُكنِّي العجلة: أم الندامات). ا.هـ

وثبت بالسُّنة النبوية تكنية بعض الأمراض كالحمى بأمِّ مِلْدَم، ورُوي أم الصِّبيان في ريح تضرُّهم، ونحوه في أم الخبائث وهي الخمر.

ويُروى أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احتجم مرة في مقدم الرأس وكان يُسمِّيه أم مغيث، واحتجم مرة في النقرة وسماها: النافعة، والكاهل وسماها: المغيثة، ووسط الرأس وسماها: منقذة.

بل وصل بهم الحال إلى تكنية الموت نفسه فقالوا: أمُّ اللُّهَيم، ولعلَّ من هذا الباب قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إن الله تعالى لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء إلا الهرم)، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام)، فالهرم والسام: الموت. ا.هـ [**وقد أخبرني أخي الشيخ المفيد فالح بن جبر التليعة الفضلي نفع الله به، أن بعض الناس في وقتنا الحاضر يُطلقون على مرض السرطان (المكفِّي: أي يَكفيك الله خطره وشره)، وهذا بلا شك جار على سَنن العرب في تكنية ما يكرهونهُ ويستقبحونهُ**].

قال أبو العباس النحوي رَحِمَهُ اللَّهُ **في كامله:**

ترى القومَ منها مُطرقينَ كأنما تَساقَوا عُقارًا لا يَبلُّ سَليمُها

(والسليمُ): الملسوع، وقيل له سَليم على جهة التفاؤل.

تقولُ ابنةُ العَمريِّ مَالَكَ بَعدَما أراكَ صَحيحًا كالسَّليمِ المُعَذَّبِ

وفي حلية الأولياء: قال ضرار بن ضمرة الكناني رَحِمَهُ اللَّهُ يصفُ أمير المؤمنين الشهيد علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

(ويحب المساكين لا يطمع القوي في باطله ولا يـيأس الضعيف من عدله، فأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه بميل في محرابه قابضًا على لحيته يتململ تململ السليم). ا.هـ أي: اللّديغ.

وقال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في غريب الحديث: (يقال بفلان وضَح أي: بياض يُكنّون به عن البرص). ا.هـ

ولأهل المغرب الأقصى في زماننا هذا عبارات يُطلِقونها في عُرفِهم يُريدون بها التفاؤل، ومن ذلك: (الروضة)، ويقصدون فيها المقبرة تفاؤلًا أن تكون على الميت روضة من رياض الجنة، وهذا بناءً لما يُروى في سُنن الترمذي مرفوعًا: (إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حُفرة من حفر النار).

ويقولون: (العافية)، ويقصدون فيها النار، وأن يبرأ من مسّتهُ ويكون في عافية منها.

قال العلامة خير الدين الزركلي (ت ١٣٩٦ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كان قدماء العرب يقولون للعاثر- أي: الذي سقط على الأرض -: لعًا، وأهل مصر يقولون: يا ساتر، وأهل الشام يقولون: الله، وأما في الحجاز فقد أعجبني قولهم للعاثر: سلمت). ا.هـ **[قال ذلك في رحلته إلى الحجاز من كتابه: ما رأيت وما سمعت من دمشق إلى مكة، ص ١٦٠]**

قلت: وأهل نجد يقولون كذلك لكن بلفظ: إسلم إسلم، ولا شك أن هذه اللفظة فيها التفاؤل بالسلامة من السوء والمكروه.

وقد ثبت في الحديث أيضًا: أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال للصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يومًا: (انطلقوا بنا إلى بني واقف، نزور البصير، رجُلٌ كان مكفوف البصر). ا.هـ **[المعجم الكبير للطبراني، والبزار في مُسنده واللفظ له، وجوَّد المنذري إسناده، وصححه الألباني، واسم هذا الصحابي: عُمير بن عَدي بن خرشة الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قارئ بني خطمة، وكان أعمى، فائدة: قال ابن دريد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الجمهرة: (وقد سمّت العرب بصيرًا، ويُكنّون الضرير أبا بصير تفاؤلًا). ا.هـ]**.

قال الجاحظ: (قالوا لشمال اليدين يسار لأن اسمها العسراء، فتفاءلوا باليسار من اليسر). ا.هـ[**من ربيع الأبرار للزمخشري**].

وقال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد النحوي (ت٢٨٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ويكون من الكناية، وذاك أحسنُها، الرغبةُ عن اللفظِ الخسيس المُفْحِش، إلى ما يدل على معناه من غيره،..... ومن ذلك قولهم: جاء فلان من الغائط، كنايةٌ عن الحَدَث، وإنما الغائطُ الوادي). ا.هـ[**من الكامل في اللغة والأدب ٢/ ١٠**].

وقال الفيومي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في المصباح المنير، مادة (ق ف ل)**: (ومن قال القافِلةُ الرَّاجعة من السفر فقط، فقد غَلِطَ بل يُقال للمبتدئة بالسَّفر أيضًا تفاؤلًا لها بالرجوع). ا.هـ

وقال الأزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تهذيب اللغة**: (لأن العرب لم تزل تُسمِّي المُنشئة للسفر قافلة على سبيل التفاؤل، وهو سائغ في كلام فُصحائهم إلى اليوم). ا.هـ

قلتُ: ونظير هذه كلمات كثيرات، أختارُ منها ما يلي:

أ الوَدَاع: بالفتح، وهو تخليفُ المسافِرِ الناسَ خافِضينَ، وهم يُودِّعونَهُ إذا سافر، تفاؤلًا بالدَّعَة التي يَصيرُ إليها.....، والدَّعَةُ: السَّعة في العيش والرَّاحة. ا.هـ[**قاله: الفيروز آبادي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في القاموس المحيط**].

ب الحَنَف: الاستقامةُ، وإنما قيل للمائل الرِّجْلِ أحنف، تفاؤلًا بالاستقامة. ا.هـ[**قاله: ابن منظور** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في لسان العرب**].

جـ الغلام: هو الشاب من الناس، الذي طرّ شاربه، ويُطلق على الطفل على سبيل التفاؤل. ا.هـ[**قاله: أبو حيان الأندلسي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تفسيره البحر المحيط**].

د **قال ابن دريد الأزدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في كتابه الجمهرة**: (سألت أبا عثمان عن اشتقاق العِرس؟ فقال: تفاؤلًا، من قولهم: عَرِسَ الصبيُ بأُمِّهِ، إذا ألِفَها). ا.هـ

س يقولون: تَنعَّم الرجل، إذا مشى حافيًا.

ص ويقولون: وإنما قيل للعطشان ناهل على وجه التفاؤل لهُ بالريِّ.

ع ومن ذلك ما قاله غير واحد من أهـل العِلم في (العيد)، لعوده وتكرُره بما يفرح الإنسان.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بدائع الفوائد: (فإن قيل: فكيف يمكنكم رد السُّلَّم إلى هذا الأصل؟ قيل: ذلك ظاهر، فإن الصاعدَ إلى مكان مُرتفع لما كان مُتعرِّضًا للهُوِيِّ والسقوط، طالبًا للسلامة راجيًا لها، سُمّيت الآلة التي يتوصل بها إلى غرضه: سُـلَّـمًا، لتضمنها سلامته، إذ لو صَعِد بتكلُّف من غير سُلَّم لكان عَطَبه مُتوقعًا، فصح أن السُّلَّم من هذا المعنى). ا.هـ

١١ - (التفاؤل في مُخالفة الطريق)

قد جاءت السُّنة النبوية بمُخالفة الطريق في مواسم العبادات والخيرات: كالحج والعيد.

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قيل للتفاؤل بتغير الحال إلى الرضى والمغفرة، فإنه يُـرجى لمن شهد العيد أن يرجع مغفورًا له). ا.هـ[**من فتح الباري ٦/ ١٢٩**].

وقال ابن الملقن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (في حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل مكة من كَداء، من الثنية العليا التي بالبطحاء، وخرج من الثنية السفلى، وإنما فعل صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه المخالفة داخلًا وخارجًا تفاؤلًا بتغير الحال إلى أكمل منه كما في العيد، ويشهد له الطريقان ولتبرك أهلها). ا.هـ[**من شرحه على عمدة الأحكام**].

١٢- (التفاؤل في الاسم الحسن)

قال نجم الدِّين الغزِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ينبغي التسمية بأسماء الصالحين تفاؤلًا، وتحسين التسمية بتغيير الاسم القبيح، فالاسم الحسن سُنة معروفة.

روى الإمام أحمد، وابن أبي شيبة، ومسلم، والترمذي: عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: بعثني رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى نجران، فقالوا: إنكم تقرؤون: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾، وبين موسى وعيسى ما شاء الله من السنين، فلم أَدرِ ما أُجيبهم به حتى رجعت إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: (إنَّهم كانُوا يُسمَّونَ بأنبيائهم، والصَّالِحِينَ قبلَهُم).

وروى ابن عساكر: عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (ما من قوم يكون فيهم رجل صالح فيموت، فيخلف فيهم مولود فيُسمُّونَـهُ باسمه إلا خلفهم الله تعالى بالحسنى).

وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اطلبوا الخير عند حسان الوجوه، وتسمَّوا بخياركم، وإذا أتاكم كريم قوم فأكرموه).

وذكر الحاكم في (تاريخه): عن محمد بن نصر المروزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنه كان يتمنى على كبر سنه أن يولد له.

قال الحاكم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فبينا أنا عنده يومًا وإذا برجل من أصحابه، وقد جاء وسارَّه في أذنه، فرفع رأسه، وقال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ ﴾، ثم مسح وجهه بباطن كفه، ورجع إلى ما كان فيه.

قال الحاكم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فرأينا أنه استعمل في هذه الكلمة ثلاث سُنن: تسمية الولد، وحمد الله على الموهبة، وتسميته إسماعيل لأنه ولد على كبر سنه.

وقد قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾، انتهى.

قلتُ (نجم الدِّين الغزِّي): ومما اتفق لشيخ الإسلام الوالد من اللطائف، وقد بُشِّر بولد على كبر سنه، قوله:

قد بشروني بغلام ** قلتُ إذ صحَّ الخبر
الحمد لله الذي ** وهب لي على الكِبر)

ا.هـ [من كتابه الجميل: حُسن التنبُّه لما ورد في التشبُّه ٢/ ٥٦٦].

وفي تاريخ دمشق عند ترجمة الصحابي الجليل طلحة بن عُبيد الله التيمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحد العشرة المبشرين بالجنة، وفيه: (عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي رَحِمَهُ اللَّهُ قال: مر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة ذات قرد على ماء يُقال لهُ بيسان، فسأل عنه فقيل: اسمه يا رسول الله بيسان وهو مالح، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا بل هو نعمان وهو طيب، فغيَّر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الاسم، وغيَّر الله الماء). ا.هـ

قلتُ: فانظر لمّا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا بل هو نعمان وهو طيب)، كيف صار الأمر، وهذا من الخير المُوكَّل بالمنطق، ومن التفاؤل الحسن بتغيير حاله عند تغيير اسمه، وتغيير الاسم الغير حسن إلى الاسم الحسن من التفاؤل المطلوب شرعًا.

ولي مؤلف مطبوع منذ سنوات اسمه: (القول المليح في تغيير الاسم القبيح)، ذكرتُ فيه اسماء (١٤٥) شخصًا من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ غيَّر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسمائهم طلبًا للتفاؤل.

بل تغيير الاسم طلبًا للفأل الصالح: شَمل حتى الحيوانات والجمادات والجبال والمُدن والقُرى والآلات وغير ذلك، وقد ذكرتُ هذا كُله بأدلته من الكتاب والسُّنة وآثار سلف الأُمة وأقوال العلماء المتنوعة، في الكتاب المشار إليه ولله الحمد ربِّ العالمين.

ومن العجائب السَّلفية في هذا الباب، ما جاء في تأريخ ابن أبي خيثمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ وفيه: (كان طلحة بن عُبيد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يُسمِّي ولده بالأنبياء، والزُّبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يُسمِّي ولده بالشهداء، قال: فقال لهُ طلحة: ولدي أفضل من ولدك، أنا أُسمي بالأنبياء، وأنت تُسمِّي بالشهداء، فقال الزُّبير: إني أطمع أن يكون ولدي شهداء، وليس تطمع أن يكون ولدك أنبياء). ا.هـ

فأين هذا من أشباه الذكور في زماننا هذا، وتسميتهم لأبنائهم بأسماء الفاسقين والماجنين والساقطين ومن لا خلاق لهم في الدِّين.

وهؤلاء المخنثين وأضرابهم هُم من أسباب الهزيمة النفسية عند بعض المسلمين، فلا تُنصر الأُمم بنِصف ذَكَر ولا أقول رجل، لأن هذه الكلمة هُم أصغر منها وأَلأَم، فتُفٍّ لهُم وأُف.

١٣- (الانتقال والتحول للأفضل من أصول التفاؤل)

ثبت بالحديث: أن رجلًا قال: يا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنا كنا في دارٍ كثير فيها عددنا، وكثير فيها أموالنا، فتحولنا إلى دار أخرى، فقلّ فيها عددنا، وقلّت فيها أموالنا، فقال لهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ذروها ذميمة).

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح السُّنة: (فأمرهم بالانتقال ليزول عنهم ما يجدون من الكراهية، لا أنها سبب في ذلك).ا.هـ

قلتُ: وعندي عِلّة أقوى مما ذكره البغوي وهي: أنه أمرهم بالتحول طلبًا للفأل الصالح، بتحول حالهم السيئة إلى حسنة، ونظيره تمامًا ما سيأتي بيانه في الفقرة العظيمة برقم: (٥١) معالجة الأمور بأضدادها، وفروع هذه الفقرة، وضربنا الأمثلة الكثيرة جدًا لذلك.

لا يصلحُ النَّفسَ إذا كانت مدبرةً ** إلا التنقلُ من حالٍ إلى حالِ

وقد جاءت السُّنة لمن رأى رؤية مكروهة أن يتحول من الجنب الذي كان عليه إلى الجنب الآخر، وعلَّلوا ذلك تفاؤلًا بتحول الحال المكروهة إلى حسنة.

ولهذا نظائر في السُّنة النبوية فمنها: الناعس يوم الجمعة مأمور أن يتحول من مكانه،قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(إذا نعس أحدكم يوم الجمعة فليتحول.....الحديث).

وقال: (إذا نعس أحدكم وهو في المسجد فليتحول.....الحديث).

وقصة بلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين قال: يا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أخذني النوم، فأمرهم فتحولوا من مكانهم ذلك.

والشاهد: أن النعاس في العبادة من الشيطان، ولا شك أن الجالس في المسجد أو في مجلس العِلم، أنه في عبادة، وتغيير المكان الذي حضره الشيطان إلى مكانٍ آخر، رجاءً وتفاؤلًا أن يحول الحال المكروهة إلى حال حسنة.

لذلك في الصحيح في قصة الرجل الذي تكلم على أبي بكر الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فردَّ عليه بعض قوله، حينها قام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من المجلس الذي حضره الشيطان.

وهذا الفعل، أعني: التحول طلبًا للأفضل والأكمل موافق لأصول شرعية كثيرة جدًا في السُّنة النبوية، أسوق متونها فقط لكثرتها لمن تأمل ذلك، فمنها:

التحول من دار الكفر والفسق إلى دار الإسلام والإيمان بالهجرة في سبيل الله، ومن الجاهلية إلى الإسلام، ومن ظلمة المعصية والبدعة إلى نور الطاعة والتوبة والسُّنة.

ومن الخلاف إلى الوفاق، ومن الافتراق إلى الاجتماع، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ما لي أراكُم عِزين؟).

وفي مُسند الإمام أحمد: أن رجلًا جاء والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخطب، فقعد في الشمس، فأمره أن يتحول إلى الظل.

وفي صحيح مسلم: قصة الرجل الذي قتل تسعةً وتسعين نفسًا، فأمره العالم أن يتحول عن أرضه أرض السوء.

ونحو ذلك الحِكمة من تغريب الزاني.

ونحو ذلك في الحالات التي تعتري الإنسان أُمِرَ عند الغضب بالتحول من القيام، إلى الجلوس، فالاضطجاع.

وأَمَرَ من أسلم أن يغتسل فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أذهب فاغتسل بماء وسدر، وألق عنك شعر الكفر).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا انقطعت رحمه وصلها).

وأُمِرنا حين الجدب بالاستسقاء.

وفي الصحيح قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اقرؤوا القرآن ما ائتلفت قلوبكم فإذا اختلفتم فقوموا عنه)، وغيرها من النصوص العديدة.

وأُمِرنا: (بإتباع السيئة الحسنة تمحها)، وهذا يشمل الأخلاق والهيئات والأوصاف والأسماء والعقائد والآداب وغيرها، بمعنى: الانتقال من الحال السيء إلى الحال الحسن في كل شيء من أمر الدِّين والدُّنيا.

وليس الأمر مُتعلقٌ بالإنسان فقط، بل إذا رأينا تغيُّرًا بالآيات الكونية من الكسوف والخسوف والزلازل والفتن، أُمِرنا بالصلاة والدعاء والصدقة ونحو ذلك، عسى الله أن يُغيِّر هذه الحال بأفضل منها.

في صحيح ابن حبان: عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: (خسفت الشمس على عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فصلَّى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالناس، فقام وأطال القيام ثُم ركع فأطال الركوع ثُم قام فأطال القيام وهو دون القيام الأول، ثُم ركع فأطال الركوع، وهو دون الركوع الأول، ثُم رفع فسجد ثم فعل في الركعة الأخرى مثل ما فعل في الأولى، ثُم انصرف وقد انجلت الشمس فخطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبّروا وتصدّقوا)..

وإذا كانت الصلاة هي الحل والتغيير من الحال السيئة إلى الحال الحسنة في الأمور الكونية، ألا تُغيِّر ما حلَّ بك من الهموم والغموم والقلق والأرق ونحوها من أمورك الشخصية!!! تأمل قليلًا.

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (أخبر الله تعالى أنه لا يُغيّر نعَمه التي أنعم بها على أحد، حتى يكون هو الذي يُغيّر ما بنفسه، فيُغيّر طاعةَ الله بمعصيته، وشكره بكفره، وأسبابَ رضاه بأسباب سخطه، فإذا غَيَّرَ غُيِّرَ عليه جزاءً وفاقًا، وما ربُّك بظلاّم للعبيد، فإن غيّر المعصيةَ بالطاعة، غيّر الله عليه العقوبةَ بالعافية، والذلَّ بالعز). ا.هـ [من الجواب الكافي].

قال الكريم الرحيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٩٧ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝٩٨ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ۝٩٩ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا

وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

فتأمل قول: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾.

قلتُ: والأمر أعمق مما تظُن، وافتح معي مغاليق فكرك وذهنك.

قال العلامة الماوردي(ت٤٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة كتابه الممتع أدب الدُّنيا والدِّين: (فإن شرف المطلوب بشرف نتائجه، وعظم خطره بكثرة منافعه، وبحسب منافعه تجب العناية بـه، وعلى قدر العناية بـه يكون اجتناء ثمرته، وأعظم الأمور خطرًاوقدرًا، وأعمُّها نفعا ورفـدًا ما استقام بـه الدِّين والدُّنيا، وانتظم بـه صلاح الآخرة والأولى، لأنـه باستقامة الدِّين تصحُّ العبادة، وبصلاح الدُّنيا تتمُّ السعادة.

وقد توخيت بهذا الكتاب الإشارة إلى آدابها، وتفصيل ما أجمل من أحوالها، على أعدل الأمرين، من إيجاز وبسط أجمع فيه بين تحقيق الفقهاء وترقيق الأدباء، فلا ينبو عن فهم ولا يدق في وهم، مُستشهدًا من كتاب اللهّ جل اسمه بما يقتضيه، ومن سُنن رسول اللهّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما يُضاهيه، ثُـمَّ مُتبِعًا ذلك بأمثال الحكماء، وآداب البلغاء، وأقوال الشعراء، لأن القلوب ترتاح إلى الفنون المختلفة، وتسأمُ من الفن الـواحـد.

وقـد قـال علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إن القلوب تمل كما تمل الأبدان، فأهدوا إليها طرائف الحكمة، فكأن هذا الأسلُوب يُـحِـبُّ التنقُّل في المطلوب من مكان إلى مكان، وكان المأمون رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتنقل كثيرًا في داره من مكان إلى مكان، ويُنشِد قول أبي العتاهية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا يُـصلِحُ الـنَّفسَ إذا كانـت مُـدبرةً ** إلّا التنقُّـل مـن حـال إلى حـالِ)

ا.هـ

قلتُ: فـخُـذ هذه الدُّرة النفيسة والتي لا توجد في مكان آخـر بهذا التحرير، لأن إثبات المسألة بدليلها تحقيق، وتعضيدها بدليل آخـر تدقيق، والتعبير عنها بفائق العبارة ترقيق، وقد أجتمعت هذه الخصال كلها وزيادة في فقرتنا هذه، والحمد لله ربِّ العالمين، وسيأتي مزيد بيان في الفقرة النافعة برقم (٥١)، وفروعها.

١٤ - (الطفل والتفاؤل)

النسيكة للمولود سُّنة، وقد جاء النهي عن كسر عظامها، تفاؤلًا بسلامة هذا المولود.

وقال العلامة محمد بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حديث: كُل غلام مُرتهن بعقيقته تُذبح عنه يوم سابعه، ما نصه: (وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم سابعه أي: يوم سابع ولادته، بأن تذبح قبل يوم من ولادته في اليوم الذي يَسبق يوم ولادته، فمثلًا: إذا وُلد يوم الأربعاء متى تذبح؟ يوم الثلاثاء، وإذا وُلد يوم الأثنين تذبح يوم الأحد وهلم جرا، وإنما اختير أن تُذبح في هذا اليوم، لأنه مرّت عليه أيام الدهر كُلها، مثلًا: إذا قلنا إنه وُلد يوم الأربعاء، نعد الخميس، والجمعة، والسبت، والأحد، والأثنين، والثلاثاء كل أيام الدهر مرّت عليه، فيكون ذبحها في هذا اليوم تفاؤلًا بطول عُمره، وأن يبقى ما بقيت هذه الأيام، ومن المعلوم أن كُل شيء له أجل، لكن من باب التفاؤل تُذبح يوم سابعه). ا.هـ **[من شرحه على بلوغ المرام].**

وقال العلامة ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقولهم للطفل: غُلام، على معنى التفاؤل، أي: سيَصير غُلامًا). ا.هـ **[كشف المشكل من حديث الصحيحين، وتفسيره زاد المسير في عِلم التفسير].**

١٥ - (التفاؤل بشفاء المريض)

في الصحيحين قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأحد الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (كيف أخي سعد بن عبادة؟ فقال الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: صالحٌ). أي: تفاؤلًا، وإلا فهو في الحقيقة مريض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لذلك قام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعه بضعة عشر صحابيًا يعودونه.

وقال التابعي الجليل إبراهيم النخعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (كانوا يُحبُّون إذا سُئلوا عن المريض أن يقولوا: صالح، ثم يذكرون وَجَعه بعدُ). ا.هـ [**من مُصنف الإمام ابن أبي شيبة**].

ومن مُلح الاستنباطات والتي أصلها الفضل الرباني على العبد المسكين، ما استنبطتُهُ من قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إنما شِفَاءُ العِيِّ السُّؤالُ). ا.هـ [**أخرجه أبو داود في سُننه، وصححه الألباني**].

أن هذا من التفاؤل الجميل؟ كيف؟

وجهُ ذلك: أن العِيِّ: الجهل، ولا شك أن الجهل نوع مرض معنوي، فأطلق الشفاء تفاؤلًا، ثُم أرشد إلى الدواء، وهو: السُّؤال.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **في النونية**:

والجهلُ داءٌ قاتلٌ وشِفاؤُهُ ... أمرانِ في التركيبِ مُتَّفقان

١٦ - (الكلمة الطيبة من التفاؤل)

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا عدوى ولا طيرة، وأُحِبُّ الفأَلَ، قالوا يا رسول الله: وما الفأْلُ؟ قال: الكَلِمةُ الطيّبة)..

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (خَيرُ الفَأل الكَلِمةُ الطيّبة)..

ومن لطائف مُعلِّمي الشيخ الدكتور المفيد: أبو شبيب دغش بن شبيب بن فنيس العجمي حفظه الله وقدس سره وروحه وأمتع به وأطال الله بقاءه، ما حصل معي حين ركبتُ معه بالسيارة ذات يوم، فقال: من أين الطريق، فقلتُ: جهة اليسار، فقال لي: اليَسار؟ فقلت: نعم، فقال: اليَسار اليَسار - وجَعَل يُكرِّرها - فقلتُ: وأنا مُتعجب!! نعم، فقال لي: جَعلك الله من أهل اليَسَار، فقلتُ: آمين، وقد فهمتُ لماذا كرَّرها عليَّ، فاستبشرت بها وتفاءلت، ويقصد: أهل الغِنى والثروة.

وهنا فائدتان:

أ المنتشر في الكتاب والسُّنة التعبير بالشِمال، والتعبير باليسار ويُقصد بها أُخت اليمين موجود في بعض النصوص، لكنه قليل جدًا بالنسبة لِلفظ الشمال.

ب اسم دغش: من الأسماء التي يُستحب تغييرها استحبابًا مؤكدًا، لأن معناه ليس بطيِّب، قال صاحب القاموس وتاج العروس في معناه: الظُّلمَةُ، ولا خير في الظُّلمةِ قط.

١٧ - (من التفاؤل اختيار الزوجة الصالحة)

من صور التفاؤل العجيبة: ما رواه الإمام أحمد في مُسنده عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما رجل وامرأة له في السَّلف الخالي لا يقدِرانِ على شيءٍ، فجاء الرَّجلُ من سفره، فدخل على امرأته جائعًا، قد أصابته مسغبَةٌ شديدة، فقال لامرأتِهِ: أعندكِ شيء؟ قالت: نعم، أبشر أتاكَ رزق الله، فاستحثَّها فقال: ويحك، ابتغي إن كان عندكِ شيءٌ، قالت: نعم، هُنيَّةً، نرجو رحمة الله، حتى إذا طال عليه الطَّوْلُ، قال: وَيْحكِ، قومي فابتغي إن كان عندكِ خبزٌ، فأتيني به، فإني قد بُلِغْتُ وجَهِدتُ، فقالت: نعم، الآن يَنضَجُ التَّنور فلا تَعْجَلْ، فلمَّا أن سَكَتَ عنها ساعةً، وتحيَّنَتْ أيضًا أن يقول لها، قالت هي من عندِ نفسها: لو قُمْتُ فنظرتُ إلى تَنُّوري، فقامت فوجدتْ تَنّورها مَلآنَ جُنُوبَ الغنم، ورحيَيها تطحنان، فقامت إلى الرَّحى، فنفضتها واستخرجت ما في تنُّورِها من جُنُوبِ الغنم.

قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فو الذي نفسُ أبي القاسم بيده، عن قول محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لو أخذت ما في رَحيَيْها ولم تنفُضها لطحنتها إلى يوم القيامة.

وفي رواية أخرى قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دخل رجل على أهله، فلمَّا رأى ما بهم من الحاجة، خَرَجَ إلى البَرِّيَّة، فلما رأت ذلك امرأته قامَتْ إلى الرَّحَى، فوضعتْها، وإلى التَّنُّور فسجرتهُ، ثم قالت: اللهُمَّ ارزُقنا، فنظرت فإذا الجفنة قد امتلأتْ، قال: وذهبت إلى التنور فوجدته ممتلئًا.

قال: فرجع الزَّوجُ، فقال: أصبتُم بعدي شيئًا؟ قالت امرأتُه: نعم من ربِّنا، قام إلى الرَّحى، فذُكِرَ ذلك للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: (أما إنه لَوْ لَمْ يَرْفَعْها، لم تزل تدور إلى يوم القيامة). ا.هـ

قلتُ: قارن بين هذه الزوجة وبين زوجة إسماعيل عليه السلام، حين قالت لأبيه إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد شكت إليه الحال: (نحن بشرٌّ وفي ضيقٍ وشدة،.... الحديث)، فأمره أن يُغيِّر عتبة بابه فيُطلِّقها، ففعل، والقصة في الصحيح، **فما أكثر النساء في زماننا الذين نحتاج أن نأخذ بوصية خليل الله فيهنَّ!!!**

وقال الفاروق عُمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ما استفاد رجل - أو قال: عبد - بعدَ إيمانٍ بالله خيرًا من امرأة حسنةِ الخلُق، ودودٍ وَلود، وما استفاد رجل بعد الكفر بالله شرًا من امرأة سيئة الخلُق، حديدةِ اللسان، ثُم قال: إن منهنَّ غُنْمًا لا يُحذَى منه، وإن منهنَّ غُلًا لا يُفدَى منه).ا.هـ [**رواه ابن أبي شيبة في المصنف برقم (١٧٤٢٧)، وسنده موقوف صحيح**].

١٨ - (التفاؤل بتقديم كُل ما قدمه الكتاب والسُّنة)

من صور التفاؤل العجيبة والنادرة، القاعدة الجليلة التي ذكرها جمعٌ من أهل العِلم ومنهم: الزركشي والسيوطي وابن القيم وغيرهم، أن العرب في مخاطباتهم وفي كلامهم يُقدِّمون الأهم فالأهم أي: لا يُقدِّمون إلا ما يعتنون به غالبًا.

قال الزركشي رَحِمَهُ اللَّهُ: (من عادة العرب الفصحاء إذا أخبرت عن مخبر ما وأناطت به حكمًا وقد يشركه غيره في ذلك الحكم أو فيما أخبر به عنه وقد عطفت أحدهما على الآخر بالواو المقتضية عدم الترتيب فإنهم مع ذلك، إنما يبدءون بالأهم والأولى، قال سيبويه رَحِمَهُ اللَّهُ: كأنهم إنما يقدِّمون الذي بيانُهُ أهمُّ لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعًا يُهمّانِهم ويَعنيانِهم). ا.هـ[**الكتاب (١/ ٥٤)، والإتقان (٢/ ٣٥)، والبرهان ص٧٧١، وبدائع الفوائد (١/ ١٠٦ إلى ١٤٢) و(٢/ ٤٦٣)، وقد ذكر صورًا كثيرة وجميلة لهذه القاعدة**].

قلتُ: والقرآن نزل بلغة العرب، فما قدمهُ قدمناه وما أخرهُ أخرناهُ، وقد ذكر الزركشي وتبعه السيوطي عِدَّة حِكَم في القرآن لأسباب التقديم والتأخير وأسرار ذلك، فمنها على سبيل الإيجاز الشديد:

التعظيم كقوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [المائدة:٩٢].

التشريف كقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ [الفتح:٢٧]، والحلق أفضل من التقصير.

وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة:٤٣]، فبدأ بالصلاة لأنها أهم.
وقال أيضًا: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التغابن: ٨]،: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة:٦٢]،: ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ﴾ [البقرة: ١٧٨].

وقال سبحانه: ﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء:١]، فقدَّم الرجال على النساء.

وقال: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم: ٢١]،: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الأعراف:١٢٢].

وقال العليم: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾، فالعِلم قبل القول والعمل، وعليه بَوَّب البخاري، في كتاب العِلم، من الجامع الصحيح، **وقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فبدأ بالعِلم)**.

وسُئل الإمام سُفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن فضل العِلم، فقال: (ألم تسمع إلى قوله تعالى حين بدأ به، فقال سبحانه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، ثُم أمره بالعمل، فقال سبحانه: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾). ا.هـ [**من حلية الأولياء ٧/ ٣٣٥/ ١٠٧٥٣**].

وقال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، فقدَّم المغفرة على العذاب، كما جاء في الحديث: (رحمتي سَبقت غضبي).

وقال سبحانه: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾.

وقال: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

وقال: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾، فقدَّم العفو على العقوبة.

وقال: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾.

وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾.

وقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾، فقدَّم الخير على الشر.

وقال سبحانه: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾، فقدَّم رحمته على عقابه.

وقال ﷻ: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

وقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾، فقدَّم الشُكر على الكُفر.

وقال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وقال: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾.

وقال: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾.

وقال: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾، فقدَّم الرحمة على العذاب.

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾.

وقال الكريم: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾.

قال ابن أبي حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التفسير: (قال عون بن عبد الله بن عُتبة الهُذلي التابعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هل سمعتم بمعاتبةٍ أحسن من هذا؟ بدأ بالعفو قبل المعاتبة، فقال: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾). ا.هـ

وفي الأحاديث الصحيحة الكثيرة نظير ذلك: ففي صحيح البخاري، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا ولا تزنوا، فمن وفىّ منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا، فعوقب به فهو كفارته، ومن أصاب من ذلك شيئًا، فستره الله عليه، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه). ا.هـ

وفيه أيضًا: عن حمزة بن عَمرو الأسلمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قال للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أأصوم في السفر؟ - وكان كثير الصيام - فقال: (إن شئت فصُم، وإن شئت فأفطر). ا.هـ

قلتُ: والصيام أفضل بنصِّ القرآن: ﴿وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

وفي حديث الإفك، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يا عائشة: إنه بلغني عنكِ كذا وكذا، فإن كُنتِ بريئة فسيُبرئك الله، وإن كُنتِ ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه).ا.هـ

وعند أحمد وغيره: حين سأل أهل مكة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن يجعل لهم الصفا ذهبًا، وأن يُنحي الجبال عنهم فيزدرعوا، فقيل له: إن شئت أن تستأني بهم، وإن

شئت أن تؤتيهم الذي سألوه، فإن كفروا: أُهلِكوا كما أُهلكت من كان قبلهم، وإن شئت أن أستأني بهم، لعلَّنا نستحيي منهم.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا، بل أستأني بهم. ا.هـ

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لو تعلمون قدر رحمة الله ﷻ، لاتكلتم، وما عملتم من عمل، ولو علمتم قدر غضبه، ما نفعكم شيء). ا.هـ

ولـمّا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا). ا.هـ

قال العلامة العز بن عبد السلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (لـمّا بدأ بالدعاء صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للشام بالبركة، وثنّى باليمن، دلّ على تفضيل الشام على اليمن، فإن البداية إنما تقع بالأهمّ فالأهمّ). ا.هـ [**من كتابه: ترغيب أهل الإسلام في سُكنى الشام ص ٨٢**].

وفي قوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ** ﴾.

قال الجاحظ: (وبدأ الله ﷻ في ذِكر الفواحش بما ظهر منها فجعله ابتداءً في الذم، ولم يبدأه بما بطن). ا.هـ [**من رسالة تفضيل البطن على الظهر (٤/ ١٦٣)، ط: مكتبة الخانجي، تحقيق: عبد السلام بن هارون المصري**].

قال ابن الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ: (والتقديم يُؤذِنُ بالاهتمام). ا.هـ [**من المعين على تفهم الأربعين**].

وقال الزركشي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وتقديم اليمين على الشمال في قوله: ﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾). ا.هـ

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **في بدائعه**: (والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان شديد التحرِّي لتقديم ما قدّمه الله والبداءة بما بدأ بـه). ا.هـ

ومُناسبة هذه القاعدة هُـنا هي: التفاؤل بتقديم كل ما قدَّمه الله ورسوله في الكتاب والسُّنة، وأمثلة ذلك كثيرة، فمنها:

أ عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو على أربعةِ نَفَرٍ، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾، فقدَّم التوبة وتاب عليهم، وهداهم الله للإسلام. ا.هـ [من سُنن الترمذي، وصححه الألباني].

ب قال الله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾. ا.هـ [سورة البقرة ٢١٣، ونظائرها في سُور: النساء ١٦٥، والأنعام ٤٨، والكهف ٥٦، ومريم ٩٧، وأيضًا في أحاديث صِحاح: فيها تقديم البشارة واليُسر على ضدهما، كقوله: (بشِّروا ولا تنفروا، ويسِّروا ولا تعسِّروا)، وكقوله: (تطاوعا ولا تختلفا)، وفي حديث صلاة الاستخارة: قدّم الخير على الشر، وهكذا.].

جـ قال تعالى: ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾، فاهتدت رحمها الله وصارت مُسلمة صالحة.

د في صحيح ابن حبان رَحِمَهُ اللَّهُ من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (رأى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على عُمر بن الخطاب ثوبًا أبيض، فقال: أجديد قميصك أم غسيل؟ فقال: بل جديد، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: البس جديدًا، وعش حميدًا، ومت شهيدًا). ا.هـ

وفيه من الفقه: قدَّم الجديد على الغسيل تفاؤلًا، فلما عَلِمَ أنه جديد، دعا له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجديد زيادة في الخير.

س في صحيح البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ من حديث أبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجل من الأنصار يُكنى أبا شعيب فقال لغلام له قصاب، اجعل لي طعامًا يكفي خمسة، فإني أريد أن أدعو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خامس خمسة، فإني قد عرفت في وجهه الجوع، فدعاهم فجاء معهم رجل، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إن هذا قد تبعنا، فإن شئت أن تأذن له فأذن له، وإن شئت أن يرجع رجع)، فقال: لا، بل قد أذنت لهُ. ا.هـ

والشاهد منه: تقديم الإذن تفاؤلًا على أن يرجع، وعليه أقول: في كل تخيير بين شيئين تُريد أن تتلفّظ بـه، عـوِّد نفسك وعـوِّد غيرك على البداية باختيار الخير على اختيار الشر، قـدِّم الجانب المحبوب على الجانب المقابل لهُ وهو الغير محبوب، قـدّم الإيجابي على الجانب السلبي، وهكذا.

فمثلًا تقول لصاحبك: إما أن آتيك أو تأتيني، إما أكرمك أو تكرمني، فاليد العليا خير من اليد السفلى، والمقصد هو: حاول في جميع شؤونك أن تخمِّن الأفضل والأحسن والأجمل من التوقعات والاختيارات والظنون ونحو ذلك.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ويتبين فهم الصبي وعلو همته وتقصيرها باختياراته لنفسه، وقد تجتمع الصبيان للعب فيقول العالي الهمة: من يكون معي، ويقول القاصر: مع من أكون). ا.هـ [**من تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر**].

وقال القاضي التنوخي (ت٣٨٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في مُـقـدمـة كِـتـابـه: (الفرج بعد الشدة)، ما نصه: (فاستخرت الله عزَّ ذكره، وبدأت بذلك في هذا الكتاب، ولقّبته بكتاب الفرج بعد الشدة، تـيـمُّـنـًا لـقـارئـه بهذا الفأل، ولـيَـسـتَـسـعِـد في ابـتـدائـه بهذا الـمقال). ا.هـ

ص **وتأمل معي بقلبك قوله تعالى:** ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾، فـقـدَّم الاستجابة على الدعاء ليتفاءل العبد بذلك، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر ما أجمل هذا الفأل.

قال العلامة الفقيه ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والمنان الذي يجود بالنوال قبل السؤال). ا.هـ [**من كتابه: النبوات**].

تَـبَـرَّعتَ بِالـجُـودِ قَـبـل الـسُّؤَالِ فِـعـالَ كَـريـمٍ عَـظـيـمِ الـخَـطَـر

وقال ذي النون رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الكريم يُعطي قبل السؤال، فكيف يَبخل بعد السؤال!!!).

وقال الصحابي الجليل الحسن بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (السُؤدد التبرع بالمعروف، والإعطاء قبل السؤال).

ع **في صحيح البخاري**: (أن رجلًا أتى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: إني رأيتُ الليلة في المنام ظلة تنطف السمن والعسل، فأرى الناس يتكففون منها، فالمستكثر والمستقل، وإذا سبب واصل من الأرض إلى السماء، فأراك أخذت به فعلوت، ثُم أخذ به رجل آخر فعلا به، ثُم أخذ به رجل آخر فعلا به، ثُم أخذ به رجل آخر فانقطع ثُم وصل.

فقال أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله بأبي أنت، والله لتدعني فأعبرها، فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اعبرها.

قال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أما الظلة فالإسلام، وأما الذي ينطف من العسل والسمن فالقرآن حلاوته تنطف، فالمستكثر من القرآن والمستقل، وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض، فالحق الذي أنت عليه تأخذ به فيعليك الله، ثُم يأخذ به رجل من بعدك فيعلو به، ثُم يأخذ به رجل آخر فيعلو به، ثُم يأخذ به رجل آخر فينقطع به، ثُم يوصل له فيعلو به.

فأخبرني يا رسول الله بأبي أنت: أصبت أم أخطأت؟

فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أصبت بعضًا، وأخطأت بعضًا). ا.هـ

قلتُ: فقدَّم الإصابة على الخطأ.

ف **وفيه أيضًا**: عن حُذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أوى إلى فراشه، قال: (اللهم باسمك أحيا وأموت).

قلتُ: فقدَّم أحيا في المستقبل ولم يَستثني تفاؤلًا، وسيأتي نحو هذا في دعاء

النوم: (باسمك ربّ وضعت جنبي، وبك أرفعه)، في الفقرة رقم (٣١) فراجعه تجد العجائب، ولله الحمد والمنة والفضل.

ق **وفي صحيح البخاري أيضًا**: عن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الجنة أقرب إلى أحدكم من شِراك نعله، والنار مثل ذلك).، وقال أيضًا: (لا يتمنى أحدكم الموت، إما مُحسِنًا فلعلّه يزداد، وإما مُسيئًا فلعلّه يستعتب). ا.هـ

قلتُ: فقدَّم ذِكر الجنة على ذِكر النار، وقدّم الإحسان على الأُخرى تفاؤلًا، وسيأتي مزيد بيان في الفقرة التالية برقم (١٩)، والفقرة رقم (٥٤).

وأختم هذه الفقرة بما قاله أهل البلاغة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: في مباحث تقديم المسند أو تأخيره، والغرض من ذلك عندهم، فقالوا:

(يُقدم المسند لأغراض، منها: التفاؤل، كما تقول للمريض: في عافية أنتَ، ويكون التفاؤل بسماع ما يَسرُّ المخاطب كقوله:

سَعِدَت بِغُرَّة وجهِكَ الأيامُ وتَزيَّنَت بلقائِك الأعوَامُ

فالمسند وهو الفعل سَعِدت، قد قُدِّم ليُفيد التفاؤل، لأنه من جنس السرور والسعادة، وكذلك: تَزيَّنت، قُدِّم على المسند إليه، والأعوامُ: لنفس الغرض، والهدف من تقديم المسند هو: التفاؤل، وتعجيل المسرَّة إلى نفس السامع.

ونظير هذا قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة، عرضها ستون ميلًا، في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمنون.

فتقديم المسند في هذا الحديث: يدعو إلى التفاؤل، والأمل بتقديم الخبر وهو الظرف المتكون من حرف جر ولفظة الجنة، إن بمجرد ورود هذه اللفظة: الجنة، في الحديث دعوة للتفاؤل بالفوز بها، فكأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُريد أن يُعجّل الفرحة

والسرور إلى قلوب المؤمنين بقوله ذاك، والذي الحقهُ بوصفٍ جميل للجنة وخيمها، مما يبُث الراحة والسرور في النفوس). ا.هـ **بتصرف يسير**.

١٩ - (من التفاؤل تقديم الثناء على الله قبل الدعاء)

ومن فروع القاعدة السابقة، تفاؤل أجمل منه، وهو ما جاء في الكتاب والسُّنة والآثار، من تقديم الثناء على الدعاء، تفاؤلًاوطمعًا باستجابة دعاء العبد ومطلوبه، وحَـرِيٌّ بمن فعل ذلك أن لا يُـردّ سُؤاله.

قال الله تعالى عن رسوله إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾.

وقال في ثناء الملائكة قبل دعائهم للمؤمنين: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾.

وقال عن أهـل الجنة: ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾.

وفي سُنن الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (أن أم سُليم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا غدت على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالت: علّمني كلمات أقولهن في صلاتي؟ فقال: كبّري الله عشرًا، وسبّحي الله عشرًا، واحمديه عشرًا، ثُم سَلي ما شئتِ، يقول: نعم، نعم). ا.هـ

وفيه أيضًا: عن فضالة بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: (سمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلًا يدعو في صلاته، فلم يُصلّ على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عجل هذا، ثُم دعاه، فقال له ولغيره: إذا صلَّى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه، ثُم ليُصلّ على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُم ليدعُ بعدُ بما يشاء). ا.هـ

وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (كنتُ مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعه أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومن شاء الله من أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فمررنا بعبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يُصلِّي، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من هذا؟ فقيل: عبد الله بن مسعود، فقال: إن عبد الله يقرأ القرآن غضًّا كما أُنزل، فأثنى عبد الله على ربه وحمِده فأحسن في حمده على ربه، ثُم سأله فأجمل المسألة كأحسن مسألة سألها عبد ربه، ثُم قال: اللهم إني أسألك إيمانًا لا يرتدّ، ونعيمًا لا ينفذ، ومرافقة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أعلى عليين في جنانك جنان الخلد، قال: وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول: سَل تُعطَ، سَل تُعطَ مرتين). ا.هـ **[من المستدرك وصححه الحاكم ووافقه الذهبي]**.

وعند الحاكم رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا وصححه: عن سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: ما سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستفتح دعاء، إلا استفتحه بسُبحان ربي العلي الأعلى الوهاب). ا.هـ

وفي صحيح مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: (من صلَّى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج، ثلاثًا غير تمام، فقيل لأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنا نكون وراء الإمام؟ فقال: اقرأ بها في نفسك، فإني سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول: قال الله تعالى: قسمتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾،

قال: مجدني عبدي، فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل). ا.هـ

وفيه أيضاً: عن عبد الله بن أبي أوفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يقول: (اللهم لك الحمد ملء السماء، وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، اللهم طهرني بالثلج والبرد، والماء البارد، اللهم طهرني من الذنوب والخطايا، كما يُنقى الثوب الأبيض من الوسخ). ا.هـ

وفي صحيح ابن حبان رَحِمَهُ اللَّهُ: عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: (شكا الناس إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قحط المطر، فأمر بالمنبر فوُضع له في المصلى، ووعد الناس يومًا يخرجون فيه، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فخرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حين بدأ حاجب الشمس، فقعد على المنبر، فحمِد الله وأثنى عليه ثم قال: إنكم شكوتم جدب جنانكم، واحتباس المطر عن إبان زمانه عنكم، وقد أمركم الله أن تدعوه، ووعدكم أن يَستجيب لكم، ثُم قال: الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، لا إله إلا أنت تفعل ما تريد، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت الغني ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث، واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغًا إلى حين، ثُم رفع يديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى رأينا بياض إبطيه، ثُم حوّل إلى الناس ظهره، وقلب أو حوّل رداءه وهو رافع يديه، ثُم أقبل على الناس ونزل فصلى ركعتين، فأنشأ الله سحابا فرعدت وأبرقت وأمطرت بإذن الله، فلم يلبث في مسجده حتى سالت السيول، فلما رأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لثق الثياب على الناس، ضحك حتى بدت نواجذه، وقال: أشهد أن الله على كل شيء قدير، وأني عبد الله ورسوله). ا.هـ

قلتُ: وهذا حتى عند أهل الدُّنيا، ألم تسمع للسائل حين أثنى على نبي الله يوسف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل سؤاله: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ

عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، ومن هذا الباب دعاء صلاة الاستخارة.

قال ابن أبي جمـرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الحكمة في تقديم الصلاة على الدعاء، أن المراد بالاستخارة: حصول الجمع بين خيري الدُّنيا والآخرة، فيحتاج إلى قرع باب الملك، ولا شيء لذلك أنجع ولا أنجح من الصلاة، لـما فيها من تعظيم الله، والثناء عليه، والافتقار إليه مآلًا وحالًا). ا.هـ [**من فتح الباري لابن حجر**].

قال إبراهيم التيمي التابعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كان يُقال: إذا بدأ الرجل بالثناء قبل الدعاء، فـقـد استوجب). ا.هـ

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في الأذكار**: (أجمع العلماء على استحباب ابتداء الدعاء بالحمد لله تعالى، والثناء عليه، ثُم الصلاة على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكذلك يُختم الدعاء بهما، والآثار في هذا الباب كثيرة معروفة). ا.هـ

٢٠ - (علاقة صِفة السلام بالتفاؤل)

ومن فروع هذه القاعدة السابقة أيضًا، ما جاء في صِفة السلام.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في بدائعه**: (وهـنا نكتة بديعة ينبغي التفطُّنُ لها، وهي: أن السلام شُرع على الأحياء والأموات بتقديم اسمه على المسلَّم عليهم، لأنـه دعاءٌ بخير، **والأحسنُ في دعاء الخير أن يُـقـدَّم الدعاء بـه على المدعوِّ لـه**، كقوله تعالى: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾، **وقولـه**: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾، ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾، ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾، ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾.

وأمّا الدُّعاءُ بالشر فيُقدَّم فيه المدعوُّ عليه على المدعو به غالبًا، كقوله تعالى لإبليس: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي﴾، وقوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ﴾، وقوله: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾، وقوله: ﴿وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾.

وسرُّ ذلك والله أعلم: أن في الدعاء بالخير قدَّموا اسمَ الدعاء المحبوب الذي تشتهيه النفوسُ وتطلبه، ويَلَذ للسمع لفظه، فَيَبْدَه السَّمع ذِكرُ الاسم المحبوب المطلوب، ويَبدأ القلبُ بتصوِّره، فيفتح له القلبُ والسمعُ، فيبقى السامعُ كالمنتظر لمن يحصل هذا، وعلى من يحل، فيأتي باسمه، فيقول: عليك أو لك، فيحصل له من السرور والفرح ما يبعث على التحابّ والتوادّ والتراحم، الذي هو المقصود بالسلام.

وأما في الدعاء عليه، ففي تقديم المدعوِّ عليه إيذانٌ باختصاصه بذلك الدعاء، وأنه عليه وحده، كأنه قيل له: هذا عليك وحدك لا يشركك فيه السامعون، **بخلاف الدعاء بالخير فإن المطلوب عمومه، وكلُّ ما عمَّ به الدَّاعي كان أفضل**). ا.هـ

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعده بصفحات قليلة: (الرحمة مصدر بمعنى التعطُّف والحنان فلا تُجمع، والتاء فيها بمنزلتها في: الخلة والمحبة والرّقة، ليست للتحديد بمنزلتها في: ضربة وتمرة، فكما لا يُقال: رقات ولا خلات ولا رأفات، لا يُقال رحمات، وهنا دخول الجمع يُشعر بالتحديد والتقييد بعدد، وإفراده يُشعر بالمسمى مطلقًا من غير تحديد، فالإفراد هنا أكمل وأكثر معنىً من الجمع، وهذا بديع جدًّا أن يكون مدلول الفرد أكثر من مدلول الجمع.

ولهذا كان قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾، أعمَّ وأتمَّ معنىً من أن يقال: فلله الحُجج البوالغ، وكان قوله: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾، أتمّ معنىً من أن يقال: وإن تعدُّوا نِعَم الله لا تحصوها، وقوله: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ

حَسَنَةً﴾، أتمّ معنىً من أن يقال: حسنات، وكذا قوله تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾، ونظائره كثيرة جـدًّا). ا.هـ

قلتُ: وعلى هـذا ما نسمعه من بعض الناس من قولهم: (جزاك الله ألف خير)، (مرحبًا ألف)، (مائة هلا)، يُعدّ من الترحيب البخيل!! فقط ألف أو مائة؟ لأن التحايا ينبغي فيها: التنكير والعموم لتكون أبلغ وأنفع وأعم.

وقال ابن الملقن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لن يَغلِب عُسرٌ يُسرَين، يُشيرُ إلى تنكير اليُسر وتعريف العُسر، والـمُـنَـكَّـر مُـتَـعَـدِّد، والـمُـعَـرَّف مُـتَّـحِـدٌ بـنـاءً على أنَّ اللام فيه للعَهدِ السَّالف). ا.هـ [**المعين على تفهم الأربعين**].

٢١ - (التيمُّن من التفاؤل)

ومن التفاؤل العظيم: محبة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للتيمُّن، وذلك في شأنه كله الديني والدُّنيوي.

قال أبو العباس القرطبي في المفهم (ت٦٥٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قولها رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: كان يحب التيمُّن في شأنه كله، كان ذلك منه تبركًا باسم اليمين لإضافة الخير إليها،..... ولما فيه من اليُمن والبركة، وهو من باب التفاؤل، ونقيضه الشِّمال). ا.هـ

وقال العلامة ابن الملقن رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التوضيح: (وإعجابه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التيامنَ في شأنه كُله، لأنه كان يُعجبه الفأل الحسن). ا.هـ

وقال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في الفتح**: (قيل: لأنـه كان يحب الفأل الحسن، إذ أصحاب اليمين أهل الجنة). ا.هـ

قلتُ: ولي كتاب جليل وخطير مطبوع منذ عشر سنوات تقريبًا اسمه: (التيمُّن مقصدٌ شرعيٌ)، ذكرتُ فيه أكثر من مائة دليل من الكتاب والسُّنة والآثار السَّلفية، على استحباب التيمُّن في كُل شيء مُتعلّق بأمر الدِّين أو الدُّنيا.

٢٢ - (بدع التفاؤل)

من الخرافات وليس من التفاؤل في شيءٍ، ما ذكره بعضهم أنـه: إذا رفَّـة عينك اليمنى (أي: تحركت حركة لا إرادية)، فإنك سترى خيرًا، فيتفاءل بذلك، والعكس برفّـة عـينه اليُسرى، ومثله طنين الأذن اليمنى أو حكَّة كفه الأيمن، فالطنين لأن أحدهم ذكره بخير أو سيسمع خيرًا، وهـذا موجود منذ القِدم، قال المجنون لمعشوقته:

إذا طنَّـتِ الأذنـانِ قلـتُ ذَكرتِـني أو اختلجـت عينـي رَجَـوتُ التَّلاقيَـا

وحكَّـة الكَـف علامة على رِزق سيأتي له!! وهكذا في سلسلة من التُـرَّهات الجاهلية بل الشيطانية.

لأنـه - والله أعلم- أن ذلك من كيد الشيطان، ومن تلاعبه المعهود والمعروف ببني الإنسان، أقول ذلك لعِدّة أمور، مـنـهـا:

أ أن الشرع لم يأت بـه.

ب ما ثبت بالسُّـنة من الأحاديث الكثيرة والمتنوعة، أن الشيطان يبول في أُذن من نام عن صلاة الصبح، وأنـه يَـبـيـت على خياشيم النائم، وأنـه يعقد على القافية ثلاث عُقد، وأنـه يَـتـلاعـب بـمَـقاعـد بني آدم.

والرؤيا المكروهة، والاحتلام، وصياح المولود، والغضب، كُـلُّ ذلك من الشيطان الرجيم.

وأنه يستحلّ الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه، وقصة الجارية والأعرابي معروفة في صحيح مسلم.

جـ قال الإمام الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن للشيطان بَزقةً، يعني: بِلَّة طرف الإحليل.

د نَهانا الشرع أن يُشير أحدُنا على أخيه بالسِّلاح، لَعَلَّ الشيطان يَنزِعُ في يَدِه، وأُمِرنَا إذا تثاءب أحدُنا أن يضع يده لأن الشيطان يدخل، وهو يجري مجرى الدم.

وثبت أن على المستيقظ من النوم غسل يده، لأنه لا يَدري أين باتت، وأخبر حَمنة بنت جحش رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أن حيضتها – وكانت شديدة – إنما هي ركضةٌ من ركضاتِ الشيطان.

وجاء عن امرأة ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أن الشيطان كان ينخس عينها، وأُمرنا إذا جاء الليل بكفِّ الصبيان من خارج البيوت، لأنها ساعة تنتشر فيها الشياطين.

فكُل ما ذكرته هُنا هو متون ثابتة في كُتب الحديث والآثار، اقتصرت على الشاهد منها فقط، فلا يبعُد أن يتلاعب الشيطان بنا في ذلك، وهدفه المعروف: ليُحزنه ويُخوِّفه وهذا ديدنه.

وقد تصدُق أحيانًا فتنة للعباد، كالكلمة التي يُلقِيها في أُذُن الكاهن، وتوافق الواقع قَدَرًا، ويكون هذا منه استدراجًا وطُعمًا يَصطاد بِهِ الجُّهال.

س أن هذا غيب، والتفاؤل أو التطيُّر بالغيب من جنس شرك الجاهلية، وقد تقدَّم بيان وتقرير ذلك مُفصّلًا، في الفقرة رقم (٤).

قال محمد بن عبد الرحمن بن يزيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال زاذان أبو عُمر الكِندي التابعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا بات الإناء غيرَ مخمَّر تَفَل فيه الشيطان، فذكرت ذلك لإبراهيم النخعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: أو شرِب منه). ا.هـ [**رواه ابن أبي شيبة في المصنف برقم (٢٤٧٠٤)، وسنده مقطوع صحيح.**].

٢٣ - (كلمة التفاؤل من الأضداد)

لفظة التفاؤل من الأضداد، فتُطلق على الخير والشر، وإن كان الغالب أن الفأل للخير، وقد ثبت بالحديث: (وأصدق الطيرة الفأل)، فأطلق الطيرة وهي من الشرك على الفأل، وهذا نظير لفظة القُـرء، تُطلق على الطهر والحيض، ولها نظائر كثيرة.

وهُـنا أُنـبِّـه على فائدة تُـناسب الحال وهي: أن بعض العلماء الأفاضل الثقات المعاصرين، قـد أنكر قول القائل: (فأل الله ولا فألك)، وعلَّل ذلك بأن الفأل هو إحسان الظن بالله، فلا يُسند هذا لله، إنما هو للعبد.....إلخ.

فالجواب هو: إذا عَلِمنا ما سَبق، أن لفظة التفاؤل والطِّيرة من الأضداد، وقـد جاء الشارع بنفي الطِّيرة: (لا عدوى ولا طيرة)، والعدوى المنفية هُـنا: ما كان على اعتقاد أهل الجاهلية، وهي: أنها تفعل وتُعدي بنفسها وطبعها، لا بقدر الله وقضاءه، وأن لها تأثـيرًا على الأشياء في الخير والشر، كذلك الطِّيرة: نـفاها الشارع حَسمًا لمادة الشرك.

فالطيرة المنفية والعدوى المنفية وأيـضًا الشفاعة المنفية، كل ذلك ورد في النصوص، وبالـمُـقابل وردت النصوص الـمُـثـبَـتَـه لها.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المفتاح: (فالاختلاف والإشكال والاشتباه إنَّما هو في الأفهام، لا فيما خَـرَجَ من بين شفتيه من الكلام صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،..... والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يذكر الـمـقـتـضي في موضع والمانع في موضع آخـر، ويُـثـبـتُ الشيءَ وينفي مثلَهُ في الصُّورة وعكسَهُ في الحقيقة، ولا يُحيط أكثر الناس بمجموع نصوصه عِلمًا). ا.هـ

وقد جاء الشرع بإثبات الطِّيرة الـحـقَّـه والمشروعة، وهي ما كانت من فعل الله وحـده، فـثَـبَتَ بالحديث الصحيح: (اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إلـه غيرك).

فَأرجَعَ الأمور إلى نِصابِها الصحيح، وهو أن الخير والشر كُلُّه من عند الله وحده.

وعليه نقول: لا بأس حينئذٍ بقول: (طيرُ الله ولا طَيرُكَ)، وبقول: (فأل الله ولا فألك) أي: فعلُ الله وحُكمُه واختياره للعبد، لا فِعلك وما نتخوفه منك، وهذا من حُسن الظن بالله ﷻ.

قال شيخ الأئمة أبو بكر عبد الله بن أبي شيبة الكوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المصنَّف: حدثنا وكيع، عن أسامة بن زيد، عن نافع بن جبير، قال: (قال كعبٌ لعبد الله بن عمرو: هل تطيَّر؟ قال: نعم، قال: فما تقول؟ قال أقول: اللهم لا طيرَ إلا طيرُك، ولا خير إلا خيرك، ولا ربَّ لنا غيرُك، قال: أنت أفقه العرب). ا.هـ

وعند الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المسند: عن عبد الله بن عَمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من ردته الطيرة من حاجة فقد أشرك، قالوا: يا رسول الله، ما كفارة ذلك؟ قال: أن يقول أحدهم: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك). ا.هـ [**وصححه المحدِّث أحمد بن شاكر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ].

وقال العلامة أبو السعادات رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النهاية: (الفأل مهموز فيما يَسُرُّ ويَسُوء، والطِّيرة لا تكون إلا فيما يسُوء، وربما استعملت فيما يَسُرّ). ا.هـ

وقال الأزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تهذيب اللغة: (ومن العرب من يجعل الفأل فيما يُكرَهُ أيضًا). ا.هـ

٢٤ - (أمور تُضاد التفاؤل)

وقَرِيبٌ من هذه الخُرافة السابقة التي بالفقرة رقم (٢٢): ما تسمعه من بعض الناس اليوم، إذا وقع منه كأسٌ وانكسر، قال: ذهب الشَّرّ؟

وقد ثبت بالصحيح حين انكسرت الصحفة من يد الخادم، وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (غارت أمكم)، والشاهد من القصة: حين انكسرت الصحفة، لم يَقُل: ذهب الشرّ!!

وبعضهم يزعم أن قولك: ذهب الشرّ من التفاؤل؟ وليس كذلك، أو إذا سمع صوت الهاتف الجوال يتَّصل عليه، قال: خير خير؟

فأيُّ خيرٍ أو شرٍّ بهذه الجمادات!! وهذا كُله من الطِّيرة المنهي عنها.

ومثله التطيُّر بالأيام كيوم الأربعاء، والشهور كصفر، والحيوانات كالبومة والغُراب أو سماع صوت الطائر، واللباس كاللون الأسود.

بل وصل الحال ببعضِهم إلى التشاؤم بالروائح؟

فبعض أنواع الطِّيب كدهن العود مثلًا: تكون رائحتُهُ في بعض أنواعِه، قريبة من رائحة الحنوط والكافور التي توضع على الميت عند غسله، فيتطير بها هذا الجاهل.

ويقول لك إذا أردت وضع هذا الطيب عليه: هل تتفاءل عليّ أن أموت؟!

وقد جاء النهي عن ذلك كله، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا عدوى ولا هامة ولا صفر..... الحديث)..

ويُروى عن عكرمة رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: كُنّا عِند ابن عمر وعِندهُ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فَمَرَّ غُرَابٌ يَصيح، فقال رَجُلٌ من القوم: خير خير، فقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا خيرَ ولا شرَّ. ا.هـ

قال العلامة ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأمَّا تخصيصُ الشؤم بزمان دون زمان، كشهر صفر أو غيره، فغيرُ صحيحٍ، وإنِّما الزّمان كلُّه خلقُ الله تعالى، وفيه تقع أفعال بني آدم). ا.هـ [**من لطائف المعارف ص ١٥١، وبنحو ذلك قال ابن الرسام الحموي الحنبلي (ت ٨٤٤ هـ)** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في كتابه: عقد الدرر واللآلي في فضائل الشهور والأيام والليالي، (١ / ١٤٥)، ط: دار بينونة للنشر والتوزيع**].

وقال الشيخ العلامة حمود بن عبد الله التويجري (ت١٤١٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بعد أن وَصَفَ حال أهل الجاهلية وبعض الروافض في التشاؤم بشهر صفر، ما نصه: (وقد قابلهم بعض الجهال من المُنتسبِين إلى السُّنة، فوصفوه بالخيرية، فكانوا يقولون: صفر الخير، وقصدهم بذلك مُراغمة الروافض ومعارضتهم فيما زعموه من شؤمه، وهذا من مُقابلة الضلالة بضلالة أُخرى.

فإن شهر صفر وغيره من الشهور، لا خير ولا شر عندها، وإنما هي أوقات وأيام مخلوقة، يتصرف فيها خالقها بما يشاء، فيخلق فيها ما يشاء، ويرزق من يشاء، ويُحيي ويُميت، ويُسعد ويُشقي، ويجري لمن شاء خيرًا ولمن شاء شرًا، وله الحكمة البالغة: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾.

ولا عِلم للشهور والأيام، ولا غيرها من المخلوقات بشيء مما قدّره الباري وقضاه، فالتطيُّر ببعض الشهور والأيام شِرك، ووصفها بالخيرية بغير دليل كذب وخطأ، والله أعلم). ا.هـ [**من غُربة الإسلام ٢/ ٥٦٣**].

وقال العلامة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وبعضهم يقول: صفر الخير تفاؤلًا، يَرُدُّ ما يقع في نفسه من اعتقاد التشاؤم فيه، وهذه لوثة جاهلية من نفس لم يَصقلها التوحيد بنوره). ا.هـ [**معجم المناهي ص ٣٤٠**].

وقال الفقيه الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والأزمنة لا دخل لها في التأثير، وفي تقدير

الله ﷻ، فصفر كغيره من الأزمنة يُقدّر فيه الخير والشر، وبعض الناس إذا انتهى من شيء في صفر أَرَّخ ذلك وقال: انتهى في صفر الخير، وهذا من باب مُداواة البدعة ببدعة، والجهل بالجهل، فهو ليس شهر خير ولا شهر شرّ). ا.هـ [**القول المفيد على كتاب التوحيد ١/ ٥٦٧**].

٢٥ - (قلب الرداء في الاستسقاء من التفاؤل)

من صور التفاؤل البديعة: ما جاءت به السُّنة من قلب الرداء في صلاة الاستسقاء، وقد فعله الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ في حاشيته على سُنن النسائي: (الحِكمة في الإشارة بِظُهُور الكفَّين في الاستسقاء دون غيره، التفاؤل بِتقلُّب الحال ظَهرًا لِبَطنٍ، كما قيل في تحويل الرداء). ا.هـ

وقال العلامة ابن الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ في التوضيح: (تحويل الرداء سُنة عند الجمهور،.... والحكمة فيه: التفاؤل بتغيير الحال إلى الخصب والسعة، فإنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يُعجبه الفأل الحسن إذا سمع من القول، فكيف من الفعل؟) ا.هـ

وقال الفقيه أبو سُليمان الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ في أعلام الحديث: (وتحويل الرداء إنما هو على مذهب التفاؤل، أي: لينقلب ما بهم من الجدب إلى الخصب). ا.هـ

قلتُ: وقد تقدَّم بالفقرة رقم (١٣)، إنَّ التحول والانتقال بنوعيه الحسي والمعنوي من صفةٍ إلى صفة أُخرى، يُعتبر من أصول التفاؤل.

٢٦ - (عنوان الكتاب التفاؤلي)

في ترجمة التابعي الجليل طلحة بن مُصرِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الحلية: كان إذا ذُكر عنده الاختلاف، قال: لا تقولوا الاختلاف، ولكن قولوا السَّعة.

وفي طبقات أصحابنا الحنابلة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: كان تلميذ الإمام أحمد، إسحاق بن بهلول الأنباري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ألَّف كتابًا سماه: (الاختلاف)، فقال لهُ الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمّه كتاب: (السَّعة).

٢٧ - (تكنية الأطفال من التفاؤل)

قال عُمر لصُهيب الرومي - **ولم يكن روميًا، وإنما نُسِبَ إليهم، لأنهم سبوه وباعوه** - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: (ما لكَ تكتَني بأبي يحيى، وليسَ لكَ وَلَدٌ؟ فقال: كَنَّانِي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأبي يحيى). ا.هـ [**من سُنن ابن ماجه، وحسَّنه: ابن حجر، والبوصيري، والألباني**].

قال السِّندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حاشيته على ابن ماجه ما نصه: (أي: فعُلِمَ أن الكُنيَة لا تتوقف صِحَّتها على وجود الولد، لأنها بمنزلة العَلَم، ومُراعاة المعنى الأصلي فيه غير لازم، على أَنَّهُ قَد يُراد بِهِ التفاؤل).ا.هـ

وقال الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يجوز أن يُدعى الرجل الذي لا ولد له بأبي فلان تفاؤلًا). ا.هـ[**من التنوير شرح الجامع الصغير ٤ / ٥٢٥**].

قلتُ: ومن ذلك تكنية الأولاد، وقد ثبتت الأحاديث بقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يا أبا عُمير.....).، (هذا سنا يا أُمَّ خالد.....).، وكانوا أطفالًا.

قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في كتابه: الكامل في اللغة والأدب، ما نصه: (الكُنية وقعت في الصبي على جهة التفاؤل، بأن يكون له ولد). ا.هـ

وقال ابن حجر الكِناني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفتح: (قال العلماء: كانوا يُكنّون الصبي تفاؤلًا، بأنه سيَعيش حتى يُولد لهُ). ا.هـ

وقال ابن هُبيرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الإفصاح: (جواز الكُنية للصغير الذي لم يُولد لمثله، ويكون ذلك على وجه التفاؤل أنه سيُولد لهُ). ا.هـ

٢٨ - (من التفاؤل كلمات تُقال على غير ظاهرها المتبادر منها)

ومن فروع الفقرة السابقة، ومن باب الشيء بالشيء يُذكر والحسنة تَجرُّ أختها: في حديث أُم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وفيه: قال لها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَبْلِي وأَخْلِقي....). بالقاف.

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والعرب تُطلق ذلك وتريد الدعاء بطول البقاء للمخاطب بذلك، أي: أنها تطول حياته حتى يَبلى الثوب ويخلق). ا.هـ

وعلى رواية: (أبلي وأَخْلِفي.....). بالفاء، تكون بمعنى العِوَض والبَدَل، وكِلاهما فيه من التفاؤل الحسن الجميل.

وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أوطاره: (هذا من باب التفاؤل والدعاء للَّابِس، بأن يُعمَّر ويلبس ذلك الثوب حتى يَبلى ويصير خلقًا). ا.هـ

وثبت بسند صححه ابن حجر والألباني، عن أبي نضرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: (كان

أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذا لبس أحدهم ثوبًا جديدًا قيل لهُ: تُبْلِي ويُخْلِفُ الله تعالى). ا.هـ

ومن هذا ما يُقال باللّهجة العاميّة عندنا: (تُقَطَّعهُ بالعافية) يعني: الثوب يَبقى عندك، حتى يتقطع ويَبلى من طول بقاءه واستعماله، وأنت بصحة وعافية.

٢٩ - (من التفاؤل المعنوي الخفي)

من أنواع التفاؤل، تفاؤل قلبي باطني داخلي خفي لا يعلمه إلا الله سبحانه، وهو من صور التوكل الإيماني عند العبد.

عبارة تُقال وهي متداولة: (أصرف ما في الجيب، يأتيك ما في الغَيب)، وهذه لها أصلٌ بالسُّنة: (أنفق انفق عليك) ا.هـ

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (أعطي ولا توكي فيوكي عليك).ا.هـ

وقال أبو نضرة المنذر بن مالك التابعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (إنَّما نَعِيشُ في الخَلَف).

يعني: على الخلف من الله سبحانه وتعالى، واسع الفضل، وهذا فيه حُسن الظن بالله والرجاء والتوكل والتفاؤل.

وقال الفضل بن سهل السرخسي (ت٢٠٢هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: (رأيت جملة البخل سُوء الظن بالله تعالى، وجملة السخاء حُسن الظن بالله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾، وقال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾). ا.هـ

وقال الحسن البصري التابعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (من أيقن بالخَلَف جادَ بالعطية).ا.هـ

قال الكريم المعطي تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره عند هذه الآية: (أي: قُل يا محمد، لهؤلاء المغترين بالأموال والأولاد، إن الله يُوسِّع على من يشاء، ويُضيّق على من يشاء، فلا تغتروا بالأموال والأولاد، بل أنفقوها في طاعة الله، فإن ما أنفقتم في طاعة الله فهو يخلفه، وفيه إضمار، أي: فهو يخلفه عليكم، يُقال: أخلف لهُ وأخلف عليه، أي: يُعطيكم خلفه وبدله، وذلك البدل، إما في الدُّنيا، وإما في الآخرة.

وفي صحيح مسلم: عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما من يوم يُصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط مُنفقًا خلفا، وأعط مُمسكًا تلفا.

وفيه أيضًا: عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: إن الله قال لي: أنفق أُنفق عليك.....الحديث، وهذه إشارة إلى الخلف في الدُّنيا، بمثل المنفق فيها، إذا كانت النفقة في طاعة الله). ا.هـ

ولَستُ بخابِئٍ لِغَدٍ طعامًا ... حِذارَ غَدٍ لِكُلّ غَدٍ طَعامُ

ومن هذه البابة: حُسن الظن بالله وحده في ترك الأمور الحسيّة بلا حساب وبلا عدٍّ ولا عدد، وجعل الأمور تمشي على بركة الله وتدبيره وتقديره واختياره، وتحاول أن تُعوِّد نفسك أن لا تُدقق في كُل شيءٍ من أمر المعيشة ولوازمها، أو تُكثر التفكير في المستقبل، أو تُرهق نفسك بالقلق النفسي الزائد على الزوجة والأولاد والعمل وغير ذلك، وأن تسأل الله دومًا البركة في كل شيءٍ من شؤون حياتك، ومن جرَّب ذلك أراح قلبه ونفسه من شرور كثيرة ووساوس عديدة، ولا يعي هذا الأمر إلا القليل النادر من الناس، واسأل مُجرِّب، فإني أتمتع بالبركة ولله الحمد والشكر.

لماذا تكثر التفكير والله وليّ التدبير والتقدير؟!

ألم تعلم قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إنَّ الرزق ليطلب العبد أكثر مما يطلبه أجله)..

ألم تتأمل قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لو فـرَّ أحدكم من رزقه أدركه كما يُدركه الموت)..

وحين رأى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تمرة عائرة فأخذها فناولها سائلًا، قال لـهُ: (أما إنك لو لـم تأتها لأتتك)..

ألم تقرأ قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **حين دعا الناس وقال:** (هلمُّوا إليّ فأقبلوا إليه فجلسوا، فقال: هذا رسول ربِّ العالمين جبريل عليه السلام نفث في روعي، أنه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها وإن أبطأ عليها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تأخذوه بمعصية الله، فإنَّ الله لا يُنال ما عنده إلا بطاعته)..

ألم تـرى لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لو أن ابن آدم هرب من رزقه كما يهرب من الموت، لأدركه رزقه كما يُدركه الموت.).

وقال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لو أن رجلًا هرب من رزقه، كهربه من الموت، لأدركهُ رزقه، كما يُدركه الموت)..

وقال الفاروق عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ما من امرئ إلا وله أثر هو واطؤه، ورزق هو آكله، وأجل هو بالغه، وحتف هو قاتله، حتى لو أن رجلًا هرب من رزقه، لاتبعه حتى يُدركه، كما أن الموت يُدرك من هرب منه، ألا فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب)..

قلتُ: نعود الآن لذكر الأدلة وكلام أهل العِلم الثقات، على ما تم تقريره سابقًا، من ترك الأمور الحسيّة تمشي على بركة الله، من غير تدقيق، ولا تنقير، ولا وسوسة، ولا غير ذلك.

في صحيح مسلم: عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستطعمه، فأطعمه شطر وسق شعير، فما زال الرجل يأكل منه وامرأته وضيفهما، حتى كاله، فأتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: لو لم تكله، لأكلتم منه ولقام لكم. **وفي رواية:** ولقام بكم.

وفيه أيضًا: عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن أم مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت تُهدي للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عكة لها سمنًا فيأتيها بنوها فيسألون الأدم وليس عندهم شيءٌ، فتعمد إلى الذي كانت تُهدي فيه للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتجد فيه سمنًا، فما زال يقيم لها أدم بيتها حتى عصرته، فأتت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: عصرتيها؟ قالت: نعم، قال: لو تركتيها ما زال قائمًا.

وفي الصحيحين: عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: لقد توفي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما في رفي من شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رَفٍّ لي فأكلت منه حتى طال عليَّ، فكِلتُهُ ففني.

وفي رواية: قال أبو معاوية، عن هشام: ولو كنا تركناه لم نكِل، لأكلنا منه أكثر من ذلك.

وفي رواية قالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فليتني لم أكن كلته.

وفي سُنن الترمذي: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتمرات، فقلت يا رسول الله: ادع الله فيهن بالبركة، فضمهن ثم دعا لي فيهن بالبركة، فقال: خذهن واجعلهن في مزودك هذا أو في هذا المزود، كلما أردت أن تأخذ منها شيئًا فأدخل فيه يدك فخذه، ولا تنثره نثرًا، فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله، فكنا نأكل منه ونطعم، وكان لا يفارق حقوي حتى كان يوم قتل عثمان، فإنه انقطع.

قلتُ: أي تقريبًا أكثر من (٢٥) سنة، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ: (فإن قيل: فما معنى قول عائشة: كان عندي شطر شعير، نأكل منه حتى طال عليَّ فكلته ففني، وهذا معارض لحديث المقدام، قال المهلب: ليس بينهما تعارض بحمد الله، ومعناه: أنها كانت تخرج قوتها بغير كيل، وهي متقوتة باليسير، فبورك لها فيه مع بركة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الباقية عليها وفي بيتها، فلمّا كالته

علمت المدة التي يبلغ إليها، ففني عند انقضائها). ا.هـ [من شرحه على صحيح البخاري].

وقال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه لمسلم: (وفي هذا أنَّ البركة أكثر ما توجد في المجهولات والمبهمات، وأما ما حصر بالعدد أو بالكيل فمعرّف قدره). ا.هـ

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فيه أن هذه الأمور الكونية يجب ألا ينقضي أمرها وتترك مهملة لا تدخل تحت التقدير، ومثله حديث شعير عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وأنها لـمّا كالته فني، لأن كيلها وعصرها وتقصي ما فيها، مُضاد للتسليم والتوكل على رزق الله، ويقضى على تقدير ما لا يحصيه التقدير من سعة فضل الله، وتكلُّف لـما لا طائل وراءه، فعوقب فاعله بأن رُفعت تلك البركة عنه، ورُدَّ إلى قوته وحوله التي تكلفها والله أعلم، هذا هو وجه التأويل فيه وظاهر معناه). ا.هـ

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كشف المشكل: (فإن قيل: كيف الجمع بين هذا، وبين ما تقدم في مُسند المقدام بن معدي كرب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كيلوا طعامكم يُبارك لكم فيه، فالجواب:

أن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا كالت الطعام ناظرة إلى مُقتضى العادة، غير متلمحة في تلك الحالة منحة البركة، فرُد إلى مُقتضى العادة، كما ردت زمزم إلى عادة البئار حين جمعت هاجر ماءها، وكذلك قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي رافع رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ناولني الذراع، قاله لهُ ثلاث مرات، فقال: وهل للشاة إلا ذراعان، فقال: لو سكت لناولتني منها ما دعوت به، فكان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُستمدًّا للبركة، وكان أبو رافع ناظرًا إلى مُقتضى العادة). ا.هـ

وقال الطيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه على مشكاة المصابيح: (فإن قلت: كيف التوفيق بين هذا، وما روي عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: توفي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما لي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رفٍّ، فكِلته ففني.

قلت: الكيل عند البيع والشراء مأمور به لإقامة القسط والعدل، وفيه البركة والخير، وعند الإنفاق إحصاء وضبط وهو منهي عنه، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنفق بلالًا ولا تخش من ذي العرش إقلالًا). ا.هـ

وقال ابن الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ في التوضيح: (فيه: أن البركة مع جهل المأخوذ منه أو أنها أكثر ما تكون في المجهولات والمبهمات، ولا يُبالي أن يكون المأخوذ منه مكتالًا، وإنما لا يكتال المأخوذ لأنه من باب الإحصاء من قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا تُحصي فيحصي عليك.

وأما حديث المقدام بن معدي كرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كيلوا طعامكم يُبارك لكم فيه، ففيه جوابان:

أحدهما: أن المراد بكيله أول تملكه إياه.

ثانيها: عند إخراج النفقة منه بشرط أن يبقى الباقي مجهولًا، ويكتل ما يخرجه، لئلا يخرج أكثر من الحاجة أو أقل). ا.هـ

وقال العلامة ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في الفتح: (والذي يظهر لي أن حديث المقدام محمول على الطعام الذي يُشترى، فالبركة تحصل فيه بالكيل لامتثال أمر الشارع، وإذا لم يُمتثل الأمر فيه بالاكتيال، نُزعت منه لشؤم العصيان، وحديث عائشة محمول على أنها كالته للاختبار، فلذلك دخله النقص، وهو شبيه بقول أبي رافع لـمّا قال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الثالثة: ناولني الذراع، قال: وهل للشاة إلا ذراعان، فقال: لو لم تقل هذا لناولتني ما دمت أطلب منك، فخرج من شؤم المعارضة انتزاع البركة، ويشهد لما قلته حديث: لا تحصي فيحصي الله عليك، والحاصل أن الكيل بمجرده لا تحصل به البركة، ما لم ينضم إليه أمر آخر وهو امتثال الأمر فيما يُشرع فيه الكيل، ولا تُنزع البركة من المكيل بمجرد الكيل ما لم ينضم إليه أمر آخر كالمعارضة والاختبار والله أعلم، ويحتمل أن يكون معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كيلوا طعامكم، أي: إذا ادخرتموه طالبين

من الله البركة واثقين بالإجابة، فكان من كاله بعد ذلك إنما يكيله ليتعرف مقداره، فيكون ذلك شكًّا في الإجابة، فيُعاقب بسرعة نفاده قاله: المحب الطبري). ا.هـ

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله لصاحبة العكة: لو تركتيها ما زال قائمًا، ولصاحب الشطر: لو لم تكله لقام بكم، يُستفاد منه: أن من أُدِرَّ عليه رزق، أو أُكرم بكرامة، أو لُطِف به في أمر ما، فالمتعيَّن عليه: موالاة الشكر، ورؤية المنة لله تعالى، ولا يحدث مُغيِّرًا في تلك الحالة، **ويتركها على حالها**).ا.هـ [**من المفهم لما أشكل من كتاب مسلم**].

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في شرحه لمسلم**: (قال العلماء: الحكمة في ذلك أن عصرها وكيله مُضادة للتسليم والتوكل على رزق الله تعالى، ويتضمن التدبير والأخذ بالحول والقوة، وتكلُّف الإحاطة بأسرار حكم الله تعالى وفضله، فعوقب فاعله بزواله). ا.هـ

وقال التابعي النحرير سعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (التوكل على الله جِماع الإيمان).ا.هـ [**رواه الإمام ابن أبي شيبة في مُصنفه بسندٍ كوفي صحيح**].

وقال محمد بن عبد الله أبو جعفر الفرغاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (التوكل باللسان يُورث الدعوى، والتوكل بالقلب يُورث المعنى). ا.هـ

٣٠ - (من صور التفاؤل في باب الجهاد في سبيل الله)

في سُنن الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **وحسَّنه**، قصة أصحاب السَّرية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ التي رجعت من الغزو، وفيه: (فقلنا يا رسول الله، نحن الفرَّارُون، قال: بل أنتم العَكَّارُون.. الحديث).، وهذا فيه تفاؤل جميل وعَجيب؟

وجهُ ذلك: أن العَكّار: الكَرَّارُ العَطَّاف، أي: هو الذي يحمل في الحرب تارةً بعد تارة، يُولِّي في الحروب ثُم يَكُرُّ راجِعًا، كما قاله أهل اللغة.

وفيه من الفقه: التفاؤل بفعل الخيرات مُستقبلًا، ومن أعظمها الغزو في سبيل الله.

وفيه: تغيير الوصف القبيح إلى الحَسن، وهذا من التفاؤل.

وفيه: حُسن الظن بأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أنهم لا يتركون الجهاد بعده، بل يفعلونه تارة بعد تارة، وهكذا وقع، وبِهم فَتح الله سبحانه البلاد، وهدى العباد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وفيه: الدفاع عن أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وصُور ذلك كثيرة بالسُّنة.

وفيه: خبر بمعنى الدعاء والرجاء بوقوعه في المستقبل.

وفيه: القاعدة السابقة: وهي أن الخير مُوكَّل بالمنطق.

وفيه: جواز مدح الشخص بوجهه إذا اقتضت المصلحة ذلك.

وفيه: جبر لخواطر أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وإرضائهم بالكلمة الطيبة.

ومن الصور أيضًا: ما قصه الله علينا في غزوة تبوك: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

قال البقاعي رَحِمَهُ اللَّهُ في نظم الدرر: (وبلغت بهم الشدة أن اقتسم التمر اثنان، وربما مصّها الجماعة ليشربوا عليها الماء، وفي عُسرة من الماء حتى نحروا الإبل واعتصروا فروثها، وسمّاها ساعة تهوينًا لأوقات الكروب، وتشجيعًا على مواقعة المكاره، فإن أمدها يسير، وأجرها عظيم خطير، فكانت حالهم باتباعه في هذه الغزوة، أكمل من حالهم قبلها، وأشار سبحانه إلى تفاوتهم في الثبات على مقامات عالية، ترقّوا بالتوبة إلى أعلى منها). ا.هـ

قلتُ: ونظيره ما قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ ﴾، فهي أيام لا تطول.

٣١ - (التعبير بالماضي في الدعاء وإرادة المستقبل من التفاؤل الدقيق والعجيب)

قال أبو الحسن السِّندي (ت ١١٣٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في حاشيته على سُنن ابن ماجه، عند حديث: لو أن أحدكم إذا أتى امرأته قال: اللهم جَنِّبني الشيطان، وجَنِّب الشيطان ما رَزقتَني، ما نصه:

(قوله: جنِّبني: من جنّب بتشديد النون، والمراد: بما رزقتني الولد، وصيغة الماضي للتفاؤل وتحقيق الرجاء). ا.هـ

ونظيرها ما في الصحيح، حين سُئل أبا الحسن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، كيف أصبح رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فقال: (أصبح بحمدِ الله بارِئًا).، فعبَّرَ بالماضي تفاؤلًا ورجاءً، وكان ذلك في مرض الوفاة.

شَهِدَ الحُطيئةُ يَومَ يَلقى ربَّهُ ... أنَّ الوليدَ أحَقُّ بالعُذْرِ

وفي المعجم الكبير للطبراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **وغيره**: حين دخل عبد الرحمن بن عوف على أبي بكر الصدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يعوده في مرضه الذي توفي فيه، فقال لهُ عبد الرحمن: أصبحتَ بحمد الله بارئًا، فقال الصدِّيق: أما إني على ما تَرى وجع.....إلخ.

قال العلامة السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لاستعمال الخبر في موضع الطلب تكثر تارة تكون قصد التفاؤل بالوقوع، كما إذا قيل ذلك في مقام الدعاء: أعاذك الله من الشبهة، وعَصمك من الحيرة، ووفقك للتقوى، ليتفاءل بلفظ المضي على عدّها من الأمور الحاصلة التي حقها الأخبار عنها بأفعال ماضية). ا.هـ[**من مفتاح العلوم**].

قلتُ: والتعبير عن المستقبل بصيغة الماضي يكون للتفاؤل والرجاء والدعاء وتحقق الوقوع، كما مرَّ معنا في هذه الآثار.

وأيضًا: تقول لمن تُحِبّ: (عصمك الله من الفتن، ووفقك للخير، ونفع الله بك)، (حيّاك الله وبيّاك)، ونحوها.

وتأمل قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمسافر: (زودك الله التقوى، وغفر ذنبك، ويَسَّرَ لكَ الخيرَ حيثما كنت).ا.هـ

وفي دعاء دخول البيت: (بسم الله ولجنا، وبسم الله خرجنا، وعلى الله ربنا توكلنا).ا.هـ

وفي دعاء الضيف لصاحب الطعام: (أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصلّت عليكم الملائكة).، وكُلها مليئة بالتفاؤل والخير والبركة.

ومن ذلك ما قاله العلامة القحطاني رَحِمَهُ اللَّهُ في نونيته الشهيرة:

قد عِشتُ مسرورًا ومِتُّ مُخفَّرًا ... ولَقيتُ ربِّي سَرَّني ورَعاني

وَأبَاحَني جنَّات عَدنٍ آمِنًا ... ومِنَ الجحيم بِفضلِهِ عافاني

ولقيتُ أحمدَ في الجِنانِ وصَحبَهُ ... والكُلُّ عِندَ لِقائِهِم أدنَانِي

وقال بدر الدِّين العيني رَحِمَهُ اللَّهُ: في فوائد حديث غزوة خيبر، حين قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خربت خيبر... الحديث، من شرحه على صحيح البخاري، ما نصه:

(يحتمل أن يكون قاله بوحي من الله في أنه يغلب عليها ويخربها، ويحتمل أن يكون تفاؤلًا بذلك، على عادة العرب في جزمهم بالأمور والإخبار عن وقوعها بصيغة الماضي قبل وقوعها، إذا كان ذلك مُتوقعًا قريبًا). ا.هـ

وقال العلامة الحسن بن محمد النيسابوري (ت ٨٥٠ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأصل الدعاء

أن يقع على لفظ المستقبل، فإذا أوقعوه لفظ الماضي فذلك للتفاؤل). ا.هـ [**غرائب القرآن ورغائب الفرقان، (٤ / ١٢٢)، المشهور بتفسير النيسابوري، ولهُ ترجمة مختصرة في: (بغية الوعاة) للسيوطي**].

ومن ذلك: - والله أعلم - قوله تعالى بعدما ذكر بعض صفات وأحوال عباده الصالحين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (سبقت لهم السعادة). ا.هـ

ومن ذلك أيضًا: ما قال الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا﴾، فسمَّى الانطلاق للحرب في غزوة خيبر: مغانم، ليتفاءل المجاهدون بذلك، وكأنهم انتصروا وغنِموا بعد المعركة.

والسين في: ﴿سَيَقُولُ﴾ حرف استقبال.

وإذا ظرف للمستقبل.

وعبر بالماضي: ﴿ٱنطَلَقْتُمْ﴾ لتحقق وقوعه، وكُل ذلك فيه تفاؤل جميل.

وفي صحيح ابن حبان رَحِمَهُ اللَّهُ: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم حُنين: (من قتل كافرًا فله سلبه)، وفي رواية الصحيحين: (من قتل قتيلًا لهُ عليه بيّنةٌ فلهُ سلَبه) ا.هـ

فيه من التفاؤل والتشجيع: أن أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يقتلون الأعداء، ويأخذون عتادهم مغانم، وعبّر بالماضي لتحقق وقوعه، ولم يقل: من يقتل كافرًا فله سلبه، أو: من يقتل قتيلًا.

وأيضًافيه: تعبيره بـ: (قتيلًا) من المجاز باعتبار ما سيكون في المستقبل، وهذا فيه التفاؤل بموتهم، وهو من الفأل الصالح.

وقال العلامة أبو الحسن السِّندي (ت ١١٣٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في دعاء النوم: باسمك ربّ وضعت جنبي، وبك أرفعه، ما نصّه: (وبِكَ أرفعُهُ أي: بالحياة أو بالبعث، فهُو مُتحقِّقٌ فلِذَا تَركَ المشِيئة، ويُحتمَلُ أنَّ المراد التَّقييدُ بالمشِيئة، وتَرك القَيدَ في اللَّفظ تَفاؤُلًا). ا.هـ [**من حاشيته على سُنن ابن ماجه**].

وقال الشيخ تقي الدّين السُّبكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فكّرت في ذلك عند الاضطجاع، فأردت أن أقول: إن شاء الله، في (أرفعه)، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾، ثُم قلت في نفسي: إن ذلك لم يَرد في الحديث في هذا الذِّكر المقول عند النوم، ولو كان مشروعًا، لذَكرهُ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذي أُوتي جوامع الكلم.

فتطلّبت فرقًا بينه وبين كل ما يُخبر بـه الإنسان من الأمور المستقبلة المستحب فيها ذِكر المشيئة.

ولا يُقال: إن (أرفعه) حال، وليس بمُستقبل لأمرين:

أحدهما: أن لفظه وإن كان كذلك، لكنا نعلم أن رفع جنب المضطجع، ليس حال اضطجاعه.

والثاني: أن استحباب المشيئة عام فيما ليس بمعلوم الحال أو المضي.

وظهر لي: أن الأولى الاقتصار على الوارد في الحديث، في الذِكر عند النوم، بغير زيادة، وأن ذلك يُنبه على قاعدة يفرق بها بين تقدّم الفعل على الجار والمجرور، وتأخره عنه.

فإنك إذا قلت: أرفع جنبي باسم الله، كان المعنى الإخبار الرفع، وهو عمدة الكلام، وجاء الجار والمجرور بعد ذلك تكملة ذلك.

وإذا قلت: باسم الله أرفع جنبي، كان المعنى الإخبار بأن الرفع كائن باسم الله وهو عمدة الكلام، فافهم هذا السِّر اللطيف.

وتأمله في جميع موارد كلام العربية، تجده يظهر لك شرف كلام المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وملازمة المحافظة على الأذكار المأثورة عنه.

وإياك أن تنظر إلى الإطلاق: أن الجار والمجرور فضلة في الكلام، وتأخذه على الإطلاق، بل تأمل موارد تقدّمه وتأخره في الكتاب والسُّنة، وكلام الفصحاء، وتفهم هذه القاعدة الجليلة التي يفهم منها اللفظ والمعنى.

واعلم أنه لا بد من المحافظة على قواعد العربية، وعلى فهم معنى كلام العرب ومقاصدها، وقواعد العربية تقتضي أن الجار والمجرور فضلة في الكلام لا عمدة، وأن الفعل هو المخبر به، والاسم هو المخبر عنه، فهذا أصل الكلام ووضعه.

ثُم قد يكون ذلك مقصود المتكلم، وقد لا يكون على هذه الصورة، فإنه قد يكون المخبر عنه والمخبر به معلومين أو كالمعلومين.

ويكون محط الفائدة، في كونه على الصفة المستفادة من الجار والمجرور، كما نحن فيه، فإن المضطجع ووضع جنبه معلوم، ورفعه كالمعلوم، وإنما قلنا كالمعلوم ولم نقل: معلوم، لأنه قد يموت). ا.هـ [**نقله السيوطي في عقود الزبرجد على مُسند الإمام أحمد**].

قلتُ: وبعض ما في هذه الفقرة من علوم العربية، يتبع ما سبق عند الفقرة رقم (٩)، ورقم (١٨)، وما سيأتي أيضًا تحريره برقم (٥٧).

٣٢ - (من التفاؤل اختيار الخاتمة الحسنة للكتاب)

قال القاضي التنوخي (ت٣٨٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في مُقدمة كِتابه: (الفرج بعد الشدة)، ما نصه: (فاستخرت الله عزَّ ذكره، وبدأت بذلك في هذا الكتاب، ولقّبته بكتاب الفرج بعد الشدة، تيمُّنًا لقارئه بهذا الفأل، وليَستَسعِد في ابتدائه بهذا المقال). ا.هـ

وقال الشيخ عثمان بن أحمد النجدي الحنبلي (ت١١٠٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في خاتمة شرحه على عمدة الطالب للبهوتي رَحِمَهُ ٱللَّهُ المُسمَّى: (هداية الراغب):

(وقد ختم بعض أصحابنا كتبهم بالعتق، رجاء أن يُختم لهم بالعتق من النار، وختمها بعضهم كما عليه كثير من المتأخرين بالإقرار، رجاء أن يختم لهم بالإقرار بشهادة: أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). ا.هـ

وقال أبو الحسن السِّندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في حاشيته على البخاري، الذي ختم جامعه الصحيح بكتاب التوحيد، ما نصه: (ففي هذا الختم المبارك، تفاؤل بالختم لمن يَعتني بهذا الكتاب على التوحيد إن شاء الله تعالى). ا.هـ

وكذلك صرَّح الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد ختم كِتابه: (إحياء علوم الدين)، بباب: في سعة رحمة الله سبحانه وتعالى.

وأيضًا: العلامة الزَّبيدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في خاتمة كتابه: (تاج العروس من جواهر القاموس)، ونقل عن جماعة من أهل العِلم، كالجوهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فهذا صنيع العُلماء رحمهم الله: في كتاباتهم، فيه نوع براعة في التأليف، وذوق وحُسن اختيار، في البدء والختام، وهو من التفاؤل المطلوب والمرغوب والحسن.

ولـمّا جَعل الحافظ العلامة ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بلوغ المرام، آخر كتاب

في الأحكام هو: (كِتاب العِتق).

قال العلامة محمد بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه ما نصه:

(أخّر المؤلف كتاب العِتق إلى آخر أحاديث الأحكام، تفاؤلًا بأن يعتقه الله تعالى من النار، وقد سَلك ذلك بعض أهل العِلم). ا.هـ

وانظر لصنيع العلامة النحوي محمد بن القاسم أبو بكر الأنباري الحنبلي (ت ٣٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في كتابه الفريد: (الزاهرُ في معاني كلمات الناس)، حيث افتتح كتابه بباب: (حَسبنا الله ونِعمَ الوكيل)، أي: أتوكل على الله في الشروع بالكتاب والعمل عليه، وختمه بباب: (قولهم: اللهُم أوزِعنا شُكرك)، أي: على تمام الكتاب وختمه والانتهاء منه، ولا شك أن كُل هذا فيه من التفاؤل الحسن المرغوب.

قال الحافظ ابن حجر الكِناني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيح البخاري: (ومن براعة الختام الواقعة للمصنِّف في هذا الكتاب، ختمه كتاب التيمم، بقوله: فإنه يكفيك، إشارة إلى أنَّ الكفاية بما أورده تحصل لمن تدبَّر وتفهَّم، والله سبحانه وتعالى أعلم). ا.هـ [**فتح الباري شرح صحيح البخاري** (١/ ٤٥٨)].

ولـمَّا ختم الإمام الجليل البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كتاب التوحيد برقم (٩٧)، وهو آخر كتاب من جامعه الصحيح، ختم آخر باب فيه برقم (٥٨) باب قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، ختمه بحديث: (كلِمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللِّسان، ثقيلتان في الميزان: سُبحان الله وبحمده، سُبحان الله العظيم).

قال عندها ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والتَّسبيح مشروع في الختام فلذلك ختم بهِ كتاب التوحيد، والحمد لله بعد التَّسبيح آخر دعوى أهل الجنة، قال الله تعالى: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾). ا.هـ [**الفتح** (١٣/ ٦٧٧)].

٣٣- (الدعاء بطول العُمر من الفأل الصالح)

من الصور النبوية المشرقة للتفاؤل: الدعاء للشخص بطول العُمر، كما ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال لأم قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (ما قالت طال عُمرها؟)، يقول الراوي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ولا نعلمُ امرأةً عُمِّرت ما عُمِّرت. ا.هـ

وكان يدعو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله: (اللهم أكثر ماله وولده وأطل حياته)، وفي لفظ: (وأطل عُمره) ا.هـ

وطول العُمر للمسلم بحدِّ ذاته نعمةٌ عظيمة لما فيها من تحصيل الحسنات وتكفير السيئات.

كما ثبت في سُنن ابن ماجة وغيره: في قصة الرجلين الذي كان إسلامهما جميعًا، فجاهد أحدهما فاستشهد، ثُم عاش الآخر بعده سنةً ومات، فرأى طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في المنام: أن الذي عاش سنةً دخل الجنة قبل الذي استشهد.

فسأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: (أليس قد مكث الآخر بعدَهُ سنةً، وأدرك رمضان فصام، وصلى كذا وكذا سجدة في السنة، فما بينهما أبعد مما بين السماء والأرض). ا.هـ

وفي مُسند الإمام أحمد: من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: (إن من السعادة أن يطول عُمر العبد ويرزقه الله الإنابة). ا.هـ [**وحسنه: الهيثمي، والمنذري، وصححه: الحاكم، والذهبي، رحم الله الجميع**].

وفي الصحيح: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وإنّهُ لا يزيدُ المؤمنَ عُمرُهُ إلا خيرًا).

وقد سُئل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أي الناس خير؟ فقال: (من طال عُمره، وحسُن عمله). ا.هـ

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (خياركُم أطولُكم أعمارًا وأحسنُكم أعمالًا).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (طوبى لمن طال عمره، وحسن عمله). ا.هـ

ويُروى: (إذا أراد الله بقوم خيرًا مدَّ لهم في العُمر، وألهمهم الشكر).، وقيل: (إن السعادةَ كلُّ السعادة طول العُمر في طاعة الله).

قلتُ: وهذا بخلاف ما سمعتُه بأذني من المذياع، من بعض الجُهال الحمقى السُفهاء، حين زعم أن قولك لشخص: (يا طويل العُمر) خطأ؟!

لماذا يا شيخ الإسلام ومُفتي الأنام!!!

قال قُدَّ سُرُّه: لأننا سنموت عن قريب، وأنه لا ينبغي إطلاق مثل هذه العبارات، ولأن القلم قد جف بما هو كان، وإبليس هو الذي طال عُمره حتى يومنا هذا!!! ومن عاش رجب سمع العجب.

قال عز الدّين عبد العزيز بن عبد السلام الشافعي (ت٦٦٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولو آمن إنسان قبل موته بلحظة، لم يكن أجره كأجر إيمان من آمن قبل موته بيوم، ولا أجر من آمن قبل موته بيوم، كأجر من آمن قبل موته بشهر، ولا أجر من آمن قبل موته بشهر، كأجر من آمن قبل موته بعام، فليس من طال عمره في الطاعات والإيمان كمن قصر عمره). ا.هـ [**مختصر الفوائد ص ١٩٦، ط: دار ابن الجوزي**].

وقال العلامة الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ **في التنوير**: (موت الإنسان بعد أن كبر وعرف ربّه، خير من موته طفلًا بلا حساب في الآخرة).ا.هـ

٣٤ - (التفاؤل وآداب الجنازة)

قال ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في كتابه النافع المغني: (ويُكره الآجُرُّ - أي: فيما يوضع على الميت في القبر - لأنه من بناء المترفين، وسائر ما مسّتهُ النار، تفاؤلًا بأن لا تـمـسّـهُ النار). ا.هـ

وقال أيضًا: (ويُكره أتّباع الميت بنار، قال ابن المنذر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يَكـرَهُ ذلك كل من يُحفظ عنه: رُوي عن ابن عمر، وأبي هريرة، وعبد الله بن مغفل، ومَعقل بن يَسار، وأبي سعيد، وعائشة، وسعيد بن المسيّب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، أنهم وَصَّوا أن لا يُـتـبَـعـوا بـنـار، .... إلخ). ا.هـ

وقال أيضًا ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الكافي: (يُـكـره الدفن في التابوت، وأن يدخل القبر آجرًا أو خشبًا أو شيئًا مسّته النار، لأن إبراهيم - النخعي- قال: كانوا يستحبون اللّبن، ويكرهون الخشب والآجر، ولأنـه آلـة بناء المترفين، وسائر ما مسّته النار يُـكـره للتفاؤل بـهـا). ا.هـ

قلتُ: وهذه الآثار تجدها في مُصنَّـف الإمام الكبير ابن أبي شيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في كتاب الجنائـز.

بل وصل الحال بهم إلى كراهة أن يجمر سرير الميت، كُل ذلك لكي لا يقع في النفوس التفاؤل المكروه، من أن الميت سيُعذب بالنار.

قال أبو بكر بن أبي شيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثنا وكيع (ابن الجراح)، عن الرَّبـيع، عن الحسن وابن سيرين: (أنهما كرها أن يُـجـمِّـرا سرير الميت). ا.هـ **[وسنده جيد، الرّبيع بن صَبيح السَّعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، **فـيـه كـلام، لكن هـو في الجملة: لا بأس بـه رجلٌ صالحٌ، كما قـالـه الأئمة: أبو حاتم الرازي، والإمام أحمد، وابن معين، وابن عَدي، وغيرهم، قال الذهبي فيه: صدوق.]**.

٣٥ - (يدُ الله على الجماعة)

من صور التفاؤل البديعة: الاجتماع في المكان، وعدم التفرق فيه.

قال أبو ثعلبة الخشني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان الناس إذا نزلوا منزلًا تفرقوا في الشِعاب والأودية، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إن تفرقكم في هذه الشِعاب والأودية، إنما ذلكم من الشيطان)..

فلم ينزل بعد ذلك منزلًا، إلا انضم بعضهم إلى بعض، حتى يُقال: لو بُسط عليهم ثوب لعمّهم. ا.هـ

وخرج صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرة على أصحابه فوجدهم متفرقين، فقال: (ما لي أراكم عزين؟). ا.هـ

قال الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ في التنوير شرح الجامع الصغير: (لأنه ربما أدى تفرق الأبدان، إلى تفرق القلوب، الذي عنه ينشأ كل شر). ا.هـ

قلتُ: وعلى هذا قاعدة الدِّين، وإجماع السَّلف الصالح من المؤمنين.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم)..

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يـدُ الله على الجماعة)..

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اجتمعوا على طعامكم،واذكروا اسم الله، يبارك لكم فيه)..

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده)..

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (والجماعة بركة، والفرقة عذاب)..

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لن تجتمع أُمتي على الضَّلالة أبـدًا، فعليكم بالجماعة، فإن يـد الله على الجماعة).. ا.هـ

وثبت بسند صحيح: عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنـه قال: (وأن ما تكرهـون في الجماعة، خير مما تحبون في الفرقة). ا.هـ

فكُل هذه أحاديث صحيحة وصريحة: فيها الأمر بالاجتماع الحسي، والمعنوي، والفِكري، والعَقدي، والنفسي، وكل نوع من الاجتماع.

لأنه من مقاصد الشرع الحنيف، بشرط أن يكون على الحق، ولا حق مُطلقًا إلا في الكتاب والسُّنة على منهاج سلف هذه الأمة، لا بفهم فلان بن علان أو فهم هيان بن بـيان!!!

والنهي عن التشرذم والتفرق والتحزُّب وأسبابه مُطلقًا.

وقد ذكر أهـل العِلم رحمهم الله: التـناسب بين الظاهر والباطن، ومدى التأثير بينهما إيجابًا وسلبًا، وانعكاس ذلك على سلوك وأخلاق الإنسان.

وهـذا أمر مُشاهد ومحسوس، حتى مع البهائم، وما حديث: (والسكينة والوقار في أهـل الغنم)، مِنا بـبـعـيـدٍ.

ومن ذلك: - والله أعلم - كراهة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الشِّـكال من الخيل، لأن إحدى قوائمها مختلفة عن غيرها، والخلاف كُـلّـه شر.

وقاعدة الدِّين وما عليه سبيل المؤمنين هي في: تأليف القلوب، واجتماع الكلمة، وإصلاح ذات البين، ورأب الصدع بين الأخوين.

قال الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (وكل ما أوجب فتنة وفرقة، فليس من الدِّين، سواءٌ كان قولًا أو فِعلًا). ا.هـ

وتأمل جيدًا: ما قاله أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي (توفي بعد سنة ٤٤٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في ترجمة البهلول بن راشد الحَجري الرعيني (ت ١٨٣ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو من تلاميذ الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ما نصه:

(وقال بعض أصحابه: كنت يومًا جالسًاعنده، ومعه رجل عليه لباس حسن وهيئة، فقال له البهلول: أحب أن تذكر لي ما تحتج به القدرية، فسكت الرجل، حتى تفرق الناس، ثُم قال لهُ: يا أبا عَمرو: إنك سألتني عما تحتج به القدرية، وهو كلام تصحبُه الشياطين، لأنه سلاح من سلاحهم، فتُزيّنه في قلوب العامة، وفي مجلسك من لا يفهم ما أتكلم به من ذلك، فلا آمن أن يحلو بقلبه منه شيء، فيقول: سمعتُ هذا الكلام في مجلس البهلول، فقال لهُ: والله لأقبلنَّ رأسك، أحييتني أحياك الله). ا.هـ **[في كتابه النفيس: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، (١ / ٢٠٤)، تحقيق: بشير البكوش، طبعة ثانية: لعام ١٤١٤ هـ، دار الغرب الإسلامي].**

قلتُ: فانظر إلى الفقه العميق عند الرجل، حتى لو كانت هذه المسألة من مسائل الدِّين وأصوله، فلما ظن أن طرحها في المجلس، قد يتسبّب بفرقة وفتنة، امسك عن ذلك، مُراعاةً منه للمصالح الكُبرى المتعلقة باجتماع الناس وعدم تفرقهم، وليس العِلم أن تعرف: الخير من الشر فقط، كلا إنما فقيه البدن والصدر والروح: هو الذي يُميِّز بين خير الخيرين فيفعله، وشر الشرين فيجتنبه، وقليلٌ ما هُم!!!

وهذا ما نُريده من طلبة العِلم اليوم، لا نُريد طالب عِلم كالدفتر، لا يعرف ما يخرج من رأسه، ولا عواقب ذلك عليه وعلى الناس، ومَدى تأثير ذلك عبر الزمن البعيد.

إنما نُريد طلبة عِلم أقوياء فحول، يعرفون من أين يأتون ويذرون، ومتى يتكلم، ومتى يكون واجبه السكوت، ولزوم البيوت، هؤلاء الذين نُريدهم اليوم، وقليلٌ ما هُم، وكم من طامة وقعت بسبب أنصاف المتعلِّمين!!!

وأصل فعل الرجل الفقيه هو: القاعدة المشهورة المعروفة: بسدّ الذرائع.

وفي صحيح البخاري: قصة عبد الرحمن بن عوف مع عُمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، حين قال لـهُ: (يا أمير المؤمنين: لا تفعل، فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم،... وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالةً، يُطيّرها عنك كل مطيّر، وأن لا يَعُوها، وأن لا يضعوها على مواضعها،.....إلخ). ا.هـ

وقال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: (من أدب مجالس العِلم التقارب بالأبدان، حتى يكون ذلك تفاؤلًا حسنًا، وسببًا شرعيًا لتقارب القلوب). ا.هـ [**من سلسلة الهدى والنور (٢١٨/ أ)، شريط مسموع**].

٣٦ - (قلب الكلمة المكروهة إلى كلمة حسنة من التفاؤل)

جاء في الاستيعاب لابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ، وفيه: عبد الرحمن بن عُمر بن الخطاب الأصغر، أبـو المجبر واسمه أيضًا: عبد الرحمن كاسم أبيه، وسُمِّي (أو لُقب): المجبر، لأنـه وقع وهـو غلام، فتكسر.

فـأُتـي بـه إلى عمته: حفصة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقيل لها: انظري إلى ابن أخيك المكسَّر، فقالت: ليس والله بالمكسَّر، ولكنه المجبّر). ا.هـ، وهـذا والله عين التفاؤل والسلامة والعافية.

قال العلامة محمد بن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ **في شرحه على بلوغ المرام**: (وسُمّيت جبيرة بمعنى: جابرة تفاؤلًا، لأن العرب يُعبِّرون عما يُستكره باسمه بما يُقابله تفاؤلًا، ولذلك سمّوا المهلكة: مفازة من باب التفاؤل وهذا حسن، ولأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يُعجبه الفأل). ا.هـ

قلتُ: وراجع فقرات برقم (١٣)، (٤٠)، (٥١).

٣٧ - (الرُقى التفاؤلية)

قال العلامة ابن الملقن الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الرائع الماتع: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، (٢٧/ ١٧٥)، (٢٦ / ٢٩٥)، (٢٧ / ٤٧٧)، (٣٢/ ١٢٤)، (٢٧ / ٥٠٢)، فوائد متنوعة من عِـدّة مواضع:

الأولى: عند حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لما أُسري برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأُتي بقدح لبن وقدح خمر، قال: **(وأما أخذه اللبن وما قيل له: هُديت الفطرة، فهو من باب الفأل، لأن اللبن أول ما يفتح الرضيع إليه فمه، فلذلك سُمِّي فطرة، لأنه فطر جوفه، أي: شقه أول شيء)**. ا.هـ

الثانية: تحت باب: تسمية المولود غداة يولد لمن لم يعق وتحنيكه، من كتاب: العقيقة، قال ما نصه: **(وتحنيكه بالتمر تفاؤلًا له بالإيمان، كأنها ثمرة الشجرة التي شبهها الله بالمؤمن وبحلاوتها أيضًا)**. ا.هـ

الثالثة: تحت باب: الرُّقى بالقرآن والمعوذات، من كتاب: الطب، بعدما ذكر مشروعية الرقية، **أستنبط فائدة لـم أجدها لغيره**، وهي: وجـه مُناسبة النفث بالريق وانفصاله عن الفم، وخروجه منه، أن ذلك فيه: تفاؤل بخروج المرض بإذن الله من جسم المريض، كما خرج هـذا الريق بالنفث من الفم، فقال ما نصه: **(وقد يكون على وجـه التفاؤل بزوال الألـم عن المريض وانفصاله عنه، كما ينفصل ذلك النفث عن الراقي)**. ا.هـ

الرابعة: تحت باب: رؤيا الصالحين، من كتاب التعبير، بعدما ذكر ما حثّت عليه السُّنة، لمن رأى رؤية مكروهة: أن يستعيذ بالله من شرِّها، ويبصق عن يساره ثلاثًا، ويتحول عن الجنب الذي كان عليه، قال ما نصه:

(فجعل الله تعالى في التعوذ والبصاق سببًا لدفع مكروهها، كما جعل في الدعاء والرُقى سببًا لدفع مكروه الداء، والتحول كأنه من باب التفاؤل، من باب تغيير الحال). ا.هـ

الخامسة: تحت باب: مسح الراقي الوجع بيده اليُمنى، من كتاب الطب، قال ما نصه: (وفيه: **التبرك باليُمنى لفضلها على اليُسرى، وفيه معنى الفأل**). ا.هـ

٣٨ - (آداب الجلوس التفاؤلية)

ومن صور التفاؤل الرائعة: ما جاءت بـه السُّنة النبوية، والآثار السَّلفية، في استحباب الجلوس تجاه القبلة في كُـلّ وقت، وأن الكعبة قبلتنا أحياءً وأمواتًا، وفيه من الفأل الصالح: أن نعيش ونموت على التوحيد الخالص.

قال الله تعالى: ﴿وَٱجۡعَلُوا۟ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةً﴾، قال ابن عباس والضحاك ومجاهد وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: (نحو الكعبة).

وثبت في سُنن أبي داود رَحِمَهُ اللَّهُ: عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: خرجنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جنازة رجل من الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فانتهينا إلى القبر ولم يلحد بعد، فجلس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُستقبل القبلة وجلسنا معه. ا.هـ

وقـد بوّب عليه الحافظ المنذري رَحِمَهُ اللَّهُ **في ترغيبه قائلًا**: (**باب الترغيب في الجلوس مُستقبل القبلة**).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إن لكل شيء سيدًا، وإن سيد المجالس قُـبَالَـةَ القِبلَة). ا.هـ [**وحسنه المنذري، والسخاوي، والهيثمي، والألباني رحم الله الجميع**].

وفي لفظ: (أكرم المجالس ما استقبل به القبلة)..

وفي لفظ آخـر: (أشرف المجالس ما استقبل به القبلة)..

وفي لفظ: (خير المجالس ما استقبل به القبلة). ا.هـ

وفي الأدب المفرد للبخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن سُفيان بن منقذ، عن أبـيـه رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: (كان أكثر جلوس عبد الله بن عُمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو مُستقبل القبلة). ا.هـ

وفي الجامع للخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، **وفيه**: أقبل مُغِيث بن سُميّ (الأوزاعيّ التابعي الثقة)، إلى مكحول: فأوسع لـهُ إلى جنبه، فأتى وجلس مُقابل القبلة، وقال: هـذا أشرف المجالس. ا.هـ

وفي نبلاء الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عند ترجمة الإمام الحافظ محدث العراق أبو سُفيان وكيع بن الجراح الرؤاسي الكوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وفيه:

قال سلم بن جنادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (جالست وكيعًا سبع سنين، فما رأيته بزق، ولا مس حصاة، ولا جلس مجلسًا فتحرك، وما رأيته إلا مُستقبل القبلة)..

وقال الحافظ ابن معين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ما رأيت أفضل من وكيع، كان يستقبل القبلة، ويحفظ حديثه، ويقوم الليل). ا.هـ

وقال الإمام الحافظ الكوفي الكبير أبو بكر بن أبي شيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في مُصنفه: كتاب الأدب، باب: (من كان يستحب إذا جلس أن يجلس مُستقبل القبلة)، وساق هـذه الآثـار الثابـتـة عن السَّلف الصالح** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ:

حدثنا عبد الأعلى (ابن عبد الأعلى البصري)، عن بُرد بن سِنان (الشامي)، عن سُليمان بن موسى (القرشي الدمشقي التابعي)، قال: إن لكل شيء شرفًا، وأشرفُ المجالس ما استُقبل به القبلة.

وقال: ما رأيت سُليمان يجلس إلا مُستقبل القبلة. [**إسناده صحيح مقطوع، وفي المطبوع بتحقيق الأُستاذ: عوامة، ما رأيت سُفيان!!! وهو تصحيف، وجاء في حِلية الأولياء بلفظ: عن بُرد قال: ما رأيتُ سُليمان بن موسى إلا مُستقبل القبلة، وسُليمان كان فقيه أهل الشام في زمانه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ].

وحدثنا محمد بن أبي عَدِيّ، عن ابن عون (عبد الله المزني)، قال: كان محمد إذا نام استقبل القبلة، وربما استلقى. [**إسناده مقطوع بصري صحيح، شيخ المؤلف: محمد بن إبراهيم بن أبي عَدي السُّلمي، ومحمد هو: ابن سيرين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ].

وحدثنا وكيع (ابن الجراح)، عن مِسعَر (ابن كِدام)، عن أبي إسحاق (عَمرو السبيعي)، عن عبد الرحمن بن يزيد (النخعي): أن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ جلس مُستقبل القبلة. [**إسناده كوفي صحيح موقوف**].

وحدثنا وكيع، عن محمد بن عبد الله الشُّعيثيُّ، عن مكحول (الشامي) قال: أفضلُ المجالس مُستقبل القبلة. [**إسناده صحيح، ومكحول من فقهاء التابعين**].

وحدثنا وكيع، عن ثور (ابن يزيد الكَلاَعيُّ)، عن سُليمان بن موسى، قال: لكل شيء سيّدٌ، وسيدُ المجالس ما استَقبل القبلة. [**إسناده صحيح مقطوع**].

٣٩ - (متنوعات تفاؤلية)

هذه أنواع متفرقة ومتنوعة، أحببت الإشارة إليها لأهميتها، وتعلُّقها ببحث التفاؤل، فأقول والله وحده المستعان:

أ هل من التفاؤل جعل وجه البيت والمنزل جهة المشرق؟ لتُشرق أيامك بالخيرات؟ لا سيّما وشمسُ الرسالة من المشرق؟

قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنا الشمس في جو العلوم منيرة ولكنَّ عَيبي أن مطلعي الغربُ

ولو أنني من جانب الشَّرقِ طالِعٌ لجدَّ على ما ضاع من ذكري النَّهبُ

فالجواب: نقول فيه نوع تفاؤل، والأكمل والأفضل جعل وجه البيت والمنزل جهة الكعبة، كما تقدَّم تقرير ذلك في الفقرة السابقة رقم (٣٨).

ب هل ما يفعله العوام حين التثاؤب، يضع ظهر كفه على فِيهِ مقلوبة؟ رجاءً وتفاؤلًا، بأن يقلب الله سبحانه هذه الحال، إلى حال أحسن منها؟ لأن التثاؤب من الشيطان.

فالجواب: نعم من التفاؤل وضع ظهر الكف لا باطنه على الفم حين التثاؤب، رجاء أن يُبدِل الله حاله بحال أحسن منها، وقد سبق تقرير ذلك في الفقرة رقم (١٣)، ولكن لم أرى أحدًامن أهل العِلم أشار إلى ذلك، وأنه من التفاؤل المحبوب، فنعمت البدعة هذه!!!

نعم: قد نصَّ جماعة من العلماء منهم: ابن عابدين، وزكريا الأنصاري، والملا علي القاري، والرملي الشافعي، والبهوتي، وغيرهم رحمهم الله، على وضع اليد اليُسرى على الفم عند التثاؤب.

قال الشيخ العلامة عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حاشية الروض: (يضع ظهر كفه اليُسرى، ليشبه الدافع له، وقد تقدّم أن اليُسرى لما خبث). ا.هـ

ولكن لم أرى من قال بالتفاؤل، فخذها بغير شيء، قد كان الرجل يرحل فيما دونها إلى المدينة، كما قال الإمام الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ونظير هذه: تعديل الحِذاء والنعل إذا كان مقلوبًا: باطنه نحو السماء، وظاهره نحو الأرض، فتُعدِّلهُ على هيئته الصحيحة، وهذه من مُلح التفاؤل.

جـ قال الإمام الحافظ ابن أبي شيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مُصنفه: حدثنا وكيع (ابن الجراح)، عن سُفيان (الثوري)، عن أبي إسحاق (عَمرو السبيعي)، عن أبي الأحوص (عوف بن مالك)، قال: قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: مع كُل فَرحة تَرحة.

قلتُ: وسنده كوفي صحيح موقوف، وفيه من الفقه العجيب:

إنَّ الإنسان في هذه الحياة الدُّنيا دائرٌ بين الخير والشر، الفرح والحزن، البَسطة في الرزق وغيره والضيق، التفاؤل والتشاؤم، وهكذا في سلسلة طويلة جدًا.

والمطلوب: أن يُقدِّم التفاؤل على التشاؤم دائمًا، في كل وقت يختار الجانب المضيء على المظلم، كما قدَّم ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: الفرح على الترح وهو الحُزن، وقد تقدَّم في الفقرة رقم (١٨)، ذِكر الأدلة على التفاؤل بتقديم كُل ما قدَّمه الكتاب والسُّنة.

لكن هُنا أُحبُّ أن أُنبِّه على نوعٍ من التفاؤل دقيق وهو: ما وجه الحِكمة من تعاقب الفرح والترح؟!

فالجواب: رحمة أرحم الراحمين بالمخلوقين، وهي: لو استمرت الأفراح لطغى الإنسان، وتمرّد وأصبحت هذه الأفراح سبب هلاكه.

والعكس بالعكس: لو استمرّ الترح بالإنسان لحمله ذلك على اليأس من رحمة الله والقنوط، بل والكفر به والعياذ بالله.

فالأحوال التي تعتري الإنسان لا تدوم أبدًا، ومن المُحال دوام الحال كما يقولون، وهذه كلمة حق.

إذا علِمتَ هذا: تفاءلت أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مُقدَّم على الشدّة، وإن مع العُسر يُسرًا، والليل مهما طال فلا بُد من الفجر، وحينها تكون في حالة تفاؤلية مُستمرة دائمًا، والله أكرم وأعلم وأرحم.

د **قوله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(مثلُ أُمتي مثلُ المطر لا يُدرى أوَّلُهُ خَيرٌ أَم آخرُهُ؟!).** **[رواه الترمذي في سُننه وحسَّنه هو وابن حجر في الفتح، وصححه: ابن حبان وابن كثير والألباني رحم الله الجميع].**

هذا الحديث قمة بالتفاؤل، وآية عجيبة، وكرامة لهذه الأُمة المنصورة، كيف ذلك؟!

أقول: شَبَّه أُمته بالمطر في نفع أوله وآخره، وحياة الوجود به، وحاجتهم الشديدة إليه، وعدم استغنائهم لشيءٍ منه، وهذا قمة التفاؤل، وتلاحظ شيئًا آخر وهو: كُل تشبيهات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها تفاؤل عظيم، فمثلًا: شبَّه المؤمن بالنخلة وبالنحلة وبسبيكة الذهب وبالأترجة، وشبَّه أُمته بالمطر، وشبَّه دينه بالغيث، وشبَّه الجليس الصالح بالمسك الطيب.

فالأُمة مهما تسلَّط عليها الأعداء، ومهما مَكر بها أولياء الشيطان، ومهما ضعفت ومرضت، ومهما أصابها ما أصابها، ففيها الخير باقٍ، ففي الناس بقايا، وفي الزوايا خفايا، ولن يُضيِّع الله دينه.

والحقُّ مَنصُورٌ ومُمتحن فلا ** تَعجَب فهَذِي سُنَّةُ الرَّحمنِ

قال الرامهرمزي رَحِمَهُ اللَّهُ في الأمثال: (إن تعلَّق مُتعلِّقٌ بظاهر هذا الحديث، فادَّعى عليه تناقُضًا في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خيرُ أمتي قرني، ثُمَّ الذين يلونهم، فإن المعنى في قوله: لا يُدرى أوّلهُ خيرٌ أم آخرهُ، إنَّ الخيرَ شَامِلٌ لَهَا، وإن كان مَعلومًا أنَّ القرن الأول خيرٌ من الثاني، وهذا كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾). ا.هـ

وقال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح المشكاة: (لا يُحمل هذا الحديث على التردد في فضل الأول على الآخر، فإن القرن الأول هم المفضلون على سائر القرون من غير مِرية، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، وإنما المراد منه: نفعهم في بث الشريعة، والذب عن الحقيقة).ا.هـ

وقال بعض العُلماء رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (نفى تعلق العِلم بتفاوت طبقات الأمة في الخيرية، وأراد به نفي التفاوت لاختصاص كل منهم بخاصية توجب خيريتها، كما أن كل نوبة من نوب المطر لها فائدة في النماء لا يمكن إنكارها والحكم بعدم نفعها، فإن الأولين آمنوا لـمَّا شاهدوا من المعجزات وتلقوا دعوة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالإجابة والإيمان، والآخرون آمنوا بالغيب بما تواتر عندهم من الآيات، واتبعوا من قبلهم بإحسان، وكما اجتهد الأولون في التأسيس والتمهيد، اجتهد المتأخرون في التجريد والتلخيص، وصرفوا عمرهم في التأكيد والتقرير، فـكُـلٌّ ذنبه مغفور وسعيه مشكور). ا.هـ

وقال السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال الطيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تمثيل الأُمة بالمطر إنما يكون بالهدى والعِلم، كما أنَّ تمثيله صلوات الله عليه وسلامه بالغَيث بالهدى والعِلم، فتختصُّ هذه الأُمة المشبَّهة بالمطر بالعُلماء الكاملين منهم، والمكمِّلين لغيرهم، فيستدعي هذا التفسير أن يُراد بالخير النَّفع، فلا يلزم من هذا المساواة في الأفضلية، ولو ذهب إلى الخيريَّة، فالمراد وصف الأمة قاطبةً، سابقها ولاحقها، أوَّلها وآخِرهَا بالخيرية، وأنها مُلتحمةٌ بعضها مع بعضٍ، مرصوصةٌ كالبنيان، على حدِّ قول الأنماريَّة: هم كالحَلقة المفرغة، لا يُدري أين طَرفَاها، وقول الشَّاعِر:

إنَّ الخيـــارَ مـــن القبائـــل واحـــدٌ ** وبنُـــو حنيفـــةَ كلُّهـــم أخيـــارُ

فالحاصل: أنَّ الأمة بأسرها مرتبط بعضها مع بعضٍ في الخِياريَّـة بحيث أُبهِمَ أمرها، وارتفَع التمييز بينها، وإن كان بعضها أفضل من بعضٍ في نفس الأمر، وهو قريبٌ من باب سَوق المعلوم مَسَاق غيره، وفي معناه قولُـهُ:

تـــشابَه يومـــا بأسِـــه ونوالِـــه ** فـما نحـنُ نـدري أيَّ يومـيهِ أفـضلُ

أيـــومُ نَـــداه الغَمـــر أم يـــومُ بأسِـــه ** ومـــا مِـــنهُمَا إلَّا أغـــرُّ مُحجَّـــلُ

ومعلومٌ عِلمًا جليًّا أنَّ يوم نداه الغَمر أفضل من يومِ بأسِهِ، لكنَّ النَّدى لـمَّا لم يكن

يكمُل إلَّا بالبأس أشكل عليه الأمر، فقال ما قالَ، وكذلك أمر المطر والأُمة). ا.هـ [قُوت المغتذي على جامع الترمذي (٢/ ٩٣١)، ط: دار النوادر].

وقال ابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تأويل مختلف الحديث: (وإنما قال مثل أمتي مثل المطر لا يُدرى أوله خير أم آخره على التقريب لهم من صحابته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، كما يُقال: ما أدري أوجه هذا الثوب أحسن أم مؤخره؟ ووجهه أفضل، إلّا أنك أردت التقريب منه، وكما تقول: ما أدري أوجه هذه المرأة أحسن أم قفاها؟ ووجهها أحسن، إلّا أنك أردت تقريب ما بينهما في الحُسن). ا.هـ

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التفسير: (فهذا الحديث: محمول على أن الدِّين كما هو محتاج إلى أول الأمة في إبلاغه إلى من بعدهم، كذلك هو محتاج إلى القائمين بـهِ في أواخرها، وتثبيت الناس على السُّنة وروايتها وإظهارها، والفضل للمُتقّدم، وكذلك الزرع هو محتاج إلى المطر الأول وإلى المطر الثاني، ولكن العُمدة الكبرى على الأول، واحتياج الزرع إليه آكـد، فإنه لولاه ما نبت في الأرض، ولا تعلّق أساسه فيها، ولهذا قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، إلى قيام الساعة، وفي لفظٍ: حتى يأتي أمر الله تعالى وهم كذلك، والغرض أن هذه الأُمة أشرف من سائر الأمم، والمقربون فيها أكثر من غيرها، وأعلى منزلة، لشرف دينها، وعِظم نبيها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). ا.هـ

٤٠ - (من التفاؤل قلب الأقدار المؤلمة لصالحك)

﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، قلب الواقع المؤلم الحزين إلى واقع سار سعيد من أصول التفاؤل وجذوره، كيف ذلك؟!

الإنسان في هذه الحياة تمُر به أشياء وأمور يكرهها ولا يحبها ولا يرغب بوقوعها ولكن هي من قدر الله النافذ في العباد، ومن أركان الإيمان عند المسلم الإيمان بالقضاء خيره وشره.

والمُوفَّق حقًّا هو الذي يَقلب هذا القدر بقدرٍ مُضاد، يستغل هذه المعطيات المكروهة لنفسه، يقلبهُ لصالحه، يستثمر الذي حصل ويوظِّف هذا القضاء لهُ، ينتهز الفُرصة، ولو لم تتهيأ له الأسباب الكافية لذلك.

ولو كان في أحلك الظروف وأشد الصِعاب فـ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾.

عُدَاتِي لهُم فَضلٌ عليَّ ومِنةٌ ** فَلا أَذهبَ الرَّحمَنُ عنِّي الأعادِيا

هَموا بَحَثوا عَن زلَتِي فأجتنَبتُها ** وهم نافسُوني فاكتَسَبتُ المعاليا

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الفقيه كلُّ الفقيه، الذي يردّ القدر بالقدر، ويدفع القدر بالقدر، ويُعارض القدر بالقدر، **بل لا يمكن الإنسانَ يعيش إلا بذلك**، فإنّ الجوع والعطش والبرد وأنواع المخاوف والمحاذير هي من القدر، والخلقُ كلّهم ساعون في دفع هذا القدر بالقدر). ا.هـ[**من كتابه البديع: الداء والدواء ص٣٤**].

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في شفاء العليل**: (الآلام والمشاق: إما إحسان ورحمة، وإما عدل وحكمة، وإما إصلاح وتهيئة لخير يحصل بعدها، وإما لدفع ألم هو أصعب منها، وإما لتولدها عن لذات ونعم يولدها عنها أمر لازم لتلك اللذات، وإما أن يكون من لوازم

العدل أو لوازم الفضل والإحسان، فيكون من لوازم الخير التي إن عطلت ملزوماتها فات بتعطيلها خير أعظم من مفسدة تلك الآلام). ا.هـ

ذكر ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المنتظم، أحداث سنة ١٤ هـ وفيها ملحمة الإسلام الكُبرى في كسرِ كِسرى بمعركة القادسية الشهيرة، فقال:

(وبعث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بجماعة من المسلمين إلى يزدجرد يدعونه إلى الإسلام، فلما دخلوا عليه، قال: ما الذي دعاكم إلى غزونا، والولوع ببلادنا، فقال له النعمان بن مقرن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إن الله تعالى أرسل إلينا رسولًا يدلنا على الخير، فأمرنا أن ندعو الناس إلى الإنصاف، ونحن ندعوكم إلى ديننا، فإن أبيتم فالمناجزة.

فقال يزدجرد: إني لا أعلم في الأرض أمة أشقى منكم.

فقال المغيرة بن زرارة الأسدي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: اختر إن شئت الجزية عن يد وأنت صاغر، وإن شئت السيف أو تُسلِم، فقال: أتستقبلني بمثل هذا؟

فقال: ما استقبلت إلا من كلَّمني، فقال: لولا أن الرُّسل لا تُقتل لقتلتك، لا شيء لكم عندي.

ثُم قال: ائتوني بوقر من تُراب، واحملوه على أشرف هؤُلاء، ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن، ارجعوا إلى صاحبكم فاعلموه أني مُرسل إليهم رُستم حتى يدفنه وجنده في خندق القادسية.

ثُم قال: من أشرفكم؟ فسكت القوم، فقال عاصم بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنا، فحملنيه، فحمله على عنقه.

فأتى به سعدًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقال: مَلَّكنا الله أرضهم، تفاؤلًا بأخذ التُراب). ا.هـ

إذا استَقبلَت نفسُ الكريم مُصَابَهَا ** بِخُبثٍ ثَنَتْ فاستَدبَرته بِطيبِ

وجاء عند الأبشيهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المستطرف ما نصه: (دخل الحجاج بن يوسف الكوفة متوجها إلى عبد الملك، فصعد المنبر، فانكسر تحت قدمهِ، فعلم أنهم قد تطيَّروا لهُ بذلك، فالتفت إلى الناس، قبل أن يحمد الله تعالى، فقال: شاهت الوجوه، وتبّت الأيدي، وبُؤتم بغضب من الله، إذ انكسر عود جذع ضعيف، تحت قدم أسد شديد، تفاءلتم بالشؤم! وإني على أعداء الله تعالى لأنكد من الغُراب الأبقع، وأشأم من يوم نحس مُستمر). ا.هـ

وفي عيون الأخبار للدينوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ وفيه: (لما قام يخطب قُتيبة بن مُسلم على منبر خُراسان سَقط القضِيبُ من يده، فتفاءل لهُ عدوّه بالشرّ، واغتمّ صديقُه، فعَرف ذلك قُتيبة فقال: ليس الأمرُ على ما ظنّ العدوّ وخاف الصديق، ولكنه كما قال الشاعر:

فألقت عَصَاها واستقرّ بها النَّوى ** كما قرّ عَينًا بالإيابِ المُسافر). ا.هـ

قلتُ: وإلقاء العصى كناية عن استقرار الأمر لهُ، وهذا في غاية التفاؤل وسرعة البديهة.

ونحوه فيما يُروى عن: (خالد بن يزيد لمّا دخل الموصل واليًا عليها، اندق منه اللِّواء في بعض أبوابها، فتطيَّر من ذلك، فبادره أبو الشمقمق وكان معه قائلًا:

ما كان مندق اللِّواء لطيرة ** تخشى ولا سوء يكون مُعجلا

لكن هذا الرُمح أضعف متنه ** خطر الولاية واستقل الموصلا

فسرى عن خالد، ومثل ذلك ما يُحكى أن طاهر بن الحسين لمّا خرج لقتال علي بن عيسى بن ماهان، وفي كمّه دراهم يُفرِّقها على الضعفاء، وغَفل عنها فأسبل كمّه فتبدّدت فتطيَّر بذلك، فأنشده شاعر كان معه:

هـــذا تـفـــرق جمعهـــم لا عـــيره ** وذهابهـــا منـــه ذهـــاب الهـــمِ
شيء يكـــون الهـــم نـــصف حروفـــه ** لا خـــير في إمـــساكه في كـــمِ). ا.هـــ

قلتُ: فكُن فقيه البدن وتعامل مع الأقدار بمرونة وحِنكة ومهارة عالية، والله الحكيم لم يخلق شرًّا محضًا قط،﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾.

فالأقدار الحزينة تُعطيك الخبرة في الحياة وإن كرهتها في نفسك، والأقدار القاسية والمؤلمة تُعطيك الدروس والعِبر المستفادة منها، وأما الأقدار الجميلة فتُعطيك السعادة.

فالأيام أيام الله عِش معها وفيها كيفما كانت بتفاؤل وأمل كبيرين.

وثق تمامًا لا يوجد بلاء ومِحن ليس فيها خير، ولكن تحتاج منا استنباط هذا الخير الذي في جوفها واستخراجه.

سمعت كلمة أزعجتك، رأيت منظر كرهته، اقلبه فورًا للأحسن لأن هذا هو علاجه ودواؤه،

إذا سمعت قائلًايقول: فلان خسِر،

فقُل: لا، بل سينجح بإذن الله ويربح.

فلان عثر، فقُل: لكُل جواد كبوة، وسيقوم بمشيئة الله.

رأيت المنكرات والمعاصي فاشية،

فضاعف الجهد والعمل وارحم الخلق ولا تيأس وهكذا.

قال إسحاق العابد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ربما امتحن الله العبد، بمحنة يخلّصه بها من الهلكة، فتكون تلك المحنة، أجلَّ نعمة). ا.هـ

وقال الفضل بن سهل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إنَّ في العِلل لنعمًا لا ينبغي للعاقل أن يجهلها:

تمحيص للذنب، وتعرض لثواب الصبر، وإيقاظ من الغفلة، وإذكار بالنعمة في حال الصحة، واستدعاء للمثوبة، وحض على الصدقة، وفي قضاء الله وقدره بعد الخير). ا.هـ

وعن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنها ذُكرت عند رجل فسبّها، فقيل لهُ: أليست أُمُّك؟

قال: ما هي بأم.

فبلغها ذلك فقالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: صدق، إنما أنا أم المؤمنين، وأما الكافرين فلست لهم بأم.

قال العلامة ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ: (المؤمن يمشي مع البلاء كيف ما مشى به، فيلين له فيقلّبه البلاء يمنة ويسرة، فكلّما أداره استدار معه، فيكون عاقبته العافية من البلاء وحُسن الخاتمة، وتوقي ميتة السوء.

فلهذا كان مثله كمثل السنبلة تفيئها الرياح يمنة ويسرة، فلا تضره الرياح كما في أمثال العرب: إذا رأيت الريح عاصفًا فتطامن، أي: إذا رأيت الأمر غالبًا فاخضع له.

وقال الحكماء: لا يُرد العدو القوي بمثل الخضوع له، ومثله مثل الريح العاصف يسلم منها الزرع لِلينه لها ومعها، ويتقصف منها الشجر العظام لانتصابها لها.

فإن الفاجر لقوته وتعاظمه يتقاوى عَلَى الأقدار، ويستعصي عليها، كشجرة الصنوبر التي تستعصي عَلَى الرياح، ولا تتطامن معها، فتسلّط عليه ريح عاصف لا يقوى عليها، فتقلعه من أصله بعروقه فتهلكه). ا.هـ [**من رسالة: غاية النفع في شرح حديث تمثيل المؤمن بخامة الزرع**].

قلتُ: وهذا الأمر أعني: (قلب الأقدار المؤلمة لصالحك)، كما يكون في الأمور العملية الواقعية، يكون أيضًا في الأمور العلمية النظرية الذهنية، وهو ما يُعرف في عِلم الجدل والمناظرة بـ: (**قَلبُ الدَّليل**)، أي: إذا أتاك مُبطل بدليلٍ صحيح من القرآن أو السُّنة، واستدل به على جواز أمر من الأمور الباطلة شرعًا، فاجعل هذا الدليل بعينه حُجة عليه لا لـهُ، وبيِّن لـهُ أن استدلاله بهذا خطأ، والصواب فيه هو كذا وكذا.

وهذا الفن: (**المعارضة بالقلب**) مشهور معروف عند أهل العِلم، يستخدمونه في المناظرات الفقهية ونحوها.

قال يوسف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، نستفيد من هذا الموقف الرائع من نبي الله الكريم بن الكريم، أنه لم يمنعه السجن والحبس عن تبليغ دين الله والدعوة إليه، واستغل وجودهم في السجن، وسؤالهم عن الرؤيا وتعبيرها في الدعوة إلى التوحيد الخالص، وهذا من الفقه العظيم.

وقد فعل ذلك أيضًا شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين سُجن بالقلعة كما في مصادر ترجمته.

وأعرف شيخًا سُجن في ديْـنٍ عليه لمدة يَسيرة دون الشهر، سمعتهُ يقول حين خرج من الحبس: (الحمد لله شرحنا الأصول الثلاثة لمحمد ابن عبد الوهاب خلال هذه الفترة على السُجناء).

وتأمل معي ما جاء في صحيح مسلم: عن صهيب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت، فابعث إليّ غلامًا أعلّمه السحر، فبعث إليه غلامًا يعلّمه، فكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه، فأعجبه فكان إذا أتى الساحر مرَّ بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر، فبينما هو كذلك، إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم آلساحر أفضل أم الراهب أفضل؟

فأخذ حجرًا فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحبُّ إليك من أمر الساحر فاقتل

هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها، ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بُنيّ أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستُبتلى، فإن ابتليت فلا تدل عليَّ، وكان الغلام يُبرئ الأكمه والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما هاهنا لك أجمع، إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحدًا إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله.

فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي، قال: ولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يُعذبه حتى دلَّ على الغلام، فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بُنيَّ قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص، وتفعل وتفعل، فقال: إني لا أشفي أحدًا، إنما يشفي الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الراهب، فجيء بالراهب، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدعا بالمنشار، فوضع المنشار في مفرق رأسه، فشقه حتى وقع شقاه، ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه، فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك، فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته، فإن رجع عن دينه، وإلا فاطرحوه.

فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يَمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور (أي: سفينة)، فتوسطوا بـه البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه، فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يَمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله.

فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خُذ سهمًا من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قُل: باسم الله رب الغلام، ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهمًا من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: باسم الله رب الغلام، ثم رماه فوقع السهم في صدغه، فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات.

فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، فأُتي الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس، فأمر بالأخدود في أفواه السكك، فخُدت وأضرم النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها، أو قيل له: اقتحم، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمه اصبري فإنك على الحق). ا.هـ

قلتُ: ويُستفاد من القصة إنَّ الغُلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ لـمَّا علِم أنـه ميّت لا محالة، وأن الملك لن يتركه حتى يقتله، استغل هذا الأمر لدعوة الناس إلى التوحيد الخالص ونبذ الشرك، وقـد نجح في ذلك ولله الحمد، وآمن الناس كلهم، ويستطيع الغُلام وقتها حين عجزوا عن قتله أن يهرب إلى أي مكان آمـن، ولكن اقتضت حكمة الله تعالى وحُسن وتدبيره أن يرجع للملك، ويكون على يديه هذا الخير الكبير.

وذكَّرني هذا الغُلام بما قـد وقع في زماننا هذا من أمرٍ كرههُ أهل الإسلام قاطبة، وهو قيام بعض المخذولين بالطعن في صحيح الإمام البخاري، على الملأ في قناة فضائية عربية، فساء أهل الغيرة والدِّين ما حصل وقتها وانزعجوا كثيرًا.

ولكن سبحان الله بعدما ضاقت صدور كثير من الناس، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، أعقب هذا الأمر خيرًا كثيرًاوكبيرًا جـدًا، فقد أُقيمت بسببه المؤتمرات

والمحاضرات والندوات في عدة دول ومراكز علمية وجامعات شرعية وغير ذلك، في بيان فضل كتاب الجامع الصحيح للإمام البخاري، ونُبذ من ترجمة هذا العالم الجليل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ونُشرت من خلال أجهزة التلفاز والفضائيات والجوالات والأنترنت، وحصل بسبب ذلك خير كبير جدًا للناس، في تذكيرهم بسلفهم الصالح، بل قُرئ الجامع الصحيح كاملًا في المسجد النبوي بالمدينة من خلال دورة علمية مُكثفة، فالسعيد من ردَّ القدر الكوني بالقدر الشرعي، واستغل الفُرص وانتهزها.

وتذكَّرت حينها مقولة شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجواب الصحيح: (ومن أعظم أسباب ظهور الإيمان والدِّين، وبيان حقيقة أنباء المرسلين، ظهور المعارضين لهم من أهل الإفك المبين). ا.هـ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفتاوى: (ومن سُنة الله أنه إذا أراد إظهار دينه، أقام من يُعارضه، فيحق الحق بكلماته، ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق). ا.هـ

وتأمل معي أيضًا هذا الحديث: عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن رجلًا سأل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متى الساعة يا رسول الله؟

قال: ما أعددت لها؟

قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة، ولكني أُحب الله ورسوله.

قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنت مع من أحببت. ا.هـ

قال العلماء في هذا الحديث: (سلك مع السائل طريق الأسلوب الحكيم، لأنه سأل عن وقت الساعة، وأجاب بقوله: ما أعددت لها؟ يعني: إنما يهمك أن تهتم بأهبتها، وتعتني بما ينفعك عند قيامها من الأعمال الصالحة، فأعرض عن الجواب عن الساعة، إلى ذكر الاستعداد لها، لأنه هو المأمور به، وهو الذي يعني السائل وغيره، وينبغي الاهتمام به). ا.هـ

قلتُ: فنقل السائل من الحكم والقدر الكوني الذي لا يعلمه أحد، إلى الحكم الشرعي المترتب على السؤال، وهو الذي ينفع السائل أكثر، فوقوع الساعة أمر حتمي لا شك فيه، ومعرفتنا بها تحديدًا لا ينفعنا بشيءٍ إطلاقًا بل قد يضرنا ذلك، وهذا من رحمة الله بنا، والذي ينفعنا ويترتّب عليه الثواب والعقاب هو: العمل الذي يصدُر منَّا.

وهذه الفقرة الخطيرة والجليلة تتبع التي سبقت برقم (١٣) و(٣٦)، وما سيأتي برقم (٥١)، فاحرص عليها لأنها من العِلم الدقيق الذي لا يعلمه ولا يُدركه أكثر المتفقهة في زماننا هذا.

٤١ - (آية تفاؤلية)

في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾.

قال العلامة الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره عند هذه الآية: (قال جمع من المفسرين: المراد بالفتح هنا فتح مكة، وأن محمله على الوعد بالفتح، والمعنى: سنفتح، وإنما جيء في الإخبار بلفظ الماضي لتحققه وتيقنه، شبه الزمن المستقبل بالزمن الماضي فاستعملت له الصيغة الموضوعة للمضي.

أو نقول استعمل: فتحنا، بمعنى: قدرنا لك الفتح، ويكون هذا الاستعمال من مصطلحات القرآن لأنه كلام من له التصرف في الأشياء لا يحجزه عن التصرف فيها مانع.

والجمهور على أن المراد في سورة الفتح هو صلح الحديبية، وجعلوا إطلاق اسم الفتح عليه مجازًا مُرسلًا باعتبار أنه آل إلى فتح خيبر وفتح مكة، أو كان سببًا فيهما، فعن الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: لقد كان يوم الحديبية أعظم الفتوح ذلك أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء إليها في ألف وأربعمائة، فلما وقع الصلح مشى الناس بعضهم في بعض، أي:

تفرقوا في البلاد، فدخل بعضهم أرض بعض من أجل الأمن بينهم، وعلموا وسمعوا عن الله فما أراد أحد الإسلام إلا تمكن منه، فما مضت تلك السنتان إلا والمسلمون قد جاؤوا إلى مكة في عشرة آلاف.

وفي روايـة قال: فلما كانت الهدنة أمن الناس بعضهم بعضًا فالتقوا وتفاوضوا الحديث والمناظرة فلم يُـكـلَّـم أحد يعقل بالإسلام إلا دخل فيه.

وعلى هذا فالمجاز في إطلاق مادة الفتح على سببه ومآله لا في صورة الفعل، أي: التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي لأنـه بهذا الاعتبار المجازي قد وقع فيما مضي، فيكون اسم الفتح استعمل استعمال المشترك في معنييه، وصيغة الماضي استعملت في معنييها، فيظهر وجه الإعجاز في إيثار هذا التركيب). ا.هـ **بتصرف يسير**.

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾.

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تفسيره:** (﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾، أي: نبعثهم بعد موتهم لنجازيهم على الأعمال، ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟﴾، من الخير والشر، وهو أعمالهم التي عملوها وباشروها في حال حياتهم،﴿وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ﴾، وهي آثـار الخير وآثـار الشر، التي كانوا هم السبب في إيجادها في حال حياتهم وبعد وفاتهم، وتلك الأعمال التي نشأت من أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، فكل خير عمل بـه أحـد من الناس بسبب عِلم العبد وتعليمه ونصحه، أو أمره بالمعروف، أو نهيه عن المنكر، أو عِلم أودعه عند المتعلمين، أو في كتب ينتفع بها في حياته وبعد موته، أو عمِل خيرًا، من صلاة أو زكاة أو صدقة أو إحسان، فاقتدى به غيره، أو عمِل مسجدًا، أو محلًا من المحال التي يرتفق بها الناس وما أشبه ذلك، فإنها من آثاره التي تُكتب لـهُ، وكذلك عمل الشر.

ولهذا: من سنَّ سُنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سنَّ سُنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.

وهذا الموضع يبين لك عُلو مرتبة الدعوة إلى الله والهداية إلى سبيله بكل وسيلة وطريق موصل إلى ذلك، ونزول درجة الداعي إلى الشر الإمام فيه، وأنه أسفل الخليقة، وأشدهم جُرمًا، وأعظمهم إثمًا). ا.هـ

قلتُ: ومن الآثار الصالحة في العبادة والتي يُطلب ويُرغّب ببقائها: خلوف فم الصائم، وثياب المعتكف برمضان، وأثر التراب أو الطين في جبهة الساجد ووجهه، وعدم تغسيل الشهيد، ودفن المحرم بالحج أو العُمرة بثيابه لأنه يُبعث مُلبيًا، وترك التنشيف بعد الوضوء، ونحوها.

واليوم ونحن في زمن التقنية الحديثة من الأجهزة الذكية وغيرها من أنواع المخترعات، تبقى هذه الآثار بعد موت الإنسان لا تزول إلى ما شاء الله، فاغتنمها في آثـار الخير وبـثّـه ونشره والدلالة عليه.

وهذا فيه من التفاؤل الحسن والصالح ببقاء آثار الخير والحسنات والعبادات لكَ في الدُّنيا، فيجتمع لكَ الأجر والذِكر الحسن، وتكون شاهدة لكَ يوم القيامة في الآخرة، وهذا من مزايا ديننا العظيم.

وفيه ملحظ تربوي دقيق وهو: تـأثـر الـنـاس بـذلـك.

من المعلوم أن الناس ينفعلون ويتأثرون بالأفعال أكبر وأكثر من تأثرهم بالأقوال المجردة، فرؤيتهم لآثـار العبادات والأعمال الصالحات مما يُشجعهم ويُثبتهم ويربط على قلوبهم في زمن الفتن والقلاقل.

وفيه: إظهار للخيرات والطاعات ليقتدي بهم الناس ويكونون أسوة حسنة.

وفيه: إرغام الشيطان وأعوانه ومن تُسوّل لهُ نفسه من المنافقين ونحوهم.

وفيه: نشر الخير بين الأنام، إلى غير ذلك من الفوائد لمن تأمله.

قال العلامة ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتح الباري: (أما مسح الوجه من أثر السجود بعد الصلاة فقد كرهه طائفة، لما فيه من إزالة أثر العبادة، كما كرهوا التنشيف من الوضوء، والسواك للصائم، وقال عُبيد بن عمير: لا تزال الملائكة تُصلي على الإنسان ما دام أثر السجود في وجهه، خرجه البيهقي بإسنادٍ صحيح.

وحكى القاضي أبو يعلي رواية عن أحمد أنه كان في وجهه شيء من أثر السجود فمسحه رجل، فغضب، وقال: قطعت استغفار الملائكة عني، وذكر إسنادها عنه، وفيه رجل غير مسمىً.

وبوب النسائي باب: ترك مسح الجبهة بعد التسليم، ثم خرّج حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وفي آخره: قال أبو سعيدٍ: مُطِرنا ليلةَ إحدى وعشرين، فوَكف المسجد في مُصلَّى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فنظرتُ إليه وقد انصرف من صلاة الصُّبح، ووجهُه مُبتلٌّ طينًا ومَاءً). ا.هـ

قلتُ: وقال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (رأيتُ الحُميديَّ يحتجُّ بهذا الحديث أن لا يمسحَ الجبهة في الصلاة)،

قال ذلك في صحيحه تحت كتاب: الأذان، باب: مَن لم يمسح جبهتهُ وأنفَهُ حتى صلَّى.

وفي مُصنف الإمام الكبير ابن أبي شيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إذا كنت في الصلاة، فلا تَمسح جبهتك، ولا تنفخ، ولا تـحـرِّك الحصباء.

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أربعٌ من الجفاء: أن يُصلي الرجل إلى غير سُترة، وأن يمسح جبهته قبل أن ينصرف، أو يبول قائمًا، أو يسمعَ المنادي ثم لا يُجيبه.

وقال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما أحب أن لي حُمر النَّعم وأني مسحت مكانَ جبيني من الحصى، إلا أن يغلبني فأمسح مَسحة.

وقد كرِه جماعة من التابعين مسح الوجه والجبهة في الصلاة أو بعدها، منهم: الحسن البصري، وعامر الشعبي، ومكحول الشامي، وعطاء بن أبي رباح، وسعيد بن جبير، وعبد الله بن بُريدة بن الحصيب، وميمون بن مِهران، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قال العلامة المحقق ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في الوابل الصيب: (وفصلُ النزاع في المسألة أن يُقال: حيث أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن ذلك الطيب يكون يوم القيامة، فلأنه الوقت الذي يظهر فيه ثواب الأعمال ومُوجباتها من الخير والشر،

فيظهر للخلق طيبُ ذلك الخلوف على المسك، كما يظهر فيه رائحة دم المكلوم في سبيله كرائحة المسك، وكما تظهر فيه السرائر وتبدو على الوجوه وتصير علانية، ويظهر فيه قبح رائحة الكفار وسواد وجوههم.

وحيثُ أخبر بذلك فلأنه وقت ظهور أثر العبادة، ويكون حينئذ طيبُها زائدًا على ريح المسك عند الله تعالى وعند ملائكته، وإن كانت تلك الرائحة كريهةً للعباد.

فرُبَّ مكروهٍ عند الناس محبوبٍ عند الله تعالى، وبالعكس.

فإن الناس يكرهونه لمنافرته طباعهم، والله تعالى يستطيبه ويحبه لموافقته أمره ورضاه ومحبته، فيكون عنده أطيب من ريح المسك عندنا، فإذا كان يوم القيامة ظهر هذا الطيب للعباد، وصار علانية، وهكذا سائر آثار الأعمال من الخير والشر، وإنما يكمل ظهورها ويصير علانية في الآخرة.

وقد يقوى العملُ ويتزايد حتى يستلزم ظهور بعض أثره على العبد في الدُّنيا في الخير والشر، كما هو مُشاهدٌ بالبصر والبصيرة.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن للحسنة ضياءً في الوجه، ونورًا في القلب، وقوةً في البدن، وسَعةً في الرزق، ومحبةً في قلوب الخلق، وإن للسيئة سوادًا في الوجه، وظلمةً في القلب، ووَهنًا في البدن، ونقصًا في الرزق، وبغضةً في قلوب الخلق.

وقال عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما عمل رجل عملًا إلّا ألبسه الله تعالى رداءه، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

وهذا أمر معلوم يشترك فيه وفي العِلم به أصحاب البصائر وغيرهم، حتى إنَّ الرجل الطيّب البرّ لتشمُّ منه رائحة طيبة وإن لم يمسَّ طيبًا، فيظهر طيب رائحة روحه على بدنه وثيابه، والفاجر بالعكس.

والمزكوم الذي أصابه الهواء لا يشمُّ لا هذا، ولا هذا، بل زكامه يحمله على الإنكار، فهذا فصل الخطاب في هذه المسألة، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب). ا.هـ

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (العبد إنما يُؤنسُه في قبره عملُه الصالح، فكلَّما أكثر من الأعمال الصالحة: كالصلاة، والقراءة، والذكر، والدعاء، والصدقة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، كان ذلك هو الذي ينفعه في قبره). ا.هـ **[من جامع المسائل ٤ / ٢١٩]**.

فهنيئًا لأصحاب الأعمال الصالحة.

والصدقات الجارية.

والكُتب النافعة.

والأُجور المتراكمة المتكاثرة.

هنيئًا مريئًامريعًاهذه الآثار المسطورة.

وهذه الفقرة تتبع الفقرة القادمة برقم (٥٧).

٤٢ - (جمال اللغة العربية التفاؤلية)

من جمال اللغة العربية وجود حروف فيها تُسمَّى بـ: (حروف الاستقبال).

أي: حروف تدخل على الفعل المضارع فتجعله في المستقبل.

ومن هذه الحروف: حرف السين، وسوف، فأجعله من أصدقاء روحك وكلامك ولفظك في كل شيء، ما استطعت إلى ذلك سبيلًا وهذا من التفاؤل.

لأن هذا الحرف ينقل الفعل المضارع من الزمان الضيّق وهو الحال، إلى الزمان الواسع وهو الاستقبال، لذلك بعضهم يُسمِّيه (حرف تنفيس) أو (توسيع) والمعنى واحد.

فألهج بقول: سيرزقني، سيشفيني، سيهديني، سيسعدني، سيكرمني، سيرحمني، سيفرحني، سيحميني، ﴿سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾.

وهكذا الأمر مع: (سوف).

وانظر إلى جمال هذا الحرف في قول نبي الله يوسف صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

وقول نبي الله إبراهيم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبيه: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾.

وقول ربنا الرحيم لنبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾، ليتفاءل العبد بهذا الوعد الكريم.

فإذا جاءك شخص يريد منك شيئًا فلا تـردّه بل أجعله يتفاءل بك.

إذا قلتَ لهُ: سأفعل بإذن الله، سأسعى في الأمر إن شاء الله ونحو هذه العبارات المليئة بالتفاؤل.

واعلم جيدًا أن هذا الشخص لو لم يُـنـجـز لـهُ الأمر لأي سبب كان، فلا أقـل من أن يخرج منك بكلمة طيبة، والكلمة الطيبة تـسُـر ولا تـضُـر وهي صدقة وفأل صالح.

قال ربي ﷻ: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.

٤٣ - (النية التفاؤلية)

قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾.

فـتـأمـل قـولـه: ﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾.

وفي سُنن ابن ماجة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مثلُ هذه الأُمة كمثل أربعة نـفـر:

رجلٌ آتـاه اللهُ مالًا وعِلمًا، فهو يعمل بعِلمه في ماله، يُنفقه في حقه.

ورجلٌ آتـاه اللهُ عِلمًا ولم يُؤتِه مالًا، فهو يقول: لو كان لي مثل هذا، عمِلتُ فيه مثل الذي يعمل.

قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فهُما في الأجـر سواءٌ.

ورجلٌ آتاه اللهُ مالًا ولم يُؤتِه عِلمًا، فهو يخبطُ في ماله، يُنفقه في غير حقه.

ورجلٌ لم يُؤته اللهُ عِلمًاولا مالًا، فهو يقول: لو كان لي مثل هذا، عمِلتُ فيه مثلَ الذي يعمل.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فهُما في الوزرِ سواءٌ). ا.هـ

وفي صحيح مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من مات ولم يَغزُ، ولم يُحدِّث بهِ نفسه، مات على شُعبةٍ من نفاق).، فأيُّنا يُحب هذا؟

لذلك من التفاؤل أن تقول كما قال العلامة زُهير بن محمد المروزي الثقة (ت ٢٥٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: (أشتهي لحمًا من أربعين سنة، ولا آكلُه حتى أدخل الرُّوم فآكُل مِن مغانم الرُّوم).، وزهير من تلاميذ الإمام الفحل أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ.

قد يقول قائل: إن زماننا هذا زمان ضعف المسلمين، فكيف تقول لهم مثل ذلك، وأنت تعرف واقعنا المعاصر؟

فالجواب على هذا المسكين أن نقول لهُ: كلامك صحيح من ضعف أحوال المسلمين وتشرذمهم اليوم، فلا مانع على الأقل من نية صالحة تنبُت في قلبك يا أخي، وشأن النية الحسنة عظيم، وهذا ما نصَّ عليه الحديث: (ولم يُحدِّث بهِ نفسه).

ألا تعلم أن نية المؤمن أبلغ من عملَه، والنية الجازمة الحسنة قد تقوم مقام العَمل وتُثاب عليه عند المانع والعجز الحُكمي أو الشرعي كما هو معلوم.

ألم تعلم أنَّ الله عاتب قومًابقوله: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾، أي: بذلوا الأسباب لذلك، وأقلُّها عمل القلب بالنية.

فلا تكُن بخيلًا في تفاؤلك وفي نيّتك يا مُوفّق، وتأمل بعمق كبير قول الكريم: ﴿إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا﴾.

وقوله: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾، فالنيّة النيّة.

وقال أيضًا: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾.

وقد ثبت مرفوعًا: (إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم وأموالكم، ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم - وأشار بأصابعه إلى صدره - وأعمالكم.)، فقدَّم النية على العمل.

وقال أيضًا: (إنما العِلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، ومن يتحرَّ الخير يُعطَه، ومن يتَّق الشرَّ يُوقَه). ا.هـ

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بيّن ذلك، فمَن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همَّ بها وعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومَن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همَّ بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة). ا.هـ

قال الإمام المحقق ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قاعدة الشريعة: أن من كان عازمًا على الفعل عزمًا جازمًا، وفعل ما يقدر عليه منه كان بمنزلة الفاعل).ا.هـ

وقال الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التنوير: (مَن كان صادق النية في فعل أي خير ومنعه عنه مانع عدم الاستطاعة، أنه مثل من استطاع في الأجر، وهذا مقتضى فضل الله وعدله، لأنه ما عاق صادق النية.... وامتنع عنه إلا لعائق القدر). ا.هـ

وقال الحافظ الكبير ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومَن همَّ بشيءٍ وصدق همَّه بفعله فهو في الحقيقة كفاعله). ا.هـ من تفسيره.

وفي الآداب الشرعية لابن مفلح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال عبد الله بن الإمام أحمد لأبيه يومًا أوصني يا أبت، فقال: يا بُني انو الخير، فإنك لا تزال بخير ما نويت الخير. ا.هـ

وفي أخبار الشيوخ وأخلاقهم للمروذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال الإمام الجبل عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنِّي لأَسمعُ الحديث ما أُريدُ أن أُحدِّثَ بهِ، ولا أعملَ بهِ، ولكن أُعِدُّهُ لأخٍ مِن إخواني، يقعُ في الشَّيءِ فأجِدُ لَهُ مخرجًا.

قلتُ: معناه ليس كل عِلم شرعي يحتاجه الإنسان في كل وقت، قد يتعلَّم شيئًا لا يحتاجه في نفسه الآن، فمثلًا الفقير لا يحتاج يتعلَّم أحكام التجارة من البيع والسلَّم ونحوها ولو فعل لا يحتاج إليها لأنه فقير، أو مثلًا أحكام القضاء والولايات ونحوه، لا يستفيد منها بشيءٍ لنفسه، فابن المبارك يقول: إنَّ بعض الحديث أسمعه وأنا لا أحتاج للعمل به الآن في نفسي، لكن لعلِّي أن أنفع بهِ مُسلمًايقع في حرج شرعي، فيحتاج للحديث فأخبره بهِ، وكل معروف صدقة.

قال الإمام المحقق ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في السياسة الشرعية: (المؤمن إذا كانت له نية أُثيب على عامة أفعاله، وكانت المباحات من صالح أعمالِه لصلاح قلبه ونيته). ا.هـ

ولـمّا مات الصحابي الجليل عبد الله بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالت ابنته: والله إن كنتُ لأرجُو أن تكُون شَهيدًا، أما إنَّك قد كُنتَ قَضيتَ جهازكَ، فقال رسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إنَّ الله قَد أوقَعَ أجرهُ على قدر نيَّتِهِ). ا.هـ [**من المُسند للإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ].

بل دعني يا أخي الكريم: أُعطيك طريقة تكون أنت لوحدك فيها: (غازيًا مُجاهدًا في سبيل الله)، بدون قتل ولا قتال، هل سمعت بهذا من قبل؟!

الجواب: إن المتقرر عند علماء أهل السُّنة في القديم والحديث أن طلب العِلم ونشره وبثه ودعوة الناس إليه، لهو من أعظم الجهاد في سبيل الله، وهو فرض عين على كُل مُسلم على وجه البسيطة.

وعليه أقول: هناك غزو عسكري وهذا نعجز عنه في زماننا الحالي والحال يُغني عن المقال، وهناك غزو عِلمي دعوي وهذا لا يعجز عنه أحد اليوم، لتيسر طُرقه ووسائله المتنوعة والمختلفة والكثيرة.

فاغزوهم بالتوحيد ونشره، ونبذ الشرك وأهله.

اغزوهم بالعِلم النافع الصافي المفيد الخالي من البدع.

اغزوهم بالقرآن والحديث والآثار السَّلفية.

اغزوهم بالمنهج الحق القويم الذي تتصدع منه الجبال.

اغزوهم وأخرجوهم من الظلمات إلى النور.

اغزوهم في عقر دارهم، كما غزونا في عقر دارنا.

جدّد نيتك وأجعل لك في كُل يوم معركة يُنصر فيه الحق ويُدحض فيه الباطل وأهله، حتى يأتي الفتح المبين والعظيم.

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾، أي: بالقرآن.

فهذا النوع من المعارك هو: من أفتك الأنواع على الإطلاق وأنجعها فائدة، وأعظمها ثمرة، ولو طال زمن خوضها.

فشُن عليهم الغارات تلو الغارات حتى ينقطع دابرهم وشرهم عن المسلمين، ولا يزال هذا ديدنك وهجيراك حتى يستقيم الأنام على الحق الذي لا يقوم بـه إلا الرّجال الفحول أمثالكم.

قال الإمام الجليل ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وغالب الخلق لا ينقادون للحقّ إلا بالقهر). ا.هـ

وقال العلامة المحقق النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والحاصل أنهم - أي: العلماء - متفقون على أن الاشتغال بالعِلم أفضل من الاشتغال بنوافل الصوم والصلاة والتسبيح ونحو ذلك، من نوافل عبادات البدن). ا.هـ [**من المجموع ١ / ٢٢**].

وقال العلامة ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وممّا يدل على تفضيل العِلم على جميع النوافل، أن العِلم يجمع جميع فضائل الأعمال المتفرقة، فإن العِلم أفضل أنواع الذِكر، وهو أيضًا أفضل أنواع الجهاد). ا.هـ [**من رسالة ورثة الأنبياء شرح حديث أبي الدرداء** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **ص ٣٥**].

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقد نص الأئمة الأربعة على أن طلب العِلم أفضل من صلاة النافلة، والصلاة أفضل من الصيام المتطوع به، فيكون العِلم أفضل من الصيام بطريق الأولى، فإن العِلم مصباح يُستضاء به في ظلمة الجهل والهوى، فمن سَار في طريقٍ على غير مصباح لم يأمن أن يقع في بئر بوار فيعطب). ا.هـ [**من لطائف المعارف ص ١٤٠**].

وفي المفتاح قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وإنَّما جُـعِـلَ طلبُ العِلم من سبيل الله، لأنَّ به قَوام الإسلام، كما أنَّ قَوامهُ بالجهادِ، فَقوامُ الدِّين بالعِلم والجهاد، ولهذا كانَ الجهادُ نوعين: جهادٌ باليد والسِّنان، وهذا المُشاركُ فيه كثيرٌ، والثاني: الجهادُ بالحُجَّة والبيان، وهذا جهادُ الخاصَّة من أتباع الرُّسل، وهو جهادُ الأئـمَّـة..... والمقصودُ أنَّ سبيلَ الله هي الجهادُ وطلبُ العِلمِ ودعوةُ الخَلقِ بـه إلى الله، ولَمَّا كانَ كلٌّ من الجهادِ بالسّيفِ والحُجَّة يُسمَّى سبيلَ الله، فسَّرَ الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ قوله: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾، بالأُمراء والعلماء، فإنَّهُم المجاهدون في سبيل الله، هؤلاء بأيديهم وهؤلاء بألسنتهم، فطَلَبُ العِلم وتعليمُه من أعظمِ سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ..... وجاء عن بعض الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إذا جاءَ الموتُ طالبَ العِلم وهو على هذه الحال، ماتَ وهو شهيدٌ). ا.هـ

وقال العلامة ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وكذلك من يشتغل بالعِلم، لأنه أحد نوعي الجهاد، فيكون اشتغاله بالعِلم كالجهاد في سبيل الله والدعوة إليه). ا.هـ

وقال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (من الجهاد في سبيل الله، العِلم والتعلُّم والتعليم للعلوم الشرعية). ا.هـ

وقال الفقيه ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (العِلم جهاد في سبيل الله ولاسيَّما في وقتنا الحاضر). ا.هـ

وعن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من خرج في طلب العِلم فهو في سبيل الله حتى يرجع).ا.هـ[**حديث حسن**].

قال العلامة المظهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وجه مشابهة طلب العِلم بالمجاهدة في سبيل الله: أنه إحياء الدِّين، وإذلال الشيطان، وإتعاب النَّفس، وكسر الهوى واللَّذة). ا.هـ

قلتُ: قد بينت ذلك كله في كتابي: (الفحول)، وهو مطبوع، وأختم هذه الدُّرة الفريدة بهذه القصة اللطيفة.

حكى القُشيري أن أمير خراسان عَمرو بن الليث الصفار (ت ٢٨٩هـ) رئي في المنام، فقيل لهُ: ما فعل الله بك؟

قال: أشرفت يومًا من جبل على جيوشي، فأعجبني كثرتهم، فتمنّيت أنني كنت حضرت مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنصرته وأعنته، فشكر الله لي، وغفر لي. ا.هـ [**ذكرها الذهبي في النبلاء (١٢/ ٥١٧)**].

٤٤ - (من الإيمان أن تعتقد أن قدر الله للمُسلم كُله خير)

في قوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

قال الوزير ابن هُبيرة البغدادي (ت ٥٦٠ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إنّما لم يقل: ما كتب علينا، لأنه أمر يتعلق بالمؤمن، ولا يُصيب المؤمن شيء إلا وهو لهُ، إن كان خيرًا فهو لهُ في العاجل، وإن كان شرًا فهو ثواب لهُ في الآجل). ا.هـ[من ذيل طبقات الحنابلة].

وقال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في المفردات**: (يعني: ما قدّره وقضاه، وذكر «لنا»، ولم يقل «علينا»، تنبيهًا أنّ كُلّ ما يُصيبنا نعدّه نعمة لنا، ولا نعدّه نقمة علينا). ا.هـ

وقال البقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تفسيره**: (ولـمّا كان قضاء الله كله خيرًا للمؤمن، إن أصابته سرّاء شكر، وإن أصابته ضرّاء صَبر، عبَّر باللام فقال: لنا). ا.هـ

قلتُ: وفي صحيح مسلم: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سرّاء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضرّاء، صبر فكان خيرًا له). ا.هـ

٤٥ - (الوتر التفاؤلي)

في قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾.

قال الوزير ابن هُبيرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (تدبّرت آيات هذه السورة فوجدت قوله سبحانه: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾، ثلاثة عشرة حرفًا، ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾، ثلاثة عشرة حرفًا أيضًا، ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾، ثلاثة عشرة حرفًا.

فرأيت أن هذا العدد وهو: ثلاثة عشر من الأعداد الصَمّ التي لا تقبل الكسر، فنظرت أن الله تعالى أشار بهذا العدد في هذه الآيات أنه يُستحب أن يكون **عدد السرايا من الأعداد الصَمّ التي لا تقبل الكسر تفاؤلًا بذلك.**

ثُم إني نظرت في عدد أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم بدر فوجدته ثلاثمائة وثلاثة عشر، عددًا أصَمّ لا يقبل الكسر.

كما كان عِدّة أصحاب طالوت حين جازوا معه النهر ثلاثمائة وثلاثة عشر، وهو جُزء أصَمّ لا يقبل الكسر). ا.هـ [**من الإفصاح**].

وقال ابن الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ في التوضيح: (مُراعاة هذا العدد إنما في السرايا من حيث التفاؤل مطلوب). ا.هـ

قلتُ: وعندي أنا معنى آخر: قد أجمعت عليه الأدلة الكونية والشرعية والحسّيّة وقُل ما شئت من الأدلة وهو:

إنَّ هذا العدد وترٌ، وجنس الوتر مقصودٌ شرعي وكوني يُحبه الله ورسوله، وعليه من أدلة الكتاب والسُّنة وآثار السَّلف الصالح أكثر من مائة دليل، جمعتها في جُزء علمي لم يُطبع بعد، والوتر في جميع الأشياء من التفاؤل الحسن المحبوب.

قال التابعي نافع رَحِمَهُ اللَّهُ: (وكان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا يَصنع شيئًا إلا وِترًا). ا.هـ

٤٦ - (نعش التفاؤل وبعثه)

من السُّنة النبوية صُور مُشرقة ومُشرِّفة ونماذج نيِّرة لبعث الأمل ونعشه في النفوس والأرواح عند الخوف والفزع، فمنها:

قول أم المؤمنين خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لنبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أبشر فوالله لا يُخزيك الله أبدًا)..

وقول ابن عباس في عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: (مصَّر الله بك الأمصار وفتح بك الفتوح)، وكان ذلك في النزع.

وقوله أيضًا في عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **وهي في النزع**: (ولم ينكح بكرًا غيرك ونزل عُذرك من السماء)..

وقال: (يا أماه أبشري، كُنتِ أحب نساء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليه، وهلكت قلادتك بالأبواء، فأصبح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم يجدوا ماء فتيمّموا صعيدًا طيبًا، فكان ذلك بسببك وبركتك ما أنزل الله لهذه الأمة من الرُخصة، وكان من أمر مسطح ما كان فأنزل الله براءتك من فوق سبع سماوات، فليس مسجد يُذكر فيه الله إلا وشأنك يُتلى فيه آناء الليل وأطراف النهار)..

وقول علي بن أبي طالب في عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ما خلَّفتُ أحدًا أحبَّ إليَّ أن ألقى الله بمثلِ عَمَلِهِ منكَ، وأيمُ الله إن كنتُ لأظنُّ أن يجعَلَكَ الله مع صاحبيك).، وصدق أبا الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

وفي قصة مقتل الفاروق عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **وفيها**: (جاء الناس فجعلوا يُثنون عليه، وجاء رجلٌ شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقَدَمٍ في الإسلام ما قد علِمتَ، ثُمَّ وَلِيتَ فعَدلتَ، ثُمَّ شَهَادةٌ)..

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **في حقه حين طُعن**: (أبشر بالجنة، صَاحبتَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأَطلتَ صُحبتهُ، وَوُلِّيتَ أمر المؤمنين فقَوِيتَ وأدَّيتَ الأمانةَ)..

ولـمّا اشتكى سلمان الفارسي عاده سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فرآه يبكي، فقال سعد: ما يُبكيك يا أخي؟ أَلستَ قد صحِبتَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ أَلستَ أَلستَ؟ (أي: يُعدِّد فضائله ليطمئن)، فقال: ما أبكاني واحدة من إثنتين.

ما أبكاني صبابة بالدُّنيا ولا كراهية للآخرة، ولكنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عهِد إلينا أنه يكفي أحدَكم مثل زاد الراكب فلا أُراني إلا قد تعدّيته.

ودخل ميمون بن مهران التابعي رَحِمَهُ اللَّهُ مع عبد الله بن عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ونفرٍ من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، على عبد الله بن عامر بن كريز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مرضِه الذي مات فيه، فشَكى إلى القوم ما كان فيه.

فقالوا: لقد وصلتَ الرّحم، وبنيت المنارات، واتَّخذتَ المصانع، وحفرتَ الآبار، وحملتَ ابن السَّبيل، وذَيتَ وذَيتَ (أي: يذكرون مكارمه وأفعاله).

ولـمّا حضرت معاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **الوفاة جعل يبكي**، فقيل له: أتبكي وأنتَ صاحب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ وأنتَ وأنتَ؟(أي: يُعدِّدون مناقبه لتسكُن نفسه)، فقال: ما أبكي جزعًا من الموت أن حلّ بي، ولا دُنيا تركتها بعدي.

ولكن إنَّما هما القبضتان: قبضة في النار، وقبضة في الجنة، فلا أدري في أي القبضتين أنا.

وعن ابن شماسة رَحِمَهُ اللَّهُ، قال: حضرنا عَمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو في سياقة الموت، فبكى طويلًا، وحوّل وجهه إلى الجدار.

فجعل ابنه يقول: يا أبتاه، أما بشرك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكذا؟ أما بشرك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكذا؟

فأقبل بوجهه، فقال: إن أفضل ما نعد شهادة لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

وقال عطاء بن السَّائب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: دخلنا على أبي عبد الرحمن السُّلميِّ التابعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ نعُودُه، قال: فذَهبنا نُرَجِّيهِ.

فقال: أنا لا أرجُوهُ!! وقد صُمتُ ثمانينَ رمضانًا.

قال السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولـمَّا حضرت الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ الوفاة، قال لولده عبد الله: اذكر لي أحاديث الرجاء). ا.هـ [**غذاء الألباب شرح منظومة الآداب ص٣٥٥**]

وقال العلامة ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الواجب على العبد الاستعداد للموت قبل نزوله بالأعمال الصالحة والمبادرة إلى ذلك، فإنه لا يدري المرء متى تنزل به هذه الشدة من ليل أو نهار.

وذِكر الأعمال الصالحة عند الموت مما يُحسِّن ظن المؤمن بربِّه، ويُهوِّن عليه شدة الموت ويُقوِّي رجاءه،.....

وقال إبراهيم النخعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كانوا يَستحبُّون أن يُلقِّنوا العبد محاسِن عَمله عند موته لكي يحسُن ظنه بربِّه،.....

ولـمّا احتضر أبو بكر بن عياش رَحِمَهُ ٱللَّهُ وبكوا عليه، قال: لا تبكوا، فإني ختمت القرآن في هذه الزاوية ثلاث عشرة ألف ختمة.

ورُوي عنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال لابنه: أترى أن الله يُضيّع لأبيك أربعين سنة يختم القرآن كل ليلة؟) ا.هـ [**بتصرف من نور الاقتباس**].

قلتُ: وقال نبي الله يوسف صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأخيه: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

وقال الرجل الصالح لموسى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقال حبيبك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لصاحبه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾.

أفلا تقتدي بهم؟!

وقد قيل لبعض الناس، إنك ميّت.

فقال: ثُم إلى أين؟

قيل لهُ: إلى الله سبحانه.

فقال رحمه الله: ما وجدنا الخير إلا من عِند الله سبحانه وتعالى، أفنخشى لقاءه!!!

كل ما سبق ذِكره فيه: من التفاؤل وحُسن الظن بالله، وإدخال السُرور على قلب أخيك المسلم، ورفع المعنويات النفسية والحسيّة عندهُ، لا سيّما في حال الضعف، والتعاون على البرّ والتقوى، وترغيم عدو الله إبليس، وغير ذلك من الفوائد والحكم ما لا حصر لهُ لمن تأمله.

والكلمة الواحدة قد تعمل عمَلها في النفس والروح الأبيَّة ولو بعد حين إي والله، ورُبَّ كلمة واحدة غيّرت أُمّة وأحيت هِمّة.

وهذا الأمر كما يكون في الشخص نفسه، يكون في الأُمة بأسرها، فتعريف الناس بتأريخهم الماضي المُشرق، وما كانوا عليه من السَبق في جميع نواحي الحياة لهُ أثره الجليل ولو بعد جيل.

وأن هذه الأُمة كانت ولا زالت تعُج بالأفذاذ والفحول في كُل شيء، وأن هذا الدِّين ما وصل إلى المشارق والمغارب إلا بسواعد رجاله العِظام الكِرام.

ونُحيي ذِكر هؤلاء الأبطال في نفوس الناشئة من أبناء المسلمين، ونُعرِّفهم بسيرة أسلافهم العطرة الزكية.

إذا فعلنا ذلك: بإذن الله تنشط النفوس، وتُقبل الأرواح لنُصرة هذه الأُمة المحمدية، ونُصرة هذا الدِّين الخالد.

والله ثُم والله لولا الدِّين، ما فُتِحت الأقاليم: الشام وفارس والروم وإفريقية، ولولا الدِّين ما وصلوا إلى الأندلس، اقرءُوا التأريخ جيدًا، واعلم أن الذي أمات أصحاب الكهف أكثر من ثلاث مائة سنة، ثُم أحياهم بعد ذلك، لقادر على أن يُحيي هذه الأُمـة مهما طال سُباتها، ولعلّ الأمر قريب، ولكنكم تستعجلون.

وعليه أقول: العرب كعرب تعرفون كيف كانوا في الجاهلية، تُفنيهم حرب سببها ماعز!! وناقة!! وبهيمة عجماء!!

ثُم كيف صاروا بعد الإسلام، فلا حياة للعز والكرامة إلا بالدِّين.

صـحَّ عن الملهم عُمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: (كنتم أقل الناس، وأذل الناس وأضعفه، فأعزكم الله بالإسلام، فمهما تطلبوا العزّ بغيره يذلكم الله). ا.هـ

ولن نستطيع أن نرى المستقبل ونلِجه، إلا إذا علِمنا كيف كُنا في الماضي، ولا يكون هذا إلا بـ: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾، أول آيـة نـزلـت.

صـحَّ عن الفاروق عُمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنـه قال: (قد علمتُ وربِّ الكعبة متى تهلكُ العرب، فقام إليه رجل من المسلمين، فقال: متى يهلكون يا أمير المؤمنين؟، قال: حين يَسوسُ أمرَهم، من لم يُعالج أمر الجاهلية). ا.هـ

قال أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وهو يصِفُ حالهم بعد وفاة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: (خطبنا أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وكنا كالثعالب، فما زال يُشجعنا حتى صرنا كالأسود). ا.هـ

وأختم بهذه العبارة والتي تُكتب بماء الذهب فأقول: لـمّا تمسّك المسلمون بدينهم، وأقاموا شرع ربهم، ونصروا سُنة نبيهم، دخلوا الغرب الكافر أوروبا وما حولها: (فاتحين).

ولـمّا ضيّعوا دينهم، وتركوا شريعة ربهم، وهجروا سُنة نبيهم، دخلوها خائفين مُشرّدين، وكما يُـقـال اليوم: (لاجئين أو نازحين).

فاعتبروا يا أولي الأبصار والألباب، فإن الدائرة اليوم عليكم لا لأجل النفط أو المال أو محاربة الإرهاب وغيرها من الدعاوى الفارغة، بـل من أجل إسلامكم ودينكم وشريعتكم، ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ﴾.

جاء في حديث الشفاعة الطويل، وفيه: (ولكن انطلقوا إلى سيد ولد آدم فإنه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة، انطلقوا إلى محمد فليشفع لكم إلى ربكم، قال: فينطلقون وآتي جبريل فيأتي جبريل ربـه فيقول الله ﷻ: ائذن له وبشره بالجنة.

قال: فينطلق به جبريل فيخر ساجدًا قدر جمعة، ثُم يقول الله تبارك وتعالى: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع). ا.هـ [**رواه ابن حبان في صحيحه**.].

قلتُ: فإن قيل ما وجه قول الربّ: (وبشره بالجنة)، وهو مُبشر فيها بالدُّنيا قبل موته؟!

فالجواب هو: لـمّا كان هذا الموقف العصيب والحال الرهيب يوم القيامة، احتاج لشيء تسكن فيه النفوس، وتهدأ فيه القلوب، فجاءت هذه البشارة الجليلة في وقتها المناسب.

٤٧ - (قبر التفاؤل ودفنه!!!)

بعد تقرير ما سَبق نقول: إنَّ من التشاؤل ما يفعله بعض الناس من حكايتِهِ للواقع بقوله هلك الناس وفسدوا، وفيهم كذا وكذا من الشرور وإن كان الواقع كذلك!!

وماذا تستفيد يا أخي بحكايةِ واقع كل الناس يعلمونه؟ كأنك تقول: السماء فوقنا والأرض تحتَنا!! أنت لم تُخاطب بالقدريات إنَّما خوطبت بالشرعيات، فما أنتَ صانع؟؟؟

ولكن الواجب على طلبة العِلم وهُم قلبُ الأُمة النابض: بَعْث الأمل في نفوس الناس، لا سيّما في زمن الضعف والغربة، ليحسُن ظنهم بربهم ويستبشروا خيرًا، والأُمة بأسرها كالشخص الواحد في مَراحل عُمُره المختلفة، قد يُصيبه ويعتريه الضعف والوهن واليأس لأسبابٍ كثيرةٍ كما تقدَّم ذِكره.

فإذا وُجِدَ من يُنْعِشُها من سكرتِها، استبشرت وفرِحت، وعادت كأحسن ما كانت عليه.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إن الإيمان لَيخلَقُ في جوف أحدكم كما يَخْلَقُ الثوب الخلِق، فاسألوا الله أن يُجدّد الإيمان في قلوبكم). ا.هـ [**رواه الحاكم في المستدرك وحسنه العراقي، والهيثمي، والألباني رحم الله الجميع**].

واعلم جيدًا واجعل هذا الكلام في سويداء قلبك وأطبق عليه.

اعلم رحمك الله: أن جمرة الليل تُصبح رماد، والليل مهما اشتد سواده فلا بُد من الفجر، أليَسَ الصُّبحُ بقَريب؟

والإسلام يمرض نعم.

ولكن والله لا يموت ما بقيت الدُّنيا، ففي قلب الألم يولد الأمل، وإن لهذا الدِّين إقبالًا وإدبارًا، فنحن الآن في إدباره، ونوشك أنا وأنت أن نكون في إقباله، قُل آمين.

واعلم نَصَرَ الله بكَ الدِّين: أن شرارة التغيير الكوني تبدأ من قلبك أنت، لأن الله: ﴿لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾، فقُم لله قومة تصنع من خلالها تاريخًا مُشرِّفًا فهناك فرقٌ بين من يقرأ التأريخ وبين من يصنعُه، فافهم.

واعلم أيضًا أن هذا الدِّين ما وصل إليك، إلا بعد تضحيات جليلة وكبيرة قام بها من سَبقك، فلا تخُن من بعدك.

واعلم أن الجزاء من جنس العمل، ومن أعان عباد الله أعانه الله، ومن نصرهم نصره الله وسدّده في الدُّنيا والآخرة.

واعلم أن قدرك وحجمك عند الله وعند الناس، يكون بقدر أثرك وما تخلّفه من أعمال لإقامة دين الله وشرعه، فحجمك بقدر آثارك.

فجدّد البيعة لله بالقيام بنُصرة هذا الدِّين الخالد العظيم: ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

وقد ثبت في الحديث: (لا يَردُ القضاء إلا الدُّعاء).

ومن معاني ذلك: أن الأمور الكونية القدرية مما قضاه الله في سابق عِلمه ووقع بعضه وبعضه لم يقع، قد تُردّ بالأمور الشرعية من الدعاء وصنائع المعروف ونوايا الخير ونُصرة الدِّين وغير ذلك.

والعكس بالعكس، فافهم ولا تكُن من الجاهلين.

فما نزل بلاءٌ إلا بذنب، ولا رُفِع إلا بتوبة، وهذا الكلام سيتبع للقاعدة

الشرعية الجليلة والخطيرة والعظيمة، وهي: مُعالجة الأمور بأضدادها، التي كتبتها في الفقرة رقم (٥١)، مع ملحقاتها.

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾.

وأزيد هُنا فأقول: نعم يُعالج القدر الكوني بالأمر الشرعي، ونختصره بقولنا: مُعالجة القدر بالشرع، وهذه الفائدة تُـقـدَّر بالذهب الخالص لمن يعرف معناها وحقيقتها وكنهها.

وبعد تحرير ما سَبق أقول: ما نسمعه من الاعتداء في الدعاء بقول أحد الحمقى: (اللهم لا تبتليني إلا بالتي هي أحسن)، (اللهم لا اسألك رد القضاء ولكن اسألك اللّطف فيه)، عجيب!!! سبحان الله!!!

بل نسأل الله أن لا يبتلينا في الدُّنيا ولا في الآخرة، ويرحمنا برحمته الواسعة، ونسأله كما ثبت في الحديث: (وبارك لي فيما أعطيت، وقني شرّ ما قضيت).

وكان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يتعوذ من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسُوء القضاء، وشماتة الأعداء).

ونقول: علاج مثل هؤلاء الجُهال سهل يسير حسب القاعدة التي ستأتي في الفقرة (٥١)، مُعالجة الأمور بأضدادها، أن نأمره بالتعلُّم والتفقه في الدِّين لكي يعبُد الله على بصيرة من أمره، ولا يكُن إمَّـعـة في الدِّين، وعبقري أحوذي في الدُّنيا!!

٤٨ - (الوحي روح الحياة)

في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾، وقع في نفسي معنىً لم أره لأحد من الناس وهو: ما وجه تسمية الوحي روحًا؟!

فأجبتُ قائلًا: وجه ذلك والله أعلم كما أن البدن جثة هامدة لوحدها لا تدُب فيها الحياة إلا بالروح، كذلك الإنسان لا تدُب فيه معاني الإنسانية والتي بها يُفارق الحياة الحيوانية والبهيمية إلا بوحي، ولا تبدأ معه الحياة الحقيقية والتي من أجلها خُلق ومن خلالها يُبعث يوم القيامة إلا بالوحي.

فالوحي حياة قلبه، وهو بمنزلة الروح للبدن، لذلك أول ما يُطرق أُذن المولود بعد حياة بدنه: (الأذان) الذي هو إعلام لحياة قلبه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾.

ومن هذا الباب يوصف من أبتعد عن الوحي من الكفار بأنه ميّت، قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

إذا تقرّر ذلك في قلبك ووعاه سمعك نظرت إلى الحياة بنظرة المتفائل، كيف ذلك؟!

كما أن الوحي حياة للقلوب وهو بمنزلة الروح حياة للبدن، كذلك هو: حياة للناس في شؤونهم الدنيوية كُلّها من اقتصاد، ورياضة، وسياسة، وطب، وهندسة، وزراعه، وجميع ما يخطر على بالك وما يستجِدّ من الصناعات.

وما نهضة الغرب الكافر الصناعية في زماننا هذا إلا على أكتاف علوم المسلمين، إي والذي نفسي بيده، علِمه من علِمه وجهِله من جهِله.

فكم خسِر العالَم أجمع من تأخر المسلمين وانحطاطهم بسبب تركهم لدينهم وتقصيرهم فيه.

فأنا وأنتَ وأنتِ نرى جنايتنا على البشرية بسبب هجرنا لهذا الوحي المنزّل وبُعدنا عنه، واستبدالنا مكانه للتحاكم بين الناس بالوحي المبدّل الذي هو شؤم على المسلمين وعلى غير المسلمين.

وإذا أردت قيادة العالَم من جديد والعودة إلى ذلك كما كان على عهد السَّلف الصالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فابدأ بنفسك أولًا.

٤٩ - (البسمه التفاؤلية)

ثبت عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: (تبسمك في وجه أخيك صدقة)..

وقال: (لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق)..

وقال: (إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، ولكن يسعهم منكم بَسط الوجه وحُسن الخلق).

قال جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ما رآني صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا تبسّم في وجهي).

وقال عبد الله بن الحارث بن جزء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ما رأيتُ أحدًا أكثر تبسّمًا من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)..

والتبسّم والضحك عنوان تفاؤل واستبشار بكُل جميل كما لا يخفى على أحد، لذلك استغرب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حين قال لهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره)، قالوا يا رسول الله أو يضحك ربنا؟ قال: (نعم)، قالوا: لن نعدم من رب يضحك خيرًا.

قلتُ: هذا هو حُسن الظن الحقيقي بالله ﷻ.

لذلك من الوصايا النبوية قوله: (لا يموتن أحد منكم إلا وهو يُحسن الظن بالله تعالى)..

وكان يُقال: أول المودّة طلاقة الوجه، والثانية التودّد، والثالثة قضاء حوائج الناس.

وقال الأحنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رأس المروءة طلاقة الوجه.

وقيل للشاعر العباسي الكبير الفحل كلثوم بن عَمرو العتابي التغلبي (ت ٢٢٠ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنك تلقى الناس ببشر وتقريب؟!

فقال: رفع ضغينة بأيسر مؤنة، واكتساب إخوان بأهون مبذول.

قلتُ: والتبسّم من أخلاق فحول الرجال حتى في أصعب المواقف.

فهذا أحد شجعان العرب وفرسانهم: المغيرة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي (ت ٨٢ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الذي نكّل بالخوارج شر تنكيل.

يقول عنه المبرد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الكامل: (وكان المغيرة بن المهلب إذا نظر إلى الرماح قد تشاجرت في وجهه، نكس على قربوس سرجه، وحمل من تحتها فبراها بسيفه، وأثّر في أصحابها، حتى تحرّمت الميمنة من أجله، وكان أشد ما تكون الحرب أشد ما يكون تبسّمًا، فكان المهلب يقول: ما شهد معي حربًا قط إلا رأيت البشر في وجهه). ا.هـ

وهذا والله أعلم من باب: (معالجة الأمور بأضدادها)، كما سيأتي بيانه في الفقرة رقم (٥١) وفروعها، أو من باب: (التبشير بالخيرات)، كما سيأتي أيضًا بيانه في الفقرة رقم (٦٢) وفروعها.

وفي الأمثال يُقال: (عند النائبات تظهر الأخلاق الفاضلات).

والعوام عندنا يقولون: (أضحك للدُّنيا تضحك لك)، وهذا صحيح.

يقول عنترة بن شداد العبسي:

فتىً يخُوضُ غِمارَ الحربِ مُبتَسِمًا ... ويَشَني وَسِنَانُ الرُّمحِ مُختضِبُ

وقال وهو يُخاطب معشوقته عبلة:

قِفي وانظري يا عبلَ فعلي وعايني ... طِعاني إذا ثارَ العَجاجُ المكدّر

تري بطلًا يلقى الفوارسَ ضاحِكًا ... ويرجَعُ عنهم وهو أشعثُ أغبَرُ

٥٠ - (قتل اليأس بسكين التفاؤل إلى قيام الساعة)

في قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾، فيها: التفاؤل بالعمل الصالح حتى قيام الساعة، فلا راحة إلا بالجنة.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها)..

وفي قصة الغلام اليهودي الذي أسلم وهو على فراش الموت، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الحمد لله الذي أنقذه من النار).

وقال لأبي طالب: (يا عم: قُل لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله).

إلى غير ذلك من الأحاديث والآثار الحاثة والمرغِّبة بالعمل حتى آخر لحظة، حتى آخر نفس، وعدم اليأس من ذلك، فلا تعلم متى يُستجاب لدعوتك.

قال نبي الله نوح صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾.

وعلى هذا فإن من التشاؤم القبيح ما نسمعه من بعض النُوكى من قولهم: (اتركهم ما ينفع معهم الدعوة!).

أو (ما عساك تعمل لوحدك مع هذه الأُمة الضالة!).

أو (اترك الخلق للخالق هو يُحاسبهم!).

ونحوها من عبارات تصُب كالسموم في أُذن الداعية إلى الله، فنرد عليه بما سبق بيانه، ونزيده هنا فنقول:

يا آفةً في المجتمع المسلم ألا تعلم أن العبد مُطالب فقط ببذل الأسباب، وأن النتائج من قبل مُسبِّب الأسباب ﷻ.

ألا تعلم يا إمَّعة إن قولك هذا موافق لقول الطائفة التي هلكت حين قالت: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾، فهل لك فيهم عِبرة؟

يا مسكين ألا تعلم بحديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد سُئل عن الكبائر، فقال: (الشرك بالله، والإياس من روح الله، والقنوط من رحمة الله)..

يا مغفل ألم تقرأ أو تسمع عن سحرة فرعون الكِبار: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ﴾.

وقال في آية الأعراف في وصف السِحر الذي جاءوا بـه: ﴿قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟

سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ﴾.

ومع ذلك الظلم الكبير والافتراء الجليل الخطير، انظر إلى رحمة الله بهم، تحولوا في لحظة من أُناس صادّين عن دين الله، إلى أُناس ناصرين لهُ، في لحظة، والقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن، وما سُمي القلب قلبًا إلا لتقلُّبه.

فلماذا تيأس من دعوة الناس للخير؟

لماذا لا يكون عندك تفاؤل ولو بعُد زمنه؟

لماذا هذه النظرة السوداء القاتمة؟

لماذا هذا الشعور الداخلي السلبي؟ هل تعلم لماذا هذا كُله؟

الجواب: غالبًا الظاهر هو انعكاس لما في الباطن طردًا وعكسًا، فإذا كُنت في داخلك مُتفائلًا انعكس هذا الأمر على خارجك وظهر على حركاتك وجوارحك وسكناتك.

والعكس: إذا كنت في باطنك مُتشائمًا مهزومًا مهزوزًا سيظهر حتمًا ذلك على ملامحك وأركانك في الظاهر، ولا تحاول أبدًا أن تكذب على نفسك، وتُمنِّيها بأنك ذو تفاؤل في الحياة!! ما لم يكُن المحل الداخلي قابلًا لذلك، وبعض الناس يخدع نفسه وهو لا يشعر.

لذلك نصيحتي لك أولًا: أن تُصلح الباطن بحُسن الظن بالله ﷻ، لأن التفاؤل جزءٌ كبيرٌ منه عائد إلى القلب، فهو من أعمال القلوب ابتداءً كالتوكل والخوف والرجاء، ثُم تأتي الأسباب الحسيّة بعدُ، فـ: (اعقلها وتوكل)، ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾.

٥١ - (من قواعد الإسلام الكُبرى مُعالجة الشيء بضده)

من التفاؤل البديع: قاعدة جليلة وهي: (مُعالجة الأمور السيئة بأضدادها من أمور الخير)، علاج السلبيات بالإيجابيات، علاج المرض بالدواء، علاج الشر بالخير، علاج القدر بالقدر وهكذا.

وهذا شامل في جميع شؤون الحياة الدينية والدنيوية، بل حتى عند أصحاب العقل السليم والفِطر السوّية.

وأصل ذلك مبثوث في الكتاب والسُّنة والآثار وكلام أهل العِلم الأخيار.

فمن الكتاب العزيز قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ﴾.

وقوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾.

ومن السُّنة النبوية: قوله ﷺ: (أتبع السيئة الحسنة تمحها).

وحديث: (من حلف منكم فقال في حلفه: واللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه: تعال أقامرك فليتصدق بشيء).

وحديث: (البصاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها).

وحديث: (داووا مرضاكم بالصدقة).

وحديث المجاهد مع الوالدين: (فارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما).

ومن الآثار عن السَّلف الصالح: قول عبد الله بن عَمرو رضي الله عنه: (أن رجلًا التقطت دينارًا، فقال عبد الله: لا يؤوي الضالة إلا ضال، قال: فأهوى به الرجل ليرمي

به، فقال: لا تفعل، قال: فما أصنع به؟

قال عبد الله: تُعرِّفه فإن جاء صاحبه فرُده إليه، وإلا فتصدَّق به). ا.هـ [من **مُصنف الفحل ابن أبي شيبة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ].

وفيما صحَّ: عن عُمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (أخيفوا الهوامَّ قبل أن تُخيفكم، وانتضِلوا، وتَمعددوا، واخشَوشِنوا، واجعلوا الرأس رأسين، وفرِّقوا عن المنية، ولا تُلِثُّوا بدار مَعجزة، وأخيفوا الحيات قبل أن تُخيفكم، وأصلحوا مثاويكم). ا.هـ [**من مُصنف الإمام ابن أبي شيبة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ].

وفي صحيح مُسلم: جاء رجل يَستفتي ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الصور، فقال لهُ: (إن كُنت لا بُد فاعلًا، فاصنع الشجر وما لا نفس له)..

ومن كلام العلماء الأخيار:

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: (والشيء يُداوى بضده). ا.هـ

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صيد الخاطر: (وفصل الخطاب في هذا: أنه ينبغي أن يُقاوم المرض بضده). ا.هـ

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفتاوى: (أنفع ما للخاصة والعامة: العِلم بما يخلّص النفوس من هذه الورطات، وهو إتباع السيئات الحسنات). ا.هـ

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن الصحة تُحفظ بالمثل، والمرض يُدفع بالضدّ، فصحة القلب بالإيمان تُحفظ بالمثل، وهو ما يورث القلب إيمانًا من العِلم النافع والعمل الصالح، فتلك أغذية لهُ.) ا.هـ

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إغاثة اللهفان: (أمراض القلب التي تزول بالأدوية الطبيعية من جنس أمراض البدن، وهذه قد لا توجب وحدها شقاءه وعذابه بعد

الموت، وأما أمراضه التي لا تزول إلا بالأدوية الإيمانية النبوية، فهي التي توجب له الشقاء والعذاب الدائم، إن لم يتداركها بأدويتها المضادة لها، فإذا استعمل تلك الأدوية حصل لهُ الشفاء). ا.هـ

وقال ابن مفلح رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الآداب: (واعلم أن الأصل في العلاج وفي حِفظ الصحة وقوة البدن، دفع ضَرر شيء بمقابله، كالبارد بالحار، والرطب باليابس وبالضد، لما في ذلك من التعديل ودفع ضَرر كل كيفية أو أكثر بما يُقابلها، ومن هذا ما في الصحيحين عن عبد الله بن جعفر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: رأيت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأكل الرطب بالقثاء، وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: أرادت أمي أن تُسمنني لدخولي على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلم أقبل عليها بشيء مما تريد حتى أطعمتني القثاء بالرطب، فسمنت عليه كأحسن السمن). ا.هـ

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتاوى نور على الدرب ما نصّه: (من حُسن تعليم الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه كان من هديه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنه إذا ذكر شيئًا ممنوعًا فتح للأُمة الباب الجائز، حتى لا تُوصد الأبواب أمامها، وهذا هو أيضًا طريقة القرآن، كما قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ ﴾، لـمّا نهاهم أن يقولوا راعنا، فتح لهم القول الجائز وهو: انظرنا، وكذلك ثبت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قصة التمر الذي جاء به بلال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إليه، وكان تمرًا جيدًا، فقال له من أين هذا؟ قال: كان عندنا تمر رديء فبعت منه صاعين بصاع، فقال الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا تفعل، ولكن إذا أردت أن تشتري فبع التمر ببيع آخر ثُم اشتر به، فلما ذكر له الممنوع فتح له الجائز، وهكذا ينبغي لكل داعية يدعو إلى الله عَزَّ وَجَلَّ يأمر الناس وينهاهم، إذا نهاهم عن أمر منكر، أن يفتح لهم الباب الجائز من نوعه حتى يلج الناس منه). ا.هـ **بتصرف يسير**.

وقال العلامة إبراهيم بن إسحاق الحربي (ت ٢٨٥ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أجمع عُقلاء كل مِلّة أنـه من لم يجر مع القدر لم يتهنأ بعيشه). ا.هـ [**من النبلاء**].

وقال العلامة الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عند حديث**: (والصدقة تُطفئ الخطيئة، كما يُطفئ الماء النار) ما نـصّـه: (أي: تُطفئ النار التي تسبّبت من فعل الخطيئة في الآخرة، أو أن الخطيئة نار في القلب فتُطفئها الصدقة، فينبغي لمن قارف خطيئة، التصدق على أثرها). ا.هـ [**من التنوير شرح الجامع الصغير**].

وقال ابن الملقن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومن لُطفِ الله تعالى أنَّ انقلابَ الناس مِنَ الـخَـيـر إلى الشَّر نَادِرٌ، والكثيرُ عكسه: إنَّ رحمَتي سَبقَت غَضبِي). ا.هـ [**من المعين على تفهم الأربعين**].

وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الفقيه كلُّ الفقيه، الذي يردّ القدر بالقدر، ويدفع القدر بالقدر، ويُعارض القدر بالقدر، بل لا يمكن الإنسانَ يعيش إلا بذلك، فإنّ الجوع والعطش والبرد وأنواع المخاوف والمحاذير هي من القدر، والخلقُ كلّهم ساعون في دفع هذا القدر بالقدر). ا.هـ [**من كتابه البديع: الداء والدواء ص ٣٤**].

وقال ابن قتيبة (ت ٢٧٦ ه) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولن تكمل الحكمة والقدرة إلا بخلق الشيء وضده، لِيُعرَف كل واحد منهما بصاحبه، فالنور يُعرف بالظلمة، والعِلم يُعرف بالجهل، والخير يُعرف بالشر، والنفع يُعرف بالضر، والحلو يُعرف بالمُر، لقول الله تبارك وتعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾، والأزواج: الأضداد والأصناف، كالذكر والأنثى، واليابس والرطب، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾). ا.هـ [**من كتابه: تأويل مختلف الحديث ص ٧٩**]

قلتُ: وهـذا بلا شك من حِكم الله الكثيرة والجليلة حتى في الأمور القدرية الكونية.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في الفتاوى**: (ومن سُنة الله تعالى: أنه إذا أراد إظهار دينه، أقام من يُعارضه، فيُحق الحق بكلماته، ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه، فإذا هو

زاهق). ا.هـ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجواب الصحيح: (ومن أعظم أسباب ظهور الإيمان والدِّين، وبيان حقيقة أنباء المرسلين، ظهور المعارضين لهم من أهل الإفك المبين،..... وذلك أن الحق إذا جُحد وعُورض بالشبهات، أقام الله تعالى لهُ مما يحق به الحق ويبطل به الباطل، من الآيات البينات، بما يُظهره من أدلة الحق وبراهينه الواضحة، وفساد ما عارضه من الحجج الداحضة). ا.هـ

قلتُ: ومن صور هذه القاعدة الجليلة من مُعالجة الأمور بأضدادها، وهذه تهُم فقيه البدن وفقيه الروح وفقيه النفس، لأنها غاية في الأهمية وهي: ذِكر أحاديث الوعيد عند المتهاونين بشرع الله والمتساهلين فيه، والعكس بالعكس: ذِكر أحاديث الرجاء عند الغالين في دين الله والمتشدِّدين فيه.

قال الإمام العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المدارج: (القلب في سيره إلى الله ﷻ بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلِم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى قُطع الرأس مات الطائر، ومتى فُقِدَ الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر.

ولكن السَّلف استحبوا أن يُقوِّي في الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء، وعند الخروج من الدُّنيا يُقوِّي جناح الرجاء على جناح الخوف). ا.هـ

قلتُ: وإذا تأملت العالَم وما فيه من خلاف واختلاف، رأيتهم في الغالب بين أهل تفريط، وبين أهل إفراط، في المعاملة والسلوك والفقه وكُل شيء من أمر الدِّين والدُّنيا، فإذا أردت مُعالجة شيءٍ فقابله بضدِّه.

فإذا رأينا شخص عنده سُوء ظن، نَذكر لهُ فضل حُسن الظن وسلامة الصدر.

وإذا رأينا من بـهِ بخل شديد، نُذِّكرهُ بفضائل الكرم والبذل.

ومن كان فيه جزع وسُخط، نخبره بفضائل الصبر ومنافعه.

ومن بـهِ كبر وتيه، نقرأ عليه فضل التواضع.

ومن اعتزل الناس وانقبض عنهم، نُعلِّمه فضل مُخالطتهم والصبر عليهم.

ومن كان عندهُ تهاون كبير في الأخذ بالرُّخص الشرعية، نُـذكِّـرهُ بفضل عزائم الأمور ومعاليها.

ومن كان مُغفّلًاوعنده كما يقولون: غفلة الصالحين فيُتلاعب بـه، نُخبره بفضل الفطنة والحذر من خدع أهل الشرِّ.

ومن كان جاهلًاسُقنا لهُ فضيلة العِلم وطلبه وثمرته.

ومن كانت بـهِ قسوة وشدّة مُفرطة، ذكَّرناه بفضيلة الرّفق واللين.

ومن كان مُبتلى بفحش الكلام، نُخبره بفضل حفظ المنطق، وإحسان الكلام وطيبه.

ومن ترك الأخذ بالأسباب الشرعية، وزعم أنـهُ متوكل على الله، ذكرنا لهُ أن الأسباب واستعمالها من الدِّين.

ومن كان مُسرِفًافي كل شيء، علمناه فضل الاقتصاد وحفظ النعمة.

ومن كان بـهِ خـنـق على ولاة الأمور، ذكَّرناه بفضلهم، ووجوب طاعتهم بالمعروف، وأن في ذلك مصالح الدارين للجميع.

قال العُلماء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ: (ينبغي للإنسان في حالة النشاط والقوة أن يُغلّب جانب الخوف، وأن يكثر من الأعمال الصالحة، ويهرب من السيئات، ويخاف من التفريط والإهمال، ويكون دائمًا خائفًا فزعًا يحذر عذاب الله، ويخشى نقمته وعقوبته، أما إذا نزل

بِهِ الأمر، وحضرةُ الأجل، فيُفضَّل أن يُغلّب جانب الرجاء، حتى يقدم على ربه تعالى وهو يُحسن الظن به، كما ورد في الحديث: لا يموتن أحدكم إلا وهو يُحسن الظن بربه.

وذهب بعضهم إلى أنك في حالة الدُّنيا تعمل بهما جميعًا، أي: تعمل بالخوف وبالرجاء، فلا تُغلّب الرجاء فتكون من المرجئة، ولا تُغلّب الخوف فتكون من الوعيدية كالخوارج والمعتزلة، بل تتوسط، والتوسط بينهما أن يكون دائمًا خائفًا راجيًا.

وهذا الأمر يكون أيضًا في مجال الدعوى إلى الله سبحانه وتعالى، فإن الداعية إلى الله تعالى، أشبه حالًا بالطبيب مع المريض، فقد يستعمل الطبيب أشياء مؤلمة للمريض، كالقطع، والبط، والوخز ونحو ذلك لمصلحة المريض، فكذلك الداعية إلى الله تعالى، فقد يكون من المناسب لهُ في بعض الأحوال، مع بعض الأشخاص، أن يستعمل معهم هذا النوع رحمة بهم، وتعبيرًا عن خطر ما هُم عليه، خروجًا عن القاعدة العامة في هذا الباب، وهي اللين والرّفق مع المدعوين، وما شُرع الجهاد ولا الحدود والتعزيرات ولا هجر المبتدع، وغيرها من الأحكام إلا لهذا الغرض). ا.هـ

وقال العلامة القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه لمسلم: (وقول أبي أيوب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في هذا الحديث حين حضرته الوفاة: كتمت عنكم عِلمًا سمعته من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقًا يذنبون، فيغفر لهم، هذا من فضل الله العظيم وكرمه الجسيم، وكتمه مخافة الاتكال، وغلبة الرجاء، والأماني، وتعطيل العمل.

ثُم خاف الحرج بكتمانه جملة قبل موته، فأنبأ به، ليزول عنه الحرج، مع ما فيه لنفسه من الرجاء عند حضور موته.

وهكذا يجب لمُذكِّر الناس وواعظهم: ألَّا يُكثر عليهم من أحاديث الرجاء، لئلا ينهمكوا في المعاصي، والتعطيل للأعمال والاتكال، ويكون وعظه أغلب عليه التخويف والتحذير، ولكن على حدٍّ لا يؤيس ولا يقنط، والإمام في ذلك كتاب الله تعالى ووعظه.

واستحبوا لمن حضر حضور ميّت وتلقينه أو من اشتدَّ عليه المرض أن يكون الغالب على ذكر من يكون حينئذ عنده، آيات الوعد والغفران، وأحاديث الرجاء، لتطيب نفس الميت بلقاءِ ربه، وبلقائه على ما مات عليه من حُسن ظنه برحمته).ا.هـ

وهذا الأمر نظير ما كان بعض السَّلف الصالح يفعله:

قال عطاء بن مُسلم الخفَّاف الكوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال لي سُفيان الثوري: إذا كنت بالشام، فاذكر مناقب علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وإذا كنت بالكوفة، فاذكر مناقب أبي بكر وعُمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

وفي روايـة: إذا قدِمتَ الرَّقة، فاجلس في سُوق الأحد واذكُر فضائل علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فإن الإباضية بها كثيرٌ.

وقال ابن معين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان علي بن المديني إذا قدِم علينا، أظهر السُّنة، وإذا ذهب إلى البصرة أظهر التشيع.

قال الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **مُعلِّقًا**: كان إظهاره لمناقب الإمام علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالبصرة، لمكان أنهم عثمانية، فيهم انحراف على علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. ا.هـ

قلتُ: ويتبع هذه القاعدة العظيمة والجليلة، فقرات بأرقام: (١٣) و(٣٦) و(٤٠) و(٤٧).

٥٢ - (التفاؤل الخيري الوقائي)

من التفاؤل العزيز: صُنع الخير للغير، وهو من الفأل الممتع والمؤنس والمفرح، وهو من أهم الأسباب لِحفظ الإنسان من الآفات المعنوية والحسّية، بل ومن أسباب السعادة الدنيوية والأخروية.

قال العلامة المحقق ابن الملقن رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه للبخاري عند حديث بدء الوحي ما نصه:

(قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: زَمِّلُوني زَمِّلُوني، فيه: إن مكارم الأخلاق، وخصال الخير، سبب للسلامة من مصارع السوء والمكاره، فمن كَثُرَ خيره حسنت عاقبته، ورُجي لَهُ سلامة الدِّين والدُّنيا). ا.هـ

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عدة الصابرين: (وفي الصدقة فوائد ومنافع لا يُحصيها إلا الله، فمنها: أنها تقي مصارع السوء، وتدفع البلاء، حتى إنها لتدفع عن الظالم، قال إبراهيم النخعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكانوا يرون أن الصدقة تدفع عن الرجل المظلوم، وتُطفئ الخطيئة، وتحفظ المال، وتجلب الرزق، وتُفرح القلب، وتوجب الثقة بالله وحُسن الظن به، كما أن البخل سُوء الظن بالله، وتُرغم الشيطان، يعني: الصدقة، وتُزكي النفس وتنمّيها، وتُحبب العبد إلى الله وإلى خلقه، وتستر عليه كل عيب، كما أن البخل يُغطي عليه كُل حسنة، وتزيد في العُمر، وتستجلب أدعية الناس ومحبتهم، وتدفع عن صاحبها عذاب القبر، وتكون عليه ظِلًا يوم القيامة، وتشفع لهُ عند الله، وتُهوِّن عليه شدائد الدُّنيا والآخرة، وتدعوه إلى سائر أعمال البِرّ، فلا تستعصي عليه، وفوائدها ومنافعها أضعاف ذلك.

قالوا: ولو لم يكن في النفع والإحسان إلا أنه صفة الله، وهو سبحانه يُحب من اتصف بموجب صفاته وآثارها، فيُحب العليم، والجواد، والحيي، والستير، والمؤمن القوي أحب إليه من المؤمن الضعيف، ويُحب العدل، والعفو، والرحيم، والشكور، والبر، والكريم، فصفته الغنى والجود، ويُحب الغني الجواد.

قالوا: ويكفي في فضل النفع المتعدي بالمال، أن الجزاء عليه من جنس العَمل، فمن كسى مؤمنًا كساه الله من حُلل الجنة، ومن أشبع جائعًا أشبعه الله من ثمار الجنة، ومن

سقى ظمآنًا سقاه الله من شراب الجنة، ومن أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منه عضوًا من النار، حتى فرجه بفرجه، ومن يَسّر على مُعسر، يَسّر الله عليه في الدُّنيا والآخرة). ا.هـ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في زاد المعاد: (إنّ الأعمالَ جُنـدٌ لِلعَبدِ وجُنـدٌ علَيه ولا بُـدّ). ا.هـ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بدائع الفوائد: (فالمحسن المتصدق: يستخدم جُندًا وعَسكرًا يقاتلون عنه وهو نائم على فراشه، فمن لم يكن له جند ولا عسكر، ولهُ عدو، فإنه يوشك أن يظفر بـه عدوه، وإن تأخرت مُدّة الظفر والله المستعان). ا.هـ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في طريق الهجرتين: (فإن الإحسان يفرح القلب، ويشرح الصدر، ويجلب النِعم، ويدفع النِقم، وتركه يُوجب الغم والضيق، ويمنع وصول النِعم إليه). ا.هـ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الزاد: (وكان هَديه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو إلى الإحسان والصدقة والمعروف، ولذلك كان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشرحَ الخلق صدرًا، وأَطيَبهم نفسًا، وأنعمَهم قلبًا، فإن لِلصدقة وَفِعلِ المعروف تأثيرًا عجيبًا في شرح الصدر.) ا.هـ

وقال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: (عنوان سعادة العبد: إخلاصه للمعبود، وسعيه في نفع الخلق.) ا.هـ

وقال الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الأصفهانية: (ومن جُمع فيه الصدق والعدل والإحسان: لم يكُن مما يخزيه الله، وصلة الرحم، وقرى الضيف، وحمل الكل، وإعطاء المعدوم، والإعانة على نوائب الحق، هي من أعظم أنواع البرّ والإحسان، وقد عُلم من سُنة الله تعالى: أن من جبله الله على الأخلاق المحمودة، ونزّهه عن الأخلاق المذمومة، فـإنـه لا يُخزيـه،..... ومن عظُم نفعه للخلق، وإحسانه إليهم، كانت عاقبته عاقبة خير). ا.هـ

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مجموع الفتاوى: (والمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها قلوبهم واحدة، موالية لله ولرسوله ولعباده المؤمنين، معادية لأعداء الله ورسوله وأعداء عباده المؤمنين، **وقلوبهم الصادقة، وأدعيتهم الصالحة، هي العسكر الذي لا يغلب،**

والجند الذي لا يخذل، فإنهم هم الطائفة المنصورة إلى يوم القيامة). ا.هـ

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حادي الأرواح: (ومفتاح حصول الرحمة: الإحسان في عبادة الخالق، والسعي في نفع عَبيده). ا.هـ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الداء والدواء: (وقد دل العقل والنقل والفِطرة وتجارب الأمم على اختلاف أجناسها ومِللها ونحلها، على أن التقرُّب إلى ربّ العالمين وطلب مرضاته، والبرّ والإحسان إلى خلقهِ، من أعظم الأسباب الجالبة لكُل خير، وأضدادها من أكبر الأسباب الجالبة لكُل شر، فما استُجلِبت نِعمُ الله، واستُدفِعت نِقمةُ الله، بمثل طاعته والتقرُّب إليه، والإحسان إلى خلقه). ا.هـ

وهُنا قصة لطيفة وجميلة، تُبيِّن بجلاء إن صنائع المعروف تقي مصارع السوء: (قال القاضي أبو النمر بن العنزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سافرت إلى اليمن فاتصلت ببعض سلاطين اليمن، فأتاه الخبر بعصيان أهل بلد من بلاده، فركب وسار إليه، وأنا صحبته، وهو في خلق كثير على الركاب، وأقسم ليستبيحنّ دماءهم وأموالهم، فسرنا حتى نزلنا على المدينة، وأمر بالتأهب لقتالهم، فرأينا امرأة قد خرجت من المدينة، وجاءت تتخطى الناس حتى وصلت إلى السلطان وأنا عنده، فسلمت عليه فرحب بها، وأكرمها وأجلسها، ثُم قال لها: ما حاجتك؟

قالت: جئتك أسألك أن تهب لي هذه المدينة وأهلها، فقال: هؤلاء قد أظهروا العصيان والشقاق، وقد أقسمت أن استبيح دماءهم وأموالهم، فقالت: بل ترجع عن هذا إلى المعتاد من صفحك وكرم عفوك، وتهب لي ذنبهم ودماءهم وأموالهم، فقال: ما أفعل ولا أفسد مملكتي، وأستدعي عصيان رعيتي بصفحي عن هؤلاء المنافقين، فغضبت، وقامت، وقالت: نسيت حقي وحرمتي واطرحتني، حتى أني أسألك في مدينة من مدائنك لتقضي بها حقي، ولا توجب سؤالي، ثم ولّت، فأطرق، ثُم قال:

ردُّوها، فلما عادت اعتذر إليها وتلطفها، وقال: قد وهبت لك البلد وأموال أهله ودماءهم، وها أنا راحل، ثُم أمر الناس بالرحيل وسار.

فسألت عن تلك المرأة، فقيل لي: إن هذه امرأة كانت تُرضعه، وكان أبوه مالك هذه البلاد، فقام عليه أخوه فقتله، وملك البلاد، وهذا إذ ذاك طفل، فتطلّبه عمه ليقتله، فخبته هذه المرأة بينها وبين ثيابها، وأخفته، وخرجت به من البلد فربَّته في خمول، واختفى حتى كبر، وجار عمه على الرعية، وأساء إليهم، فوثبوا عليه قتلوه، ونفذوا أحضروا هذا وملّكوه عليهم كما ترى، فهي تُذكِّره بما فعلته في حقه، وهو يَرعى لها ذلك الصنع). ا.هـ [من كتاب: **بغية الطلب من تأريخ حلب**].

وقال أبو منصور الثعالبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في يتيمة الدهر: (حدثني أبو بكر الخوارزمي وأبو نصر بن سهل بن المرزبان وأبو الحسن المصيصي، فدخل حديث بعضهم في بعض فزاد ونقص، قالوا: كانت حالة المهلبي الوزير قبل الاتصال بالسلطان حال ضعف وقلّة، وكان يقاسي منها قذى عينه، وشجى صدره، فبينما هو ذات يوم في بعض أسفاره مع رفيق لهُ من أصحاب الجراب والمحراب، إلا أنه من أهل الآداب، إذ لقي في سفره نصبًا، واشتهى اللحم، فلم يقدر على ثمنه، فقال ارتجالًا:

ألا مـــوت يُبـــاع فأشـــتريه ** فهـــذا العـــيش مـــا لا خـــير فيـــه
ألا مـــوتٌ لذيـــذ الطعـــم يـــأتي ** يخلّـــصني مـــن العـــيش الكريـــه
إذا أبـــصرت قـــبرًا مـــن بعيـــد ** وددت لـــو آننـــي ممّـــا يليـــه
ألا رحـــم المهـــيمن نفـــس حـــرٍّ ** تـــصدّق بالوفـــاة عـــلى أخيـــه

فاشترى له رفيقه بدرهم واحد لحمًا، فأسكن به قرمه، وتحفّظ الأبيات وتفارقا.

وضرب الدهر ضرباته، حتى ترقت حالة المهلبي إلى أعظم درجة من الوزارة،.... وحصل الرفيق تحت كلكل من كلاكل الدهر، ثقل عليه بركه وهاضه عركه فقصد

حضرته، وتوصل إلى إيصال رقعة تتضمن أبياتًا منها:

ألا قُل للوزير فدته نفسي ** مقال مذكّر ما قد نسيه

أتذكر إذ تقول لضنك عيشٍ ** ألا موتٌ يباع فأشتريه؟

فلما نظر فيها تذكّره، وهزته أريحية الكرم، للحنين إليه، ورعاية حق الصُحبة فيه، والجري على من قال:

إنَّ الكِرامَ إذا ما أيسَرُوا ذَكَرُوا ** مَن كانَ يألفُهُم في المنزلِ الخَشنِ

وأمر لهُ في عاجل الحال بسبعمائة درهم، ووقع في رقعته: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾، ثُم دعا به وخلع عليه وقلّده عملًا يرتفق به، ويرتزق منه). ا.هـ

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حادي الأرواح: (والعبد كُلما وسّع في أعمال البرّ، وسّع لهُ في الجنة، وكُلما عمِل خيرًا، غُرس له بـهِ هناك غراس وبنى لهُ بناء، وأنشيء له من عملِه أنواع مما يتمتع بـه). ا.هـ

وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: (إن من الناس ناسًا مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإن من الناس ناسًا مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه)..

وقال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه على صحيح البخاري: (قول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: الملائكة تُصلِّي على أحدكم ما دام في مصلاه، ما لم يحدث، اللهم اغفر له اللهم ارحمه، لا يزال أحدكم في صلاة، ما دامت الصلاة تحبسُه، لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة، تفسير لقوله تعالى: ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، يُريد المصلِّين، والمنتظرين للصلاة، **ويدخل في ذلك من أشبههم في المعنى، ممّن حَبس نفسه على أفعال البِرِّ كُلّها**). ا.هـ [**وبهذا أيضًا قال ابن الملقن رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التوضيح**].

وفي صحيح البخاري مُعلّقًا مجزومًا به: قال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إنما تقاتلون بأعمالكم).

قلتُ: وفيه من لطيف الفقه: إنَّ من أعظم الأسلحة فتكًا بالعدو هي الأعمال الصالحة للإنسان، وهي جيش المؤمن وجُنده الذي يُـقـاتِـل بـهِ.

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (فإن الصدقة من جنس القتال، فالجبان يرجف، والشجاع يثبت، ولهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وأما الخيلاء التي يحبها الله، فاختيال الرجل بنفسه عند الحرب، واختياله بنفسه عند الصدقة، لأنه مقام ثبات وقوة، فالخيلاء تناسبه، وإنما الذي لا يحبه الله، المختال الفخور البخيل الآمر بالبخل، فأما المختال مع العطاء أو القتال فيُحبه). ا.هـ [**من الفتاوي**].

وقال الإمام الجليل أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن جعفر (ابن سُليمان الضُبعي) قال: سمعتُ مالك بن دينار (التابعي) يقول: (إنَّ صُدور المؤمنين تَغلي بأعمال البرِّ، وإنَّ صُدور الفُجّار تَغلي بأعمال الفجُور، واللهُ تعالى يَرى همُومكُم رحمكم الله).ا.هـ [**أخرجه الإمام أحمد في كتاب الزهد بسندٍ بصري صحيح**].

قلتُ: ومصداق ذلك ما ثبت مرفوعًا: (إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم وأموالكم، ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم - وأشار بأصابعه إلى صدره - وأعمالكم). ا.هـ

وفي الإصابة لابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: (عن سليم الضبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قلت يا رسول الله، إن أبي كان يُقري الضيف، ويفعل كذا وكذا: الأشياء عدّها، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أدرك الإسلام؟ قلت: لا، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ليس بنافعه، فلما رأى ما بي، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنه لا يزال ذلك في عقبة، لا يُظلمون ولا يُستذلّون ولا يُفتقرون). ا.هـ

قلتُ: وهذا فيه دليل أن صنائع المعروف تنفع حتى الكافر في الدُّنيا، وقد صحَّ في الحديث عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: (وأما الكافر فيُطعَم بحَسناتِهِ في الدُّنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة، لم يكُن له حَسنةٌ يُعطى بها خيرًا)..

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (صنائع المعروف تقي مصارع السوء، والصدقة خفيًا تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم زيادة في العمر، وكل معروف صدقة، وأهل المعروف في الدُّنيا، هم أهل المعروف في الآخرة، وأهل المنكر في الدُّنيا، هم أهل المنكر في الآخرة، وأول من يدخل الجنة: أهل المعروف)..

وفي صحيح ابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من حفر ماء لم يشرب منه كبد حَرَّي من جن ولا إنس ولا طائر، إلا آجره الله يوم القيامة، ومن بنى مسجدًا كمفحص قطاة أو أصغر، بنى الله له بيتًا في الجنة)..

وفي قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنَّ الله كَتَبَ الإحسان على كُلِّ شيء.

قال ابن الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومن ذلك: الإحسان إلى الجن، مؤمنهم وكافرهم بدعائهم إلى الخير، وقد أكرمهم الشارع وأقراهم، بأن جعل العظم زادهم، والروثَ لدوابهم، ولنا فيه أسوةٌ حسنة). ا.هـ [**من المعين على تفهم الأربعين**].

وقال ابن قتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ **في عيون الأخبار**: (وكان ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يقول: صاحب المعروف لا يقع، فإن وقع وجد مُتّكأ، وما رأيت رجلًا أوليته معروفًا، إلّا أضاء ما بيني وبينه، ولا رأيت رجلًا أوليته سوءًا، إلّا أظلم ما بيني وبينه). ا.هـ

وأصل ذلك كُله في كتاب الله العزيز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

وقوله ﷻ: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

قلتُ: ففاعل الخيرات وصانعها، هو في بيت من التفاؤل: غرفة فيها حب الله ورسوله، وغرفة فيها حب الناس، وغرفة فيها الأرزاق والنِعم، وغرفة فيها راحة النفس وانشراح الصدر، وغُرف متنوعة من: الذِكر الحسن في الدُّنيا والآخرة، ومن سرور الروح، ومن حُسن الظن بالله، ومن دعاء الملائكة والناس أجمعين لك، إلى غير ذلك، كُل هذه الأمور تُشعِرك بالتفاؤل في أجمل صوره، ولا يعرف حقيقة هذا وكُنهُ في القلب والروح، إلا من عمِل هذه الأمور.

وسُبحان الله العظيم: لم أرى شيئًاينفع الإنسان في مراحل القدر الثلاث مثل صُنع المعروف للخلق، وإليك الأمثلة:

أ **قبل قدر الله**: لا شك إن من عقيدة المسلم الإيمان بالقضاء والقدر، وهذا القضاء هو غيب بالنسبة للإنسان لا يعلم به إلا إذا وقـع، والقدر منه الخير ومنه الشر، فقدر الخير محبوب وليس هو حديثنا هُنا، بينما قدر الشر مكروه لا يحبه الإنسان، طيب كيف يتقيه؟

الجواب: بصُنع الخير لأن من أسباب الوقاية من الآفات والهلكات والطامات: صنائع المعروف كما تقدَّم.

ب **خلال قدر الله**: فإن كُنت تُريد بقاء نِعم الله عليك ودوامها، ودفع ما تكره عنك، وتُحب أن يكون الله على ما تُريد، فكُن لهُ على ما يُريد.

كما قيل: الشُكر يوجب المزيد من النعم، والاستغفار يدفع النقم، والشكر قيد الموجود، وصيد المفقود، والطاعة تحفظ الموجود، وتجلب المفقود، وهذا لا يكون إلا بصنائع الخيرات.

يُروى عن الشهيد علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال لرجل من همدان: (إنَّ النِّعمةَ مُوَصَّلةٌ بالشُّكر، والشُّكرُ مُعلَّقٌ بالمزيد، وهما مقرونان في قَرنٍ، فلَن ينقطع المزيدُ من الله حتى ينقطِع الشُّكرُ مِن العبد). ا.هـ [**رواه ابن أبي الدنيا** رَحِمَهُ اللَّهُ **في الشُكر**].

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾، والشُكر يكون باللسان ويكون بالعمل، ومن العمل فعل المعروف، ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾، فالنعمة إذا شُكرت قرَّت، وإذا كفرت فرَّت.

جـ **بعد قدر الله**: بفعل المعروف أيضًا، لأن البلاء إذا نزل لا يرفعه إلا فعل الخير والطاعة، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (داووا مرضاكم بالصدقة)، وأبواب الصدقة واسعة جدًا، وهذا الحديث يدل على أن البلاء لا يُدفع إلا بالعمل الصالح، بمعنى: أن الأمور القدرية الكونية لا تُدفع ولا تُرفع إلا بالأمور الشرعية، وقد ثبت في الحديث: (لا يَردُ القضاء إلا الدُّعاء)، فافهم فإنها من جليل العِلم ودقيقه.

وقال الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾.

قلتُ: تأمل معي هذه القصة العجيبة والغريبة والخاتمة الجليلة:

أ خرج من بلاد مِصر وحـده خـائـفًا يترقب خشية أن يفتك الأعداء به.

ب ذهب لبلاد مَدين وهو أعزب فقير.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (سار موسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مِصر إلى مَدين، ليس له طعام إلا البقل وورق الشجر، وكان حافيًا، فما وصل مَدين، حتى سقطت نعل قدمه، وجلس في الظِل، وهو صفوة الله من خلقه، وإن بطنه لاصق بظهره من الجوع، وإن خضرة البقل، لتُرى من داخل جوفه، وإنه لمحتاج إلى شِق تمرة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). ا.هـ

جـ صَنع الخير والمعروف لنساء لا يعرفهن.

د **آل بـه صُنع الخير** إلى أن ساقه الله سبحانه للرجل الصالح.

س تزوج، ووجـد عَملًايكسب من خلاله الرزق الحلال.

ش دخل مَدين فقيرًا، وخرج منها غنيًا.

ص بعد هذه القصة التي بدأت بمِحنةٍ عظيمة، وانتهت بمنحَةٍ أعظم.

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾.

٥٣ - (لا بأس عليك أُختي المطلقة؟!)

قال الله تعالى: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴾.

قال بدر الدين العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الأصل في التثويب: أن يجيء الرجل مُستَصرِخًا فَيُلَوِّح بثوبه لِيُرى ويشتهر، فسُمِّي الدعاء تثويبًا لذلك، وكل داع مُثَوِّبٌ، وقيل: إنما سُمّي تثويبًا من ثاب يثوب إذا رجع، فهو رجوع إلى الأمر بالمبادرة إلى الصلاة، فإن المؤذن إذا قال: حيّ على الصلاة فقد دعاهم إليها، فإذا قال بعد: الصلاة خير من النوم فقد رجع إلى كلام معناه المبادرة إليها، ومن ذلك تُسمّى الثَّيِّب، مُصِيبَهَا عائد إليها). ا.هـ [**من نُخب الأفكار في شرح معاني الآثار (٣ / ٦١)، ط: وزارة الأوقاف القطرية**].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قيل: إنما سُمِّيت الثيّب ثيِّبًا لأنها راجعةٌ إلى زوجها إن أقام معها، أو إلى غيره إن فارقها). ا.هـ [**من تفسيره عند الآية الخامسة من سورة التحريم**].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في الفتاوى**: (كذلك في الأعمال: المثوبات والعقوبات حذو القذة بالقذة، فإنه إنما سُمِّي الثواب ثوابًا، لأنه يثوب إلى العامل من عمله، أي: يرجع، والعقاب عِقابًا، لأنه يعقب العمل أي: يكون بعده). ا.هـ

وقال ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (واشتقاق الإجارة من الأجر وهو العِوض، قال الله تعالى: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾، ومنه سُمِّي الثواب أجرًا، لأن الله تعالى يُعوِّض العبد به على طاعته، أو صَبره على معصيته). ا.هـ [**من المغني**].

وقال السرخسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (التثويب لُغةً: الرجوع، ومنه سُمِّي الثواب، لأن منفعة عمله تعود إليه، ويُقال ثاب إلى المريض نفسه إذا برأ).ا.هـ [**من المبسوط**].

وقال أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والتثويب عند العرب معناه: العودة، يُقال: قد ثاب إليّ مالي، أي: عاد إليّ، ويُقال: قد ثاب إلى

المريض جسمه، أي: عاد إليه). ا.هـ[من كتابه الفذّ: الزاهر في معاني كلمات الناس].

قلتُ: في بعض الفقرات أحتاج أُحرر لفظة، أو قاعدة كُبرى، أو مسألة جزئية، وتجدني أُطيل قليلًا، لماذا؟

لكي يصل القارئ الكريم بسهولة لما أُريد بيانه، فمثلًا هُنا لفظة: التثويب، بعد كتابة متفرعاتها العديدة، أصبحت الصورة واضحة تمامًاعند القارئ الكريم.

والمعنى: إذا عرفتِ أُختي المباركة، لماذا أُطلق عليكِ هذا اللفظ: (الـثيِّـب)، تفاءلتِ بالمستقبل، وأنك ستُصبحين أو تُمسين على رجلٍ صالح يتزوجكِ، وهذه الكلمة عين التفاؤل.

٥٤ - (إخواني أخواتي)

من التفاؤل الجميل: تقديم الذكر على الأُنثى في النصوص الشرعية وكلام أهل العِلم، ووجه التفاؤل فيه هو: ما سَبق تقريره في الفقرة رقم (١٨)، التفاؤل بتقديم كُل ما قدّمه الله ورسوله في نصوص الوحيين وآثار السَّلف الصالح.

ثبت في سُنن الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن أُمِّ عُمـارة الأنصارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: ما أرَى كُـلَّ شيءٍ إلا للرِّجال، وما أرَى النساء يُـذكَـرنَ بشَيءٍ؟!

قلتُ: لذلك كانت خطابات الشارع الحكيم، أغلَـبُها مُوجه للرجال، تشريفـًا لهم ولَـيسَت خاصَّـةً بهم، بل يدخل فيها النساء.

مثل قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأحاديث الصحيحة التالية:

(أتدرون ما الغيبة....)..

(أتدرون من المفلس.....)..

(إذا حدَّثَ الرجلُ بحديثٍ، ثمَّ التفتَ فهيَ أمانـةٌ).

(الكلمة الطيبة يتكلم بها الرجل صدقة، وعون الرجل أخاه على الشيء صدقة).

(إذا أقيمت الصلاة، وأراد الرجل الخلاء، فليبدأ بالخلاء).

(إذا توضأ الرجل المسلم، خرجت خطاياه من سمعه وبصره).

(إذا جاء الرجل يعود مريضًا فليقل: اللهم اشف عبدك فلانًا).

(إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله توكلت على الله).

(إذا قال الرجل لأخيه: جزاك الله خيرًا، فقد أبلغ في الثناء).

وغـيرها من النصوص النبوية، فالنساء شقائق الرجال بالأحكام الشرعية.

ومن هُـنا نعرف خطأ مقولـة أهل الضلال والزيغ: (سيداتي وسادتي)، ومن قـلَّدهم من أتباع كل ناعق!!

فإنـهم خالفوا الشرع والعقل، المنقول والمعقول.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

وقال ﷻ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾.

وقال سبحانه: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾، وغيرها من الآيات المحكمات الواضحات، والتي قُـدِّم فيها ذِكـر الرجـال على النساء.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قد أشار النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أن ما قدَّمه الله، فإنه ينبغي تقديمه ولا يؤخَّر، بل يُقدّم ما قـدّم الله ويُـؤخَّـر ما أخَّـر). ا.هـ

وقال أيضًا: (والنبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان شديد الـتـحـرِّي لتقديم ما قدَّمه الله والبداءة بما بـدأ بـه). ا.هـ

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وكان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحافِظُ على ألفاظ القرآن تقديمًا وتأخيرًا، وتعريفًا وتنكيرًا، كما يحافِظُ على معانيه). ا.هـ **[من بدائعه (١/ ١٢٢) و(٢/ ٦٨٥) و(٤/ ١٤٨٧)]**.

قلتُ: وأيضًا تجد التعبير بالرجل دائمًا في تـبـويـبات العلماء، وهو جارٍ على ما تـقـرّر عندهم من نصوص الوحيين الكتاب والسُّنة، من تقديم الذكر على الأُنثى قَـدرًا وشرعًا، فـآدم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قـبـل حـواء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

قال الشيخ عبد المحسن العباد البدر حفظه الله: (الغالب أن الخطاب مع الرجال، ولهذا يأتي ذِكـرُ الرجل في الأحاديث، ويأتي ذِكـرُ الرجل في الأبواب). ا.هـ **[تحت باب: لا يبيع الرجل على بيع أخيه ولا يسوم على سومه، من كتاب: التجارات، في شـرحـه لسُنن ابن ماجة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ**]**.

قلتُ: وصدق ختم الله له بخير، فعلى سبيل المثال لا الحصر ما جاء في صحيح البخاري باب: الرجل يُوضئُ صاحبه، وجاء في سُنن أبي داود باب: الرجل يُصلِّي الصلوات بوضوء واحد، وجاء في سُنن النسائي باب: الرجل يدفع عن نفسه، وجاء في سُنن ابن ماجة باب: الرجل يُسلَّم عليه وهو يبول، وهكذا الحكم بالنسبة للمرأة في جميع هـذه الأبواب المذكورة.

وقال ابن الملقن رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في التوضيح**: (كُل ما خاطب الله بـه الرجال من شعائر الإسلام فقد دخل فيه النساء ولزمهنّ من ذلك ما لزم الرجال). ا.هـ

وقال العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح البلوغ ما نصه: (قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا تقدّموا رمضان بصوم يوم ولا يومين، إلا رجُلٌ كان يصوم صومًا، فليصمه، الرجل هُنا ليس مُخرِجًا للمرأة، لأن الأصل في الأحكام تساوي الرجال والنساء، إلا بدليل يدل على الخصوصية، لكنه لما كان الرجال أشرف من النساء، صارت خطابات الشرع دائمًا، معلّقة بالرجولية). ا.هـ

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أقول ليُعلم أن الأصل في خطابات القرآن الكريم أو السُّنة النبوية عمومها للرجال والنساء، فما ثبت في حق الرجال، ثبت في حق النساء، وما ثبت في حق النساء، ثبت في حق الرجال، إلا بدليل.

وأكثر خطابات القرآن والسُّنة مُوجهة إلى الرجال الذكور، وإنما كانت كذلك، لأن الرجل أرجح عقلًا من المرأة، وأكبر تحملًا للمسؤولية، وأقوى في تنفيذ أوامر الله ورسوله،..... فلهذا تجد خطابات القرآن الكريم والسُّنة النبوية، أكثرها مُوجّه للرجال). ا.هـ **[بتصرف يسير من فتاوى نور على الدرب]**.

قلتُ وأُكرر: ما نسمعه من بعض العُلوج الذين يقولون: (سيداتي وسادتي)، فقدّم ذِكر المرأة على الرجل، هو من التشبُّه بالذين لا خَلاق لهم من وجه، ومن وجهٍ آخر يُعدّ من التشاؤم القبيح، لأن كُل ما خالف الكتاب والسُّنة وما عليه عُلماء الأُمة، فهو من الشؤم القبيح.

والعكس بالعكس: فكُل ما وافق الكتاب والسُّنة، فهو من الفأل الصالح الطيب النافع المبارك.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قد استقرَّ في عُرف الشارع، أن الأحكام المذكورة بصيغة المذكَّرين إذا أُطلِقَت ولم تقترن بالمؤنث، فإنها تتناول الرجال والنساء، لأنه يُغلَّب المذكر عند الاجتماع، كقوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾، وقوله:

﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾، وقـولـه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾، وأمـثـال ذلك، وعلى هـذا فـقـولـه: ﴿وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾، يـتـنـاول الصنفين). ا.هـ [من إعلام الموقعين].

وقال الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (من لُغة العرب إذا اجتمع المذكر والمؤنث غلَّبوا المذكر، وقد عهدنا من الشارع في خطابه، أنـه يعُم القسمين، ويدخل النساء بطريق التغليب). ا.هـ [من مجموع الفتاوى].

وقال الزبيدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تاج العروس**: (والقاعدةُ هي تَغلِيبُ الـمُـذَكَّـرِ على الـمُـؤنَّـث، والـمُـفـردِ على الـمُـرَكَّـب). ا.هـ

وقال ابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في غريب الحديث**: (ومن قال كذا لبني تميم، فهو للذكور والإناث، لأنَّ البنين إذا خالَطوا البنات، غُـلِّـبَ الذكور، فقيل هـذه بنو تميم قد انتقلت، وهي رجال ونساء). ا.هـ

وقال الكسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الـمُـذكَّـر والـمُـؤنَّـث إذا اجتمعا غُـلِّـب الـمُـذكَّـر، لـقـوّتـه وخـفّـتـه). ا.هـ [من تفسير رموز الكنوز للرسعني (٨/ ٣٨٣)].

قلتُ: قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

وفي الحديث الصحيح: (إن من أكبر الكبائر: أن يلعن الرجل والديه، يلعن أبا الرجل فيلعن أباه، ويلعن أمه فيلعن أمه)..

٥٥ - (صفة الوضوء فيه التفاؤل)

قال الإمام النسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سُننه: أخبرنا عتبة بن عبد الله، عن مالك بن أنس، عن عمرو بن يحيى، عن أبيه: أنه قال لعبد الله بن زيد بن عاصم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهو جد عمرو بن يحيى: هل تستطيع أن تريني كيف كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتوضأ؟ قال عبد الله بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: نعم، فدعا بوضوء فأفرغ على يده اليمنى فغسل يديه مرتين، ثم مضمض واستنشق ثلاثًا، ثم غسل وجهه ثلاثًا، ثم غسل يديه مرتين مرتين إلى المرفقين، ثم مسح رأسه بيديه **فأقبل بهما وأدبر**، بدأ بمقدّم رأسه ثم ذهب بهما إلى قفاه ثم ردهما حتى رجع إلى المكان الذي بدأ منه، ثم غسل رجليه.

قال أبو القاسم محمد بن أحمد بن الحسيني الفقيه قاضي الجماعة (ت٧٦٠ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أحسن الوجوه في تأويله أن يكون قدّم الإقبال تفاؤلًا ثم فُسِّر بعد ذلك على معنى أدبر وأقبل، والعرب تقدم في كلامها ألفاظًاعلى ألفاظ أُخر وتلتزمه في بعض المواضع كقولهم: قام وقعد ولا تقول قعد وقام، وكذلك أكل وشرب، ودخل وخرج، على هذا كلام العرب فتكون هذه المسألة من هذا، ويؤيد ما ذكرناه وهو موضع النكتة تفسيره لأقبل وأدبر في باقي الحديث على معنى أدبر ثم أقبل، ولو كان اللفظ على ظاهره لم يحتج إلى تفسير). ا.هـ [**نقله الشاطبي في كتابه: الإفادات والإنشادات** ص٨٩].

٥٦ - (التحية التفاؤلية)

قال الإمام ابن أبي شيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في المصنَّف**: باب: في الرجل يقول للرجل: حيَّاك الله، مَن كرِهه حتى يقول: بالسلام.

حدثنا وكيع (ابن الجراح)، عن سُفيان (الثوري)، عن عاصم (الأحول)، عن ابن سيرين.

وعَن أبي معشر (زياد بن كُليب)، عن إبراهيم (النخعي).

وعَن حماد (ابن أبي سُليمان)، عن إبراهيم، قالا: إذا قلت: حيَّاك الله، فقُل: بالسلام.

قلتُ: وسنده صحيح مقطوع.

وحدثنا مُعتمر بن سُليمان، عن عبد المجيد (ابن وهب العامري)، قال: كان الحسن (البصري) يكره أن يقول الرجل: حيَّاك الله إلا أن يقول: بالسلام.

قلتُ: وسنده بصري حسن مقطوع.

وحدثنا حسين بن علي، عن ابن عيينة، عن محمد بن سُوقة، قال: جاءنا ميمون بن مِهران فقال له رجل: حيَّاك الله، فقال: لا تقُل هكذا، هذه تحية الشباب، ولكن قُل: حيَّاكم الله بالسلام.

قلتُ: وسنده صحيح مقطوع.

وحدثنا أبو معاوية (محمد بن خازم)، عن الأعمش، عن إبراهيم (النخعي)، قال: كانوا يَستحبُّون إذا قال الرجل للرجل: حيَّاك الله، أن يقول: بالسلام.

قلتُ: وسنده صحيح.

وفي حلية الأولياء: قال أبو بكر بن أبي طالب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: دخلت مسجد معروف الكرخي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكان في منزله، فخرج إلينا ونحن جماعة فقال: السلام عليكم ورحمة

الله، فرددنا عليه السلام، فقال: حيَّاكم الله بالسلام.

قلتُ: ولا شك أن هذا كُله فيه تفاؤل حسن وطلب للسلامة في التحايا بين الناس، وهو ما عليه السَّلف الصالح كما رأيت، ومن تشبه بقوم فهو منهم.

٥٧ - (المعاني التفاؤلية في الآيات القُرآنية)

في قول الكريم الوهاب: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ﴾.

فيها من البلاغة التفاؤلية: ما يُعرف بالمجاز المرسل، وذلك باعتبار ما سيكون، حيث سمَّى الشيء بما يؤول إليه، وهذا فيه من التفاؤل والاستبشار بفضل الله تعالى، حيث سمَّى المطر رزقًا باعتبار ما سيكون، ومثله في التفاؤل قول: (أمطرت السماء نباتًا)، أي: مَطرًا يتسبب عنه النبات.

ونظير ذلك من وجهٍ: في قول الله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ﴾.

فسمَّى الانطلاق للحرب في غزوة خيبر: مغانم، ليتفاءل المجاهدون بذلك، وكأنهم انتصروا وغنِموا بعد المعركة.

والسين في: ﴿ سَيَقُولُ ﴾ حرف استقبال.

وإذا ظرف للمستقبل.

وعبر بالماضي: ﴿ٱنطَلَقْتُمْ ﴾ لتحقق وقوعه، وكُل ذلك فيه تفاؤل حَسن.

ونظيره أيضًا: قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن

شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾.

أي: سلاح يحدث القوة والمنعة والرهبة، وهذا كُله تفاؤل.

ونظيره وهذه عجيبة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾.

فيها أنواع من التفاؤل منها: الفعل الماضي لتحقق وقوعه: ﴿ٱشْتَرَىٰ﴾.

ومنها: الفعل المضارع يُفيد الأمر، فهو خبر بمعنى الأمر.

وأن هذا الأمر إلى قيام الساعة: ﴿يُقَٰتِلُونَ﴾، لذلك أتى بالمضارع بعد الفعل الماضي ليُفيد الاستمرار والديمومة، نظيره: ﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾، كل ذلك ليتفاءل العبد بالخيرات ومن أعظمها الجهاد في سبيل الرحمن.

ومنها: تقديم قتل المسلم للكافر، بتقديم الفاعل على المفعول: ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ﴾، وهذه كآية آل عمران: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ ﴾، فقدَّم الفاعل: ﴿وَقَٰتَلُوا۟ ﴾، على المفعول: ﴿وَقُتِلُوا۟ ﴾، وقراءة تقديم الفاعل وتأخير المفعول هي عند جمهور العلماء في الموضعين، وقد تقدَّم في الفقرة رقم (١٨) التفاؤل بتقديم نصوص الوحيين وآثار السَّلف الصالحين.

ونظيره هذه الآية قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾.

قال العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (هذه الآيات صورتها صورة الإخبار عن المؤمنين، بأنهم إذا بلغوا هذا المقدار المعيّن يغلبون ذلك المقدار المعيّن في مقابلته من الكفار، وأن الله يمتن عليهم بما جعل فيهم من الشجاعة الإيمانية، ولكن معناها وحقيقتها الأمر، وأن الله أمر المؤمنين في أول الأمر أن الواحد لا يجوز له أن يفر من العشرة، والعشرة من المائة، والمائة من الألف.

ثُم إنّ الله خفّف ذلك، فصار لا يجوز فرار المسلمين من مثليهم من الكفار، فإن زادوا على مثليهم جاز لهم الفرار.

ولكن يـرد على هذا أمران:

أحدهما: أنها بصورة الخبر، والأصل في الخبر أن يكون على بـابـه، وأن المقصود بذلك الامتنان والإخبار بالواقع.

والثاني: تقييد ذلك العدد أن يكونوا صابرين، بأن يكونوا متدربين على الصبر.

ومفهوم هذا: أنهم إذا لم يكونوا صابرين، فإنه يجوز لهم الفرار، ولو أقل من مثليهم، إذا غلب على ظنهم الضرر، كما تقتضيه الحكمة الإلهية.

ويُـجـاب عن الأول بأن قوله: ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ ﴾، إلى آخرها، دليل على أن هذا أمر لازم، وأمر محتم، ثم إنّ الله خففه إلى ذلك العدد، فهذا ظاهر في أنه أمر، وإن كان في صيغة الخبر.

وقـد يُـقـال: إن في إتيانه بلفظ الخبر، نكتة بديعة لا توجد فيه إذا كان بلفظ الأمر، وهي: تقوية قلوب المؤمنين، والبشارة بأنهم سيغلبون الكافرين.

ويُـجـاب عن الثاني: أن المقصود بتقييد ذلك بالصابرين، أنه حث على الصبر، وأنه ينبغي منكم أن تفعلوا الأسباب الموجبة لذلك، فإذا فعلوها صارت الأسباب الإيمانية،

والأسباب المادية، مُبشِّرة بحصول ما أخبر اللهّ بـه من النصر لهذا العدد القليل). ا.هـ [بتصرف من تفسير العلامة الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد أفادني بها أخي المبارك: أحمد بن حمود الجسار الشمري الحائلي نفع الله بـه].

ونظيره وهذه بديعه: قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾.

قال العلامة الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (افتتاح بديع لأنه من جوامع الكلِم، فإن الفلاح غاية كل ساع إلى عمله، فالإخبار بفلاح المؤمنين دون ذكر متعلق بفعل الفلاح، يقتضي في المقام الخطابي تعميم ما به الفلاح المطلوب، فكأنه قيل: قد أفلح المؤمنون في كل ما رغبوا فيه،..... وأكد هذا الخبر بحرف: قد، الذي إذا دخل على الفعل الماضي أفاد التحقيق أي التوكيد، فحرف: قد، في الجملة الفعلية، يُفيد مفاد: إن واللام في الجملة الاسمية، أي: يُفيد توكيدًا قويا). ا.هـ [من تفسيره التحرير والتنوير].

قلتُ: ومن شأن العرب والقرآن نزل بلغتهم، أنهم يُعبِّرون بالماضي عن المستقبل، تنبيهًاعلى تحقق وقوعه، والآية التي معنا تُفيد الفلاح للمؤمنين إلى قيام الساعة وهذا من التفاؤل العجيب، مهما حصل معهم ما حصل، وهذا من ثمرات الإيمان، فإن كُنت كذلك فاستبشر خيرًا كثيرًاوكبيرًا.

ونظيره أيضًا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾، وسيأتي الكلام عليها مُفصّلًا في الفقرة رقم (٦٠)، فراجعه فإنه هام.

قلتُ: هذه الفقرة تابعة للفقرة السابقة برقم (٤١).

٥٨ - (التفاؤل ببعض طعام الدُّنيا)

جاء في السُنن الكبرى للبيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا كان يوم الفطر لم يخرج حتى يأكل شيئًا، وإذا كان الأضحى لم يأكل شيئًا حتى يرجع، وكان إذا رجع أكل من كبد أضحيته). ا.هـ

قال العلامة المالكي محمد بن عليش رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (تفاؤلًا بأن يكون من أهل الجنة، الذين أول طعامهم زيادة كبد الحوت كما في الصحيح). ا.هـ [**من منح الجليل شرح مختصر خليل**].

٥٩ - (الطب النفسي التفاؤلي)

في قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

والآية التي في النحل: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾.

وقوله أيضًا: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾.

وصحَّ: عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (عليكم بالشفاءين: القرآنِ والعسل). ا.هـ

وعنه أيضًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: (العسل شفاء من كل داء، والقرآن شفاء لما في الصدور). ا.هـ

وعن مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: (﴿شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾، الشفاء في القرآن). ا.هـ

قلتُ: وفيه من النُكت البديعة: إطلاق الشفاء عليها تفاؤلًا.

ومن فروع ذلك كلمة تفاؤلية لطيفة تُقال لمن يشرب الدواء النافع: (شرِبت كأس الشفاء)، أو (أكل حبة الشفاء).

أو يُقال في حق مريض السُكري: (أخذ إبرة الشفاء)، والخير مُوكَّلٌ بالمنطق كما تقدَّم مِرارًا.

٦٠ - (التفاؤل في إجابة الدعاء)

في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (القلوب أوعيةٌ، وبعضها أوعى من بعضٍ، فإذا سألتُم الله ﷻ، أيُّها الناس، فاسألوهُ وأنتُم مُوقِنونَ بالإجابة). ا.هـ [**أخرجه الإمام أحمد في المسند وغيره، وحسّنه المنذري والهيثمي والألباني، وصححه الشيخ أحمد بن شاكر المِصري، رحم الله الجميع**].

تفاؤل عجيب وعظيم وخطير، كيف؟

الجواب: كُل سائل في الدُّنيا لا يعلم ما هو مآل سؤاله؟ هل يُستجاب لهُ ويُقبل أو لا.

إلا في سؤال الكريم ﷻ، لماذا؟ لأنه أخبرنا خبرًا صادقًا لا شك فيه ولا ريب معه أبدًا، وقد سُئل بعض الناس، هل تعرف رجُلًا مُستجاب الدعوة؟ فقال: لا، ولكن أعرف من يَستجيب الدعوة.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.

وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

وفي صحيح ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قالت: (شكا الناس إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قحط المطر، فأمر بالمنبر فوُضع له في المصلى، ووعد الناس يومًا يخرجون فيه، قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: فخرج رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حين بدأ حاجب الشمس، فقعد على المنبر، فحمِد الله وأثنى عليه ثم قال: إنكم شكوتم جدب جنانكم، واحتباس المطر عن إبان زمانه عنكم، وقد أمركم الله أن تدعوه، ووعدكم أن يَستجيب لكم.

ثُم قال: الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، لا إله إلا أنت تفعل ما تريد، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت الغني ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث، واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغًا إلى حين.

ثُم رفع يديه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى رأينا بياض إبطيه، ثُم حوّل إلى الناس ظهره، وقلب أو حوّل رداءه وهو رافع يديه.

ثُم أقبل على الناس ونزل فصلى ركعتين، فأنشأ الله سحابا فرعدت وأبرقت وأمطرت بإذن الله.

فلم يلبث في مسجده حتى سالت السيول، فلما رأى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لثق الثياب على الناس، ضحك حتى بدت نواجذه، وقال: أشهد أن الله على كل شيء قدير، وأني عبد الله ورسوله). ا.هـ

وفي الدعاء للطبراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (والذي نفسي بيده، ما أذن الله عَزَّ وَجَلَّ لعبد في الدعاء، حتى أذن له في الإجابة). ا.هـ

وفي المختارة للضياء رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من أُلهم خمسة لم يحرم خمسة، من أُلهم الدعاء، لم يحرم الاجابة، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.) ا.هـ

ويُروى في الأخبار: (من فُتح له في الدعاء فُتحت له أبواب الإجابة).

وقيل: (ما أعطى أحدٌ الدعاء ومُنع الإجابة).

وقيل: (ما كان الله ليأذن لعبده في الدعاء، ويغلق عنه باب الإجابة).

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: (إنك ما دمت في صلاة تقرع باب الملك، ومن يكثر قرع باب الملك يوشك أن يفتح له). ا.هـ

وقال أبو الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (جدّوا في الدعاء، فإنه من يكثر قرع الباب، يوشك أن يفتح له). ا.هـ

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مَن أُلهِم الدعاءَ فقد أريد به الإجابة). ا.هـ [**من الداء والدواء ص ٣٠**].

وفي قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾.

قال بعض العُلماء رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لم يأمر الله سبحانه عباده بالمسألة إلا ليُعطيهم.

ومن وصايا الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: (لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، ارحمني إن شئت، ارزقني إن شئت، وليعزم مسألته، إنه يفعل ما يشاء لا مكره له).ا.هـ

وتأمل معي هذا الحديث الثابت الرائع: (الحُجاج والعُمّار وفد الله، دعاهم **فأجابوه**، وسألوه **فأعطاهم**).، تشعر وكأن الجواب بالإعطاء مُستلزم للسؤال، وهذا من كرم الرحمن الرحيم، والفاء في الموضعين: للعطف، وتُفيد التعقيب المباشر.

٦١ - (الشيخ ابن سعدي المتفائل)

ذكرت الأخت الكريمة نوره بنت عبد الرحمن بن ناصر السعدي غفر الله لها: عبر حسابها في التواصل الاجتماعي، أن والدها الشيخ السعدي (ت ١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان يُصلِح بيديه ميزاب سطح المسجد، فسأله أحدهم لماذا تصنع هذا يا شيخ؟ فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: غـدًا سنُصلِّي صلاة الاستسقاء.

قلتُ: انظر إلى تفاؤله وحُسن ظنه بربه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والميزاب هو: مصب مياه الأمطار عبر مخرج فتحات التصريف التي تكون في سطوح المباني.

٦٢ - (قاعدة الإسلام على التبشير بالخيرات)

من محاسن الدِّين التفاؤلي ومن قواعد الشريعة الكلية: التبشير بالخيرات والتهنئة بالمسرّات وهو من أخلاق أهـل الطاعات وهـو من التفاؤل المرغوب الحسن، وعلى هذا قاعدة الشرع من الكتاب والسُّنة والآثار عن سَلف الأُمة.

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقال الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

وقال ﷻ: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾.

وقال الكريم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

وقال الرحيم: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾.

وقال الوهاب: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ ﴾.

وقال العزيز: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾.

وجاء عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنـهُ: (بشر خديجة ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب).

وفي الحديث الطويل: (عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه توضأ في بيته ثم خرج، فقال: لألزمن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولأكونن معه يومي هذا، فجاء المسجد فسأل عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالوا: وجه هاهنا، قال: فخرجت على أثره أسأل عنه، حتى دخل بئر أريس فجلست عند الباب حتى قضى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حاجته وتوضأ، فقمت إليه فإذا هو قد جلس على بئر أريس وتوسط قفها وكشف عن ساقه ودلاهما في البئر.

فسلمت عليه ثم انصرفت فجلست عند الباب، فقلت: لأكونن بواب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اليوم.

فجاء أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فدفع الباب فقلت من هذا؟ فقال: أبو بكر، فقلت: على رسلك ثم ذهبت فقلت: يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن، فقال: ائذن له وبشره بالجنة، فأقبلت حتى قلت لأبي بكر ادخل ورسول الله يبشرك بالجنة، فدخل أبو بكر حتى جلس عن يمين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معه في القف ودلى رجليه في البئر، كما صنع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكشف عن ساقيه ثم رجعت وجلست وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني، فقلت: إن يُرد الله بفلان - يريد أخاه - خيرًا يأت به، فإذا إنسان يُحرك الباب فقلت: من هذا؟

فقال: عُمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقلت: على رسلك ثم جئت إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسلمت عليه، وقلت: هذا عُمر يستأذن، فقال: ائذن له وبشره بالجنة،

فجئت عُمر فقلت: أدخل ويبشرك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة، فدخل فجلس مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القف عن يساره ودلى رجليه في البئر، ثم رجعت فجلست فقلت: إن يُرد الله بفلان خيرًا، يعني: أخاه، يأت به، فجاء إنسان فحرك الباب فقلت من هذا؟

فقال: عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقلت: على رسلك وجئت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبرته، فقال: ائذن له وبشره بالجنة مع بلوى تُصيبه، فجئت فقلت: أدخل ويبشرك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة مع بلوى تُصيبك، فدخل فوجد القف قد ملئ، فجلس وجاههم من الشق الآخر) ا.هـ

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطويل وفيه: (قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مُستيقنًا بها قلبه، فبشّره بالجنة).

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (البشارة تكون في أمور الآخرة، وفي أمور الدُّنيا، وينبغي للإنسان أن يكون مُتفائلًا مُستبشرًا بالخير، وألا يَرى الدُّنيا أمامه كالحة مُظلمة فيستحسر ويقنط،..... فإذا رأيتَ أخاك مكروبًا: فقل لهُ أبشر، فالفرج قريب، وإذا رأيته في عُسر: فقل لهُ اليُسر قريب،..... والحاصل أن الإنسان ينبغي له أن يُدخل السرور والبُشرى على إخوانه، حتى يفرحوا وينشطوا ويؤمِّلوا وينتظروا الفرج، نسأل الله أن يجعلنا والمسلمين ممن لهُ البشرى في الحياة الدنيا والآخرة). ا.هـ **[بتصرف يسير من شرحه على رياض الصالحين]**.

وقال ابن أبي شيبة رَحِمَهُ اللَّهُ في مُصنفه: حدثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس: أن أبا موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يقرأ ذات ليلة، ونساءُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستمعنَ، فقيل له، فقال: لو علمتُ لحبّرت تحبيرًا، أو لشوّفتُ تشويفًا.

قلتُ: وسنده صحيح، وفيه من الفقه العجيب: مشروعية إدخال السرور والفرح على قلب المسلم، ولا شك أن سماع القرآن من شخص حسن الصوت والأداء مما يُفرح قلب المؤمن ويُؤنِسُه.

وقد ثبت في الحديث المرفوع: (أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله ﷻ سرور تُدخله على مُسلم)، وهذا ما قصده أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في التفسير: (والغرض أن أبا موسى، قال: لو أعلم أنك تستمع لحبرته لك تحبيرًا، فدلّ على جواز تعاطي ذلك وتكلفه، ودلّ على أن هذا من الأمور الشرعية).ا.هـ

وعند حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين قال: استمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قراءتي من الليل فلما أصبحت، قال: (يا أبا موسى استمعت قراءتك الليلة لقد أُوتيت مزمارًامن مزامير آل داود)، قلتُ: يا رسول الله لو علمت مكانك لحبرت لك تحبيرًا. ا.هـ

قال الإمام ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: (ليس هذا من الرياء، وإنما هو من باب إدخال السرور على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). ا.هـ [**من الفوائد الجلية من دروس الشيخ ابن باز العلمية للزهراني ص ٢٠٨**].

وقال نجم الدين الغزّي رَحِمَهُ اللَّهُ في حُسنُ التنبُّه لما ورد في التشبُّه: (إدخال السرور على قلوب المسلمين من أخلاق الصالحين وآدابهم). ا.هـ

قيل: لمحمد بن المنكدر التابعي رَحِمَهُ اللَّهُ:

أي الدُّنيا أعجب إليك؟

قال: إدخال السرور على المؤمن.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التُحفة: (ولـمّا كانت البشارة تسرُّ العبد وتفرحه، استحب للمسلم أن يبادر إلى مسرَّة أخيه وإعلامه بما يُـفـرحـه،..... فإن فاتته البشارة استحب له تـهـنـئـتـه والفرق بينهما: إن البشارة إعلام له بما يسره، والتهنئة دعاء له بالخير فيه بعد أن علم به، ولهذا لـمّا أنزل الله توبة كعب بن مالك وصاحبيه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ذهب إليه البشير فبشره فلما دخل المسجد جاء الناس فـهـنـؤوه). ا.هـ

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه لمسلم: (فيه دليل لاستحباب التبشير والتهنئة لمن تجددت له نعمة ظاهرة أو اندفعت عنه كربة شديدة ونحو ذلك، وهذا الاستحباب عام في كل نعمة حصلت وكربة انكشفت، سواءٌ كانت من أمور الدِّين أو الدُّنيا). **ا.هـ قال ذلك في قصة توبة كعب بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.**

والتبشير بالخير في كُـل حال، من صفات المؤمنين:

(فـعَـن أم الفضل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: يا رسول الله، رأيتُ كأن في بـيـتي عُـضوًا من أعضائِك، فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خيرًا رأيتِ.....الحديث).ا.هـ **[من سُنن ابن ماجه وجَـوَّد إسناده ابن الملقن في البدر المنير].**

وقال مرةً لأبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (خيرًا رأيت وخيرًا يكون... الحديث).

وقال أبو بكر الصدِّيق لعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: (خيرًا رأيتِ إن صدقت رؤياكِ.... الحديث). ا.هـ **[أخرجه الحاكم وصححه].**

وكان التابعي الجليل سعيد بن المسيّب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا جاءه الرجل وقـصَّ عليه الرُؤيـا، قال لـهُ: خيرًا رأيت.

وفي صحيح مسلم: عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رأيتُ ذات ليلة، فيما يَرى النائم، كـأنـَّا في دار عُقبة بن رافع، فأُتينا برُطب من رُطب ابن طاب، فأوَّلتُ الرِّفعَةَ لَنا في الدُنيا، والعاقبةَ في الآخرة، وأنَّ ديننا قـد طابَ.

قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني(ت٤٣٠هـ)رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرفة الصحابة: (قَالَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الرِّفعَة لَنا، تفاؤُلًا بـرَافـع). ا.هـ

قال ابن سعد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الطبقات الكبرى: أخبرنا قبيصة بن عقبة، حدثنا سُفيان (الثوري)، عن الأعمش، عن خيثمة (ابن عبد الرحمن الجُعفي)، قال: كانت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا إذا سُئلت: كيف أصبحت؟ قالت: صالحة والحمد لله، **وسنده حسن**.

٦٣ - (نحر الحُزن بسيف التفاؤل)

قلتُ: ومن فروع القاعدة السابقة كما قيل: وبضدِّها تتبيَّن الأشياء، إذا تقرر ذلك عندك فاعلم أن الشريعة الربانية جاءت بنفي الحُزن والنهي عنه مُطلقًا، لماذا؟

لكي يعيش المُسلم دومًا في سعادة وهناء واطمئنان في الدُّنيا، قبل سعادة الخلود الأبدي في الآخرة.

وهذه حقيقة شريعة الإسلام السمحة شريعة التفاؤل، فقد جاءت لمصلحة العباد في معاشهم ومعادهم، في عاجل أمرهم وآجله، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

وقال ﷻ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

وقال العظيم: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَابَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾.

وقال الرحيم بعباده: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾.

لذلك سدّت الشريعة ابتداءً جميع وسائل الحُزن وأسبابه المفضية إليه، بل واتخذت التدابير الاحترازية منه قبل وقوعه.

فثبت بالحديث: (وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قُل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إذا كنتم ثلاثة فلا يتناج رجلان دون الآخر، حتى تختلطوا بالناس، فإن ذلك يُحزنه).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الرؤيا الصالحة يبشرها المؤمن هي جزء من تسعة وأربعين جزءًا من النبوة، فمن رأى ذلك فليخبر بها، ومن رأى سوى ذلك، فإنما هو من الشيطان ليحزنه، فلينفث عن يساره ثلاثًا، وليسكت ولا يُخبر بها أحدًا).

وجاءه رجل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **فقال**: (يا رسول الله إني حلمت أن رأسي قُطع وأنا أتبعه، فزجره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: لا تُخبر بتَلعُّب الشيطان بك في المنام).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (التلبينة مجمة لفؤاد المريض، تذهب ببعض الحزن).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحدّ فوق ثلاث، إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا).

وجاء عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أنه قال**: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ما قال عبد قط إذا أصابه هم أو حزن: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سمّيت به نفسك أو أنزلته في

كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في عِلم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حُزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله همه وأبدله مكان حزنه فرحًا)، قالوا: يا رسول الله، ينبغي لنا أن نتعلم هؤلاء الكلمات؟ قال: (أجل، ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المدارج: (منزلة الـحُـزن ليست من المنازل المطلوبة، ولا المأمور بنزولها، وإن كان لا بُـدّ للسالك من نزولها، ولم يأت الحزن في القرآن إلا منهيًا عنه، أو منفيًا، فالمنهي عنه كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، وقوله: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾، وقوله: ﴿لَا تَحْـزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾.

والمنفي كقوله: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

وسِـر ذلك: أن الحزن موقف غير مسير، ولا مصلحة فيه للقلب، وأحب شيء إلى الشيطان أن يحزن العبد ليقطعه عن سيره، ويوقفه عن سلوكه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

فالحزن ليس بمطلوب، ولا مقصود، ولا فيه فائدة، وقد استعاذ منه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن)، فهو قرين الهم، والفرق بينهما أن المكروه الذي يرد على القلب، إن كان لما يستقبل أورثه الهم، وإن كان لما مضى أورثه الحزن، وكلاهما مُضعف للقلب عن السير، مقتر للعزم، .....وأجمع أرباب السلوك على أن حزن الدُّنيا غير محمود). ا.هـ **بتصرف يسير**.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في طريق الهجرتين: (اعلم أن الحزن من عوارض الطريق، وليس من مقامات الإيمان ولا من منازل السائرين، ولهذا لم يأمر الله بـه في موضع قط، ولا أثنى عليه، ولا رتّب عليه جزاءً ولا ثوابًا، بل نهى عنه في غير موضع كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾.

فالحزن هو بلية من البلايا التي نسأل الله دفعها وكشفها، ولهذا يقول أهل الجنة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾، فحمدوه على أن أذهب عنهم تلك البلية ونجاهم منها،.....

وذلك لأن الحزن يُضعف القلب، ويوهن العزم، ويضر الإرادة، ولا شيء أحب إلى الشيطان من حزن المؤمن، فالحزن مرض من أمراض القلب يمنعه من نهوضه وسيره وتشميره، والثواب عليه ثواب المصائب التي يُبتلى العبد بها بغير اختياره، كالمرض والألم ونحوهما،.....

بل الذي ينفعه أن يستقبل السير ويجد ويشمر ويبذل جهده). ا.هـ **بتصرف يسير**.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في الفوائد**: (في قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري، لـمّا كان الصدر أوسع من القلب كان النور الحاصل له يَسري منه إلى القلب، لأنه قد حصل لما هو أوسع منه، ولما كانت حياة البدن والجوارح كلها بحياة القلب، تسري الحياة منه إلى الصدر، ثم إلى الجوارح، سأل الحياة له بالربيع الذي هو مادتها.

ولـمّا كان الحزن والهم والغم، يُضاد حياة القلب واستنارته، سأل أن يكون ذهابها بالقرآن، فإنها أحرى أن لا تعود). ا.هـ **بتصرف يسير**.

وقال أبو العباس ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأما الحزن فلم يأمر الله به ولا رسوله، بل قد نهى عنه في مواضع، وإن تعلَّق بأمر الدِّين، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾.

وذلك لأنه لا يجلب منفعة، ولا يدفع مضرة، فلا فائدة فيه، وما لا فائدة فيه لا يأمر الله به، نعم لا يأثم صاحبه إذا لم يقترن بحُزنه مُحرَّم، كما يحزن على المصائب، كما قال

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إن الله لا يؤاخذ على دمع العين، ولا على حُزن القلب، ولكن يؤاخذ على هذا أو يرحم)، وأشار بيده إلى لسانه. وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يُرضي الرب)). ا.هـ [**بتصرف من التحفة العراقية**].

وقال العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره: (الحزن قد يعرض لخواص عباد الله الصديقين، مع أن الأولى إذا نزل بالعبد أن يَسعى في ذهابه عنه، فإنه مُضعف للقلب، موهن للعزيمة). ا.هـ

٦٤ - (من التفاؤل تبشير الموتى!!!)

عودًا على بدءٍ: ومن فروع القاعدة السابقة، بعد هذه الجملة المعترضة النافعة نقول: إن الأمر بالتبشير تعدّى مرحلة الدُّنيا إلى مرحلة الآخرة.

فإدخال السرور والسعادة على قلوب من تحبهم ويُحبونك وهم أموات في قبورهم من السُّنة، وذلك لأن أعمال الأحياء تُعرض على الأموات في البرزخ، وقد جاءت الأحاديث الصحيحة والآثار الثابتة الكثيرة بذلك، فمنها:

في مُسند الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إن أعمالكم تُعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات، فإن كان خيرًا استبشروا بـه، وإن كان غير ذلك، قالوا: اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا). ا.هـ

وقال النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (ألا إنه لم يبق من الدُّنيا إلا مثل الذباب تمور في جوها، فالله الله في إخوانكم من أهل القبور، فإن أعمالكم تُعرض عليهم). ا.هـ [**من مُستدرك الحاكم رَحِمَهُ اللَّهُ وصححه**].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (إن أعمالكم تُعرض على أقربائكم من موتاكم، فإن

رأوا خيرًا فرحوا به، وإن رأوا شرًا كرهوه، وإنهم يستخبرون الميت إذا أتاهم من مات بعدهم، حتى إن الرجل يسأل عن امرأته أتزوجت أم لا؟ وحتى إن الرجل يسأل عن الرجل.

فإذا قيل: قد مات، قال: هيهات، ذهب ذاك، فإن لم يحسوه عندهم، قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب به إلى أمه الهاوية، فبئس المربية). ا.هـ

وأيضًا عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(لا تفضحوا موتاكم بسيئات أعمالكم، فإنها تُعرض على أوليائكم من أهل القبور)..

وقال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ألا إن أعمالكم تُعرض على عشائركم، فمُساؤون ومُسرُّون، فأعوذ بالله أن أعمل عملًا يُخزى به عبد الله بن رواحة).، وهو أخوه من أُمه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي لفظ أنه كان يقول: (اللهم إني أعوذ بك أن تَعرض على أخي عبد الله بن رواحة من عملي ما يُستحى منه)..

وجاء عن بعض أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: (لأنا من أمواتي أشدُ حياءً مني من أحيائي، يقول: إن عملي يُعرض على الأموات)..

وكان أبو أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: (اللهم لا تفضحني عند عُبادة بن الصامت، ولا عند سعد بن عبادة، فيما عملتُ بعدهما). رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وعن عَدي بن الخيار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه لـمّا احتضر قال: (يا بني أذكرك الله ألّا تعمل بعدي عملًا يُمعر وجهي، فإن عمل الأبناء يُعرض على الآباء)..

وعن مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ قال: (إنه ليُبشَّر المؤمن بصلاح ولده من بعدِه لِتقرَّ عينُه)..

قلتُ: وبعض هذه الآثار لا تخلو من مقال بلا شك.

وقال أبو العباس ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقد استفاضت الأخبار بمعرفة الميت بحال أهله وأصحابه في الدُّنيا، وأن ذلك يُعرض عليه، وأنه يرى ويدري بما يُفعل عنده، ويُسرّ بما كان حسنًا، ويتألم بما كان قبيحًا، ورُوي أن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا بعد أن دُفن عُمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، كانت تستتر، وتقول: كان أبي وزوجي، فأما عُمر فأجنبي، تعني: أنه يراها، ورُوي أن الموتى يَسألون الميت عن حال أهليهم فيعرفهم أحوالهم، وأنه ولد لفلان ولد، وتزوجت فلانه، ومات فلان فما جاء فيقولون: راح إلى أمه الهاوية). ا.هـ **[من مختصر الفتاوى المصرية]**.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التفسير: (وقد ورد أن أعمال الأحياء تُعرَض على الأموات من الأقرباء والعشائر في البرزخ). ا.هـ

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الروح: (والسَّلف مُجمعون على هذا وقد تواترت الآثار عنهم، بأن الميت يعرف زيارة الحي له ويَستبشر به،.....

وأبلغ من ذلك أن الميت يَعلم بعَمل الحي من أقاربه وإخوانه، قال عبد الله بن المبارك، حدثني ثور بن يزيد، عن إبراهيم، عن أبي أيوب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: تُعرض أعمال الأحياء على الموتى، فإذا رأوا حسنًا فرحوا واستبشروا، وإن رأوا سوءًا، قالوا: اللهم راجع به،.....والميت يستأنس بالحاضرين عند قبره ويُسرُّ بهم،.....

وصحَّ عن عَمرو بن دينار رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: ما من ميت يموت إلا وهو يعلم ما يكون في أهله بعده، وأنهم ليغسِّلونه ويكفنونه، وإنه لينظر إليهم، وصح عن مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: إن الرجل ليُبشر في قبره بصلاح ولده من بعده). **ا.هـ بتصرف يسير**.

قلتُ: ماتت زوجة المؤرخ أحمد بن علي المقريزي وهي شابة، فترجم لها في كتابه: (درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة)، فقال: كنتُ أُكثر الاستغفار لها بعد

موتها، فأُريتُها في المنام، وقد دخلت عليّ بهيئتها التي كفنتها بها.

فقلتُ لها: يا أم محمد الذي أرسِله إليكِ يصل؟

أعني: من الاستغفار.

فقالت: نعم يا سيدي، في كل يوم تصل هديتك إليّ، ثُم بكت وقالت: قد علمتَ أنّي عاجزة عن مكافأتك، رحم الله الجميع.

قلتُ: فـخُـذ هذه الفوائد التي لا تجدها مجتمعة في كتاب، ولا تخطر على بال ذوي الألباب، والحمد لله ربِّ الأرباب.

٦٥ - (من التفاؤل والحسنات تبشير المخلوقات)

قلتُ: ومن فروع هذه القاعدة السابقة أيضًا: ودعوني أذهب بكم إلى أبعد من ذلك، وأرجو منكُم يـا إخواني أن لا تستطيلوا هذه الفوائد البديعة فإن الحديث يـجُـرّ بعضه بعضًا.

في قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: (أي لم تكن لهم أعمال صالحة تصعد في أبواب السماء فتبكي على فقدهم، ولا لهم في الأرض بقاع عبدوا الله فيها فقدتهم.....

وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: إنـه ليس أحـد من الخلائق إلا وله باب في السماء منه ينزل رزقه، وفيه يصعد عمله، فإذا مات المؤمن فأغلق بابه من السماء الذي كان يصعد فيه عمله وينزل منه رزقه بكى عليه، وإذا فقد مُصلّاه من الأرض التي كان يُصلِّي فيها ويذكر الله فيها بكَت عليه،.....

وقال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما مات مؤمن إلا بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحا، قال الراوي: فقلت لهُ: أتبكي الأرض؟ فقال: أتعجب؟ وما للأرض لا تبكي على عبدٍ كان يعمُرها بالركوع والسجود، وما للسماء لا تبكي على عبدٍ كان لتكبيره وتسبيحه فيها دوي كدوي النحل). ا.هـ

وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: (أي تُحدِّث بما عَمِل العاملون على ظهرها،.... وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قرأ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الآية وقال: أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإن أخبارها أن تشهد على كُلِّ عبد وأمة بما عَمِل على ظهرها، أن تقول: عمِل كذا وكذا يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها). ا.هـ

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الوابل الصيِّب: (إن في دوام الذِكر في الطريق، والبيت، والحضر، والسفر، والبقاع، تكثيرَ الشهود للعبد يوم القيامة، فإن البقعة، والدار، والجبل، والأرض، تشهد للذاكر يوم القيامة.....، والذاكر لله ﷻ في سائر البقاع يَكثُرُ شهوده، ولعلهم أو أكثرهم أن يقبلوا يوم قيام الأشهاد، وأداء الشهادات، فيفرح ويغتبط بشهادتهم). ا.هـ

وفي مصنَّف الإمام الفحل ابن أبي شيبة الكوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: حدثنا أبو الأحوص، عن أبي إسحاق، عن عاصم بن ضَمرة قال: قال عليّ: أيُّما رجلٍ خرج إلى أرضٍ قِيٍّ، فحضرت الصلاة، فليتخيّر أطيب البقاع وأنظفها، فإن كل بقعة تُحب أن يُذكر الله فيها، فإن شاء أذن وأقام، وإن شاء أقام إقامة واحدة وصلى.

قلتُ: وسنده كوفي صحيح موقوف، ولهُ حكم الرفع.

لأن قوله: (فإن كل بقعة تُحب أن يُذكر الله فيها)، ممّا لا يُعرف إلا بوحي، شيخ

المؤلف: سلَّام بن سُليم الحنفي، أبو إسحاق عَمرو بن عبد الله السَّبيعي، علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفيه قال رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثنا معتمر بن سليمان، عن أبيه، عن أبي عثمان، عن سلمان قال: لا يكونُ رجلٌ بأرضٍ قِيٍّ فيتوضأُ، فإن لم يجد ماء تيمم، ثم يُنادي بالصلاة، ثم يُقيمها: إلا أمَّ من جنود الله ما لا يُرى طرفاه.

قلتُ: وسنده صحيح موقوف، ولهُ حكم الرفع، مُعتمر بن سُليمان بن طَرخان التيمي، أبو عثمان عبد الرحمن بن مَلّ النَّهديُّ، سَلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ في النهاية: القِيُّ - بالكسر والتشديد - هي الأرض القَفر الخالية.

وفيه أيضًا قال رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثنا ابن عُلّية، عن أبي هارون الغَنَوي قال: حدثنا أبو عثمان قال: قال سَلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما كان رجل في أرض قِيٍّ فأذّن وأقام، إلا صلى خلفه من خلق الله ما لا يُرى طرفاه.

قلتُ: وسنده صحيح موقوف، أبو هارون إبراهيم بن العلاء الغَنوي البصري الثقة، وهذا وإن كان موقوفًاروايةً فهو في حكم المرفوع درايةً كما لا يَخفى.

وجاء في مصنَّف عبد الرزاق رَحِمَهُ اللَّهُ: عن مَعمر، عن منصور، عن رجل، عن عبد الله بن عَمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: إذا كان الرجل بخلاءٍ من الأرض، فأذن، وأقام، وصَلَّى، صَلَّى معه أربعة آلاف مَلك، أو أربعة آلاف من الملائكة، وسنده ضعيف.

وفيه: عن مَعمر (ابن راشد)، عن ابن طاوس (عبد الله بن طاوس بن كَيسان)، عن أبيه، قال: إذا صَلَّى الرجُل فأقام، صَلَّى معه ملَكاهُ، وإذا أذن وأقام، صَلَّى معهُ من الملائكة كثيرٌ، وسنده مُرسل صحيح.

وفيه أيضًا: عن ابن جُريج، عن مكحول قال: إذا أقام الرجل لنفسِه، صَلَّى معهُ ملكاهُ، وإذا أذن وأقام، صَلَّى معهُ من الملائكة ما شهِد الأرضَ، وسنده ضعيف.

وفيه أيضًا: عن ابن عُيينة، عن يحيى بن سعيد (الأنصاري)، عن سعيد بن المسيّب، قال: من صَلَّى بأرض فلاةٍ فأقام، صَلَّى عن يمينه مَلكٌ، وعن يَساره مَلكٌ، ومن أذن وأقام، صَلَّى معهُ من الملائكة أمثالُ الجبال، وسنده مُرسل صحيح، ومراسيل سَعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أصح المراسيل وهي مقبولة عند العُلماء.

وقال ابن أبي شيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا: حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن مجاهد قال: المؤذِّنُ يشهد له كلُّ شيء رطبٍ ويابسٍ سمعه.

قلتُ: وسنده صحيح، وكيع بن الجراح، سُليمان بن مِهران الأعمش، مجاهد بن جبر التابعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وفي مُسند الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: (إن المؤذن يُغفَر لهُ مَدى صوتِه، ويُصدِّقُه كُل رطب ويابس سمعه، والشاهد عليه خمسة وعشرين درجة). ا.هـ [**وصحّحه أحمد بن شاكر المِصري**].

وفيه أيضًا: عن عبد الله بن عُمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يُغفَر للمؤذن مُنتَهى أذانه، ويَستغفر له كل رطب ويابس سمعه). ا.هـ [**وصحّحه الحافظ المنذري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ].

وفي صحيح البخاري مرفوعًا: (لا يسمع مَدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء، إلا شهد له يوم القيامة)..

وقد صحَّ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: (واذكر الله تعالى عند كُل حجر وكُل شجر)..

وكُل هذه الأحاديث والآثار ونحوها من نصوص الوحيين، فيها فائدة دقيقة جدًاوهي:

أن هذه الجمادات تنتفع بالطاعات من ذِكر الله وغيره، كما تقدم نحوه الأثر عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وتتضرّر بالمعاصي والسيئات، وما كَثرت الزلازل في زماننا هذا إلا من شؤم الذنوب والآثام والخطايا.

فهنيئًا لمن أسعد الأرض التي يمشي عليها، وأفرحها بطاعاته، وجعل لهُ في كل شِبر فيها حسنة، وإن مات بكَت عليه وعلى ما كان يصنع من الخيرات والصالحات.

ومن الفوائد أيضًا: تأثر الجمادات بالتوحيد ومُتعلّقاته من أعمال البِرّ.

وفيه: تأثير المعنويات على الحسّيات.

وفيه: فضيلة ذِكر الله وفضل أهل الطاعة والعبادة والصلاح، بل الأمر أعظم من ذلك.

وقد تستغرب إذا قلتُ لك إنَّ الجمادات والحيوانات والنباتات وحتى الجن، وجميع المخلوقات التي تعرفها والتي لم تسمع بها من قبل، تتأثر وتنتفع بطاعات بني آدم، وتتضرّر بمعاصيه وذنوبه، ولي في ذلك بحث مُنفصل مُمتع وشيِّق وجميل وجليل.

وقال ابن أبي شيبة رَحِمَهُ اللَّهُ في المصنَّف: حدثنا وكيع، قال: حدثنا أبو العَنبَس سعيد بن كثير، عن أبيه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (ارفع صوتك بالأذان، فإنه يَشهد لك كلُّ شيء سمعك)..

قلتُ: وسنده كوفي حسن موقوف، وله حكم الرفع، سَعيد بن كثير بن عُبيد القُرشي التيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقال التابعي الكبير كعب الأحبار رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إذا كبَّر الحاج والمعتمر والغازي: كبَّر الرَّبو الذي يليه، ثُم الذي يليه، ثُم الذي يليه، حتى ينقطع في الأُفق). ا.هـ [**رواه ابن أبي شيبة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في المصنف برقم (١٢٧٩٢)، وسنده مقطوع صحيح**].

وفي سُنن العلامة سَعيد بن منصور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن عون بن عبد الله، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: إن الجبل ليُنادي الجبل باسمه: يا فلان، هل مَرَّ بِك أحد اليوم ذاكرًا الله عَزَّ وَجَلَّ؟ فإذا قال: نعم، استبشر.

قال عون رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أفيَسمعنَ الزُّور إذا قيل، ولا يَسمعنَ الخَير؟! هُم للخير أسمع، وقرأ: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدّٗا ٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا﴾.

فإذا قال قائل: ما وجه الشاهد من هذه الآيات والأحاديث والآثار في موضوع التفاؤل؟!

فالجواب هو: أنك تتفاءل وتستبشر خيرًا، بأن هذه المخلوقات الحيّة المتنوعة ستشهد لك يوم القيامة بالخيرات والصالحات التي عمِلتها في الدُّنيا، فأكثِر فإن الله أكثر وأكبر وأجمل.

٦٦- (التفاؤل بفعل الطاعات)

قال الله تعالى: ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

هذا وعدٌ من الله سبحانه أن كل مُحسن فهو في زيادة شاملة مُستمرة في كل شيءٍ، مادام على إحسانه وعطائه وبذله، في أي صورة من صور الإحسان بنوعيه الحسي والمعنوي، وهو في رُتبة علِّية عند الخالق والمخلوق، والجزاء من جنس العمل، والتفاؤل الحاصل هو في يقين العبد بأن هذا الوعد محقق وواقع لا محالة، إذا أحسن بفعل الخيرات هذا من وجه.

ومن وجهٍ آخر: رحمة الله بالعبد وتوفيقه له أن جعله يتفاءل أيضًابفعل الحسنات والطاعات، فكُلما فعل الخير تاقت نفسه لخير مثله، وجرَّته روحه لخير آخر، وهكذا إلى أن يُلاقي ربه، ومثلها كمثل حلقات في سلسلة، حلقة بعدها حلقة إلى ما شاء الله أن تكون طولًا وعرضًا، ووجه التفاؤل أيضًا هو في يقين العبد أن هذا العمل الخيري سيولِّد خيرًا غيره، ويُنجب خيرًا آخر، ويكون سببًافي طاعة مماثلة، وأنّ هذا العمل الخيري سيكون سببًا لثناء المخلوقات عليه، والدعاء لهُ، والثبات على الخير.

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن جعفر (ابن سُليمان الضُبعي) قال: سمعتُ مالك بن دينار (التابعي) يقول: (إنَّ صُدور المؤمنين تَغلي بأعمال البرِّ، وإنَّ صُدور الفُجّار تَغلي بأعمال الفجُور، واللهُ تعالى يَرى همُومكُم رحمكم الله).ا.هـ [**أخرجه الإمام أحمد في كتاب الزهد بسندٍ بصري صحيح**].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الداء والدواء: (ولايزال العبد يُعاني الطاعة، ويألفها، ويحبّها، ويؤثرها، حتى يُرسل الله سبحانه برحمته عليه الملائكة تؤزُّه إليها أزًّا، وتحرّضه عليها، وتزعجه عن فراشه ومجلسه إليها، ولايزال يألف المعاصي، ويحبّها، ويؤثرها، حتي يُرسل الله عليه الشياطين فتؤزُّه إليها أزًّا، فالأول قوّى جندَ الطاعة بالمدد، فصاروا من أكبر أعوانه، وهذا قوّى جندَ المعصية بالمدد، فكانوا أعوانًا عليه،.....، وقال بعض السلف: إنّ من عقوبة السيئةِ السيئةَ بعدها، وإنّ من ثواب الحسنةِ الحسنةَ بعدها، فالعبد إذا عمل حسنة قالت أُخرى إلى جانبها: اعملني أيضًا، فإذا عملها قالت الثانية كذلك، وهلم جرًّا، فتضاعف الربح، وتزايدت الحسنات، وكذلك جانب السيئات أيضًا، حتي تصير الطاعات والمعاصي هيئات راسخة وصفات لازمة وملكات ثابتة، فلو عطّل المحسن الطاعة لضاقت عليه نفسه، وضاقت عليه الأرض بما رحبت، وأحسّ من نفسه بأنه كالحوت إذا فارق الماء، حتي يعاودها، فتسكن نفسه، وتـقـرَّ عينه). ا.هـ

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الاستقامة: (فإن من عقوبة السيئةِ السيئةَ بعدها، ومن ثواب الحسنةِ الحسنةَ بعدها، والحسنات والسيئات قد تتلازم ويدعو بعضها إلى بعض، كما في الصحيح: عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صدّيقا، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، ولا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب، حتى يُكتب عند الله كذّابا، فالصدق مفتاح كل خير، كما أن الكذب مفتاح كل شر، ولهذا يقولون عن بعض المشايخ: إنه قال لبعض من استتابه من أصحابه، أنا لا أوصيك إلا بالصدق، فتأملوا فوجدوا الصدق يدعوهُ إلى كل خير). ا.هـ

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفتاوى: (إن فعل الحسنات موجب للحسنات أيضًا، فإن الإيمان يقتضي الأعمال الصالحة، والعمل الصالح يدعو إلى نظيره وغير نظيره، كما قيل:

إن من ثواب الحسنةِ الحسنةَ بعدها، وأما عدم السيئة فلا يقتضي عدم سيئة، إلا إذا كان امتناعًا، فيكون من باب الحسنات كما تقدم، وما اقتضى فرعًا أفضل مما لا يقتضي فرعًا له). ا.هـ

قلتُ: بل الأمر أكبر من ذلك، فإن الملائكة عليهم السلام يُصلُّون على فاعل الخيرات، الطائع لله، الممتثل لأمره، المتبع سُنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فمن ثمرة الطاعات وفوائدها العديدة، أن يُصلِّي عليك بعض المخلوقات ويُثنون عليك، ويستغفرون لك، ويكونون شهداء لك يوم القيامة، فحينئذٍ تتفاءل ويحسُن ظنك بربك الكريم، وتُكثر من الأعمال الصالحة المصلحة للعباد والبلاد.**

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾.

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إن الله وملائكته يُصلّون على الصف الأول)..

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إن الله وملائكته يُصلّون على ميامن الصفوف)..

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (طهروا هذه الأجساد طهركم الله، فإنه ليس من عبد يَبيت طاهرًا، إلا بات معه في شعاره ملك، لا ينقلب ساعة من الليل، إلا قال: اللهم اغفر لعبدك، فإنه بات طاهرًا)..

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ما من يوم يُصبح العباد فيه، إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط مُنفقًا خلفا، ويقول الآخر: اللهم أعط مُمسكًا تلفا)..

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أحدكم ما قعد ينتظر الصلاة في صلاة، ما لم يُحدث، تدعو له الملائكة: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه)..

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب، إلّا قال الملك: ولك بمثل)..

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إن الله تعالى وملائكته يُصلّون على المتسحرين)..

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين، حتى النملة في جُحرها، وحتى الحوتَ، لَيُصَلُّونَ على مُعلِّم الناسِ الخيرَ)..

وقال الصحابي عبد الله بن عَمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (مَن صلَّى على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاةً، صلَّى الله عليه وملائكتُهُ سبعين صلاةً، فلْيُقِلَّ عَبدٌ مِن ذلك أو لِيُكثِر). ا.هـ [**رواه الإمام أحمد في المسند، وحسَّن إسناده المنذري والهيثمي وأحمد بن شاكر المصري رحم الله الجميع**].

قلتُ: فكُل هذه عبادات يقوم بها العبد، يترتب عليها هذه الفضائل الكثيرة، والمنح العديدة، فهل بعد ذلك يتأخر فاعل الخيرات!؟ أو يُسوِّف أو يُماطل أو يَنسى أو يغفل أو يسهو!؟

٦٧- (الوصية من التفاؤل)

من الأمور النبوية الجميلة الوصايا النافعة المُفيدة، فهي من التُحف الفريدة والدُّرر العتيقة.

وعليه أقول: هل تعلم لماذا قال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو عِلم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو لهُ). ا.هـ

الجواب: من المعاني اللطيفة، والتي ينبغي أن لا يغفل عنها المُسلم، وهي: التفاؤل باستمرار الحسنات لك بعد موتك، فبدأ بالصدقة الجارية، والتي لا تتوقف في جميع أعمال البرّ، ثُم العِلم النافع وهو لا يتوقف أيضًا، ثُم الولد الذي تعِبت في تربيته على الصلاح والإصلاح، فهو دائمًايدعوا لك بالخير ولا ينساك.

والملاحظ: أن كُل هذه الأعمال مُتعدِّية النفع للغير، فهذا فيه إرشاد من نبي الرحمة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى مزيد عناية بمثل هـذه الأعمال ونظائرها المُستمرة الأجر والثواب بعد الموت، والله أعلم.

فهل رأيت تفاؤلًا أفضل من هذا؟!

ومن الوصايا التي أرجو نفعها في هذا البحث المبارك النافع:

أ حاول دائمًا أن تُـخـمِّـن وتتوقع الأفضل والأحسن والأكمل والأجمل في كُل شيءٍ، وأنت بذلك في عبادة جليلة وهي: حُسن الظن بالله الكريم الرحيم الرؤوف بعباده، وأيضًاهذا الأمر ينسحب للمخلوق، فحُسن ظنك بالناس يفتح لك من أبواب الخير ما لا حصر لهُ.

ب نظرة المتفائل وتفكيره وسكناته وحركاته مُختلفة تمامًا: المتفائل يَـرى الجانب الجميل في الشيء، والمتشائم يَـرى الجانب السيء في الشيء، فمثلًا: عندك بيت أو دابة أو أي شيء، فالمتفائل لـمَّا نظر إليه قال: البيت جميل، والدابة جميلة، لـمَّا كان الغالب عليهما الجمال، لأن الكمال في أي شيء مُتعذّر، أما المتشائم فيقول: الفتحة هذه بالبيت تحتاج تصليح، وهذا الكسر الذي بقدر عين الذُبابة يحتاج تغيير، والجانب هذا من الدابة يحتاج إصلاح، فنظر للسلبيات الدقيقة جـدًا، وغفل عن الإيجابيات التي تفوقها بأضعاف كثيرة، لا يفرك مؤمن شيئًا.

وكذلك الأمر بالنسبة للتفكير، فتفكير المتفائل كله في الحلول والمنافع والخيرات

وما هو صالح، أما تفكير المتشائم فكله في العراقيل والعوائق والموانع والمصائب، فلا تجالس المتشائم أبـدًا ولا المخذِّل، وإن جاءك فاهرب منه، لا يُورِد مُمرِضٌ على مُصِحٍّ، والطباع سراقة.

أنـا لا أقـول أكذب على نفسك!! أو حاول أن تتغافل عن العيوب!! لا، لا أقصد هـذا أبـدًا، ولا يخفى على أحـدٍ من العقلاء أنـهُ لا يوجد شيء في الدُّنيا إلا وفيه: جانب مُشرق، وآخـر مُظلم، فيه: مصالح، ومفاسد، فيه: صواب، وخطأ، وهكذا.

ولكني أُريد من الناس أن ينظروا للجانب الإيجابي، يُـغـلِّـبُـوا الجانب الصواب، جانب المصلحة، إذا فعلوا ذلك: قطعًا انعكس هذا الأمـر النفسي عليهم حتمًا، وحاولوا إصلاح الجانب الآخـر، ولا يحملهم على ذلك إلا التفاؤل الصادق.

جـ بعض الناس آيـة في التفاؤل وبعضهم آيـة في الشؤم، فاصحب الأول، وإياك أن يسحبك الثاني، فالمرء على دين خليله، وأيضًابعض الناس بيت من التفاؤل ولا أقول بابًامن أبواب الخير، لِعظم نفعه وبركته، وبعضهم ما يصلح أن يكون بابًا ولا حتى نافذة ولا حتى جحر من الخير، فهذا أعدى عليك من الجرب!!!

د التفاؤل ينفع ولا يضر ولا تخسر شيئًا معه أبـدًا، المتفائل غني والمتشائم فقير، قال بعض العُقلاء: افعل الخيرَ وليقع حيث يقع، فإن وقع في أهله فهُم أهله، وإن وقع في غير أهله فأنتَ أهله.

س كُن إيجابيًا في كل شيءٍ واحذر أن تكون سلبيًاسواءٌ في التفكير أو طرق مُعالجتك للأمور أو غير ذلك من الهواجس الشيطانية، كُن فاعلًا مؤثرًا، فإن للحزن يوم، وللفرح أيام، واعلم أن التفاؤل مركب يقودك للسعادة فقط، فلا خاب أبـدًا من جعله مطيته.

ص قيل: إن المتفائل يَرى في كل عَقبة فُرصة، والمتشائم يَرى في كل فُرصة عَقبة،

ونظيره من يَرى كأس الماء إذا لم يكُن مُمتلئ ماءً، فالمتفائل يقول نصفه ماء، والمتشائم يقول نصفه فارغ، وكلاهما مُحق ولكن التعبير التفاؤلي مطلوب شرعًا، ومحبوب نفسًا.

ف التفاؤل: من جنود الرحمن، والتشاؤم: من جنود الشيطان، والأرواح جنود مُجندة فافهم، وعليه ينبغي للمؤمن المتفائل أن لا تكون كلمة: (مُستحيل) موجودة في قاموس حياته.

ق **(تفاءلوا بالخير تجدوه)**، من كلام الناس وهي: مقولة جميلة ومعناها صحيح في الغالب، لأنه كما تقدَّم تقريره: أن الخير مُوكَّلٌ بالمنطق، وليست هذه العبارة بحديث مرفوع، ولا بأثر عن صحابي، ولا بخبرٍ عن تابعي، ولا أعرف أنها مأثورة عن أهل العِلم والفضل، فهي من بدع هذا الزمان، ونعمت البدعة هي!!!

م **(التفاؤل بالعِلم النافع)**، من المعلوم الذي لا ريب فيه، أن أساس كُل شيء لا بُد أن يكون على عِلم، وهذا في أمر الدِّين أو الدُّنيا.

فبعد هذه الرحلة الشيقة والممتعة في باب التفاؤل، لا بُد لنا في نهاية هذا الطواف السعيد حول أبواب التفاؤل المتنوعة، أن نقول:

الذي دلَّنا على هذا كُله هو العِلم، وأنفع العلوم على الإطلاق هو: العِلم الديني الإلهي السماوي.

فنصوص الوحيين هي التي أرشدت إلى هذا الفأل الصالح في أمور الدِّين والدُّنيا، إذا علِم العبد ذلك تفاءل بماذا؟!

بالعِلم النافع المرشد لكُل خير لهُ في الدارين، تفاءل واستبشر وفرِح بذلك، وكُلّما ازداد عِلمًابهذا، ازداد فرحُه بذاك، وهذه قاعدة مُطّردة، فاللهم زِدنا عِلما وعملًا - آمين-.

ن دعونا من الآن ننسى الماضي، ونفتح صفحة جديدة في التأريخ المُشرق، فالحسنات تذهب بالسيئات.

ومن الأفضل لنا أن نكون متفائلين، وألاَّ ندع التشاؤم يتغلَّب علينا، مهما اكفهرَّ الجو علينا، وتأزَّمت الأمور، وتألَّب الأعداء، وتكالبوا.

دعونا من هذا كُله، ولنتذكر دائمًا إنَّ مع العسر يُسرَين، وإنَّ الفرج مع الشدة، وإن النّصر قادم بلا ريب، ومع ذلك هذا لا يعني الكسل وترك الأخذ بالأسباب الحسيّة والمعنوية، فكُن كما يُريد الله أن تكون، لا كما يُريد اليهود والنصارى والمجوس وأذنابهم من شتى الطوائف الضالة المضلة الشهوانية البهيمية أن تكون.

قلتُ: وفي هذه الخاتمة المباركة النافعة التفاؤلية، أُوصي إخواني من الإنس والجن جميعًا بتقوى الله ﷻ، فهي رأس التفاؤل وأُسُّه، والحمد لله ربِّ العالمين.

﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾.

فهرس الموضوعات

المقدمة ٥
١ - (الألفاظ التفاؤلية في الكتاب والسُّنة والأخبار المتنوعة) ١٠
٢ - (فضل التفاؤل وثمرته) ١٦
٣ - (علاقة التفاؤل بحُسن الاسم والوصف) ١٧
٤ - (ضابط التفاؤل وأنـه سببٌ كسائر الأسباب) ٢٢
٥ - (علاقة جمال الصورة الظاهرة بالتفاؤل) ٢٧
٦ - (الغيب التفاؤلي) ٣٠
٧ - (علاقة اللون الأبيض بالتفاؤل) ٣٢
٨ - (التفاؤل في شِعارات الحروب) ٣٣
٩ - (التفاؤل في الخبر الذي بمعنى الدعاء والرجاء) ٣٥
١٠ - (التفاؤل في كلام العرب) ٣٩
١١ - (التفاؤل في مُخالفة الطريق) ٤٣
١٢ - (التفاؤل في الاسم الحسن) ٤٤
١٣ - (الانتقال والتحول للأفضل من أصول التفاؤل) ٤٦
١٤ - (الطفل والتفاؤل) ٥١
١٥ - (التفاؤل بشفاء المريض) ٥٢
١٦ - (الكلمة الطيبة من التفاؤل) ٥٣

١٧ – (من التفاؤل اختيار الزوجة الصالحة)..... ٥٤
١٨ – (التفاؤل بتقديم كُل ما قدمه الكتاب والسُّنة)..... ٥٥
١٩ – (من التفاؤل تقديم الثناء على الله قبل الدعاء)..... ٦٤
٢٠ – (علاقة صِفة السلام بالتفاؤل)..... ٦٧
٢١ – (التيمُّن من التفاؤل)..... ٦٩
٢٢ – (بدع التفاؤل)..... ٧٠
٢٣ – (كلمة التفاؤل من الأضداد)..... ٧٢
٢٤ – (أمور تُضاد التفاؤل)..... ٧٤
٢٥ – (قلب الرداء في الاستسقاء من التفاؤل)..... ٧٦
٢٦ – (عنوان الكتاب التفاؤلي)..... ٧٧
٢٧ – (تكنية الأطفال من التفاؤل)..... ٧٧
٢٨ – (من التفاؤل كلمات تُقال على غير ظاهرها المتبادر منها)..... ٧٨
٢٩ – (من التفاؤل المعنوي الخفي)..... ٧٩
٣٠ – (من صور التفاؤل في باب الجهاد في سبيل الله)..... ٨٥
٣١ – (التعبير بالماضي في الدعاء وإرادة المستقبل من التفاؤل الدقيق والعجيب)..... ٨٧
٣٢ – (من التفاؤل اختيار الخاتمة الحسنة للكتاب)..... ٩٢
٣٣– (الدعاء بطول العُمر من الفأل الصالح)..... ٩٤
٣٤ – (التفاؤل وآداب الجنازة)..... ٩٦
٣٥ – (يدُ الله على الجماعة)..... ٩٧

٣٦ – (قلب الكلمة المكروهة إلى كلمة حسنة من التفاؤل) ١٠٠
٣٧ – (الرُقى التفاؤلية)..... ١٠١
٣٨ – (آداب الجلوس التفاؤلية) ١٠٢
٣٩ – (متنوعات تفاؤلية) ١٠٤
٤٠ – (من التفاؤل قلب الأقدار المؤلمة لصالحك)..... ١١٠
٤١ – (آيـة تفاؤلية) ١١٩
٤٢ – (جمال اللغة العربية التفاؤلية)..... ١٢٥
٤٣ – (الـنـيـة التفاؤلية) ١٢٦
٤٤ – (من الإيمان أن تعتقد أن قدر الله للمُسلم كُله خير) ١٣٣
٤٥ – (الـوتـر التفاؤلي) ١٣٣
٤٦ – (نـعـش التفاؤل وبـعـثـه) ١٣٥
٤٧ – (قبر التفاؤل ودفنه!!!)..... ١٤١
٤٨ – (الوحي روح الحياة) ١٤٤
٤٩ – (البسمه التفاؤلية) ١٤٥
٥٠ – (قتل اليأس بسكين التفاؤل إلى قيام الساعة) ١٤٧
٥١ – (من قواعد الإسلام الكُبرى مُعالجة الشيء بضده)..... ١٥٠
٥٢ – (التفاؤل الخيري الوقائي) ١٥٧
٥٣ – (لا بأس عليك أُختي المطلقة؟!)..... ١٦٨
٥٤ – (إخواني أخواتي)..... ١٦٩

٥٥ – (صفة الوضوء فيه التفاؤل) ١٧٤
٥٦ – (التحية التفاؤلية) ١٧٥
٥٧ – (المعاني التفاؤلية في الآيات القُرآنية) ١٧٦
٥٨ – (التفاؤل ببعض طعام الدُّنيا) ١٨٠
٥٩ – (الطب النفسي التفاؤلي) ١٨٠
٦٠ – (التفاؤل في إجابة الدعاء) ١٨١
٦١ – (الشيخ ابن سعدي المتفائل) ١٨٤
٦٢ – (قاعدة الإسلام على التبشير بالخيرات) ١٨٤
٦٣ – (نحر الحُزن بسيف التفاؤل) ١٨٩
٦٤ – (من التفاؤل تبشير الموتى!!!) ١٩٣
٦٥ – (من التفاؤل والحسنات تبشير المخلوقات) ١٩٦
٦٦ – (التفاؤل بفعل الطاعات) ٢٠٢
٦٧ – (الوصية من التفاؤل) ٢٠٥
فهرس الموضوعات ٢١٠

السيلُ الجاري في التحذير من التأريخ الميلادي

تصنيف

عبد الرحمن بن نايف بن مطر الأسلمي الشمري

سلّمه الله

مدينة حائل

٢٩/٥/١٤٤٠هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ أما بعد:

فإن من البلاء الكبير الذي وقع على المسلمين في زماننا هذا، هجرانهم لتأريخهم العظيم والأصيل، ونسيانهم لهُ، واستبداله بتأريخ دخيل مشؤوم نصراني مُبتدع مُخترع وغير صحيح أصلًا!!! وهو ما يُعرف زورًا: (بالتأريخ الميلادي).

وفي هذه الرسالة المختصرة والموجزة والتي وسمتُها بـ: (**السيلُ الجاري في التحذير من التأريخ الميلادي**)، تذكرة وموعظة لمن يُحب الله ورسوله ودينه.

وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إجماع الأُمة من الصحابة والتابعين والمذاهب الأربعة وأصحابها، على النهي الشديد عن مُشابهة الكفار والمشركين، والأمر

بمُخالفتهم أجمعين[١].

وعليه أرجو من إخواني الكِرام أن لا يُـزاحم الحق بالباطل، والذين قالوا أنه لا بأس بكتابة التاريخ الهجري ثم الميلادي من علمائنا الأفاضل رحمهم الله، قالوا ذلك في المعاملات التجارية ونحوها للحاجـة إلى ذلك.

وإلّا الأصلُ كراهة ذلك كله، لاسيّما في كُتُبنا الدينية، وممّن من العلماء وطلبة العِلم النجباء، الذين هم ورثة الأنبياء، فكيف بغيرهم!!

وأخشى مع مرور الزمن أن يُمسخ التاريخ الهجري ويبقى التاريخ الميلادي خفّاقًا فلا نامت أعين الجبناء والأغبياء.

فـائـدة: كتابة كلمة (**التأريخ**) بالهمز أو (**التاريخ**) بالتخفيف أي: تسهيل الهمز، فكلا الوجهين جـائـز فصيح وسائغ في اللغة.

وليُعلم أن الناصحين من هذه الأمة المرحومة المباركة قد تكلّموا **في هذا النوع من الموالاة والتشبُّه**، وحذّروا الناس من هذا الدخيل الغريب عليهم، والذي صار هو المعتمد في كثير من الأنظمة والحكومات العربية وحسبي الله عليهم.

قال الشيخ العلامة طاهر الجزائري (ت ١٣٣٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (عجبتُ لمن يسعون في أن نهجر التاريخ الهجري، ويفاتحوننا في ذلك، كأنهم لا يعلمون أنّا نعلم ما يرمون إليه عن بُعد، لكل أُمة شِعار، إذا تركته طُمع فيها، واستُضعِف جانبها وربما صارت بعدُ مدمـجة في غيرها)[٢].

---

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٣٦٣).

(٢) «كنوز الأجداد»، بواسطة كتاب: زهرُ البساتين من مواقف العلماء والربانيين، للدكتور: سيّد العفاني (٢/ ٤٧٥)، ونقلها محب الدين الخطيب في كـتابـه: الحديقة (٢/ ٩٦٥).

وقال العلامة محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي الكتاني الإدريسي الحسني المغربي (ت ١٤١٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (هناك السَّنة القمرية، وهناك السَّنة الشمسية،..... ومعنى القمرية: أننا نعد أشهرها برؤية القمر، فبرؤية القمر نصوم، وبرؤية القمر نفطر، وبرؤية القمر تكون مواعيدنا، وبرؤية القمر يُكفّر من يُكفّر بصيام شهرين متتابعين، وبالشهر القمري تحدّ المرأة على وفاة زوجها أربعة أشهر وعشرا، ولا عبرة بالسَّنة الشمسية البتة.

فالإثنا عشر من الشهور التي ذكرها الله كلها قمرية، وهي من المحرم إلى ذي الحجة، فنحج بيت الله الحرام على الحساب القمري.

ومن حسنات هذه البلاد - **أي: المملكة العربية السعودية** - أن الشهر القمري الشرعي الإسلامي لم يبقَ قائمًا إلا فيها، ففي جميع ديار الإسلام، تركوا الشهر القمري الإسلامي، واعتمدوا على تأريخ لا صِلة لنا بهِ، وهو تأريخ نصراني يتعلق بعيسى، ومع احترامنا لعيسى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه نبي الله وعبده، فإنه ليس هو عيسى الذي يؤمن به النصارى.

فإن عيسى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي يؤمن به النصارى، يزعمونه إلهًا وربًا وابن صاحبة، وهم مع ذلك يقولون: إنه وُلِد، ويقولون: التأريخ الميلادي حسب ولادته.

وحتى هذا التأريخ: فإن فرق النصارى غير مُتفقه عليه، فالبعض يقول: قبل ذلك بعشرة، والبعض يقول: من بعد ذلك بعشرة، وغير ذلك.

فما حاجتنا إلى أن نستخدم تاريخًا لا تربطنا به شريعة ولا عقيدة، ونخالف إجماع الصحابة، فقد اتفق الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ على أن يَبتدئ التأريخ من الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة.

فمعاملاتنا، وصيامنا، وحجنا، ومواعيد شريعتنا، كلها مبنية على الشهر القمري،

وتركه فسق، وخروج عن أمر الله، وإجماع المسلمين، فكيف بإجماع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؟!)[١].

وقال الشيخ العلامة صالح بن فوزان الفوزان: عندما سُئل هل التأريخ بالتاريخ الميلادي يُعتبر من موالاة النصارى؟!

فأجاب حفظه الله ونفع به: (لا يُعتَبرُ موالاة، لكن يعتبر تشبُّهًابهم، والصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كان التاريخ الميلاديُّ موجودًا، ولم يستعملوه، بل عدلوا عنه إلى التاريخ الهجري، وضعوا التاريخ الهجري، ولم يستعملوا التاريخ الميلادي، مع أنه كان موجودًا في عهدهم، هذا دليل على أنَّ المسلمين يجب أن يستقلُّوا عن عادات الكفار وتقاليد الكفار، لا سيّما وأنَّ التاريخ الميلاديَّ رمز على دينهم، لأنه يرمز إلى تعظيم ميلاد المسيح والاحتفال به على رأس السَّنة، وهذه بدعة ابتدعها النصارى، فنحن لا نشاركهم ولا نشجعهم على هذا الشيء، وإذا أرَّخنا بتاريخهم فمعناه أننا نتشبَّه بهم، وعندنا ولله الحمد التاريخ الهجري، الذي وضعه لنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخليفة الراشد بحضرة المهاجرين والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، هذا يُغنينا)[٢].

قلتُ: وللشيخ حفظه الله مقال نافع في مجلة البحوث الإسلامية عدد رقم (٢٥) ص١١٩، عنوانه: (الولاء والبراء في الإسلام)، ذكر فيه: إن من موالاة الكفار التأريخ بتاريخهم كالتاريخ الميلادي، فلعلّ للشيخ حفظه الله قولان.

وقال العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ: (إلزموا التاريخ الإسلامي: التاريخ الهجري، في جميع مواقيت عباداتكم ومعاملاتكم وشؤون حياتكم، فهو شِعار إسلامي يُنادي

---

(١) بتصرف يسير من دروس صوتية لهُ، كانت في المسجد الحرام بمكة، في تفسير سورة الكهف، عند قوله تعالى: ﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴾.

(٢) المنتقى من فتاويه (١/ ٢٩١).

على إسلامكم، ولا ترضوا به بديلًا ولا مُساويًا، فإنه لمواقيتكم كشِعار الأذان لصلاتكم)[١].

وقال الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومازال السَّلف يكرهون تغيير شعائر العرب حتى في المعاملات).

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كرِه - الإمام أحمد - تسمية الشهور بالعجمية)[٢].

وقال العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (عُدول المسلمين الآن، من التاريخ الهجري العربي إلى تاريخ اليهود والنصارى، لا شك أنه نوعٌ من الموالاة)[٣].

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (في حديث زيد بن خالد الجهني رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: جاء رجل إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسأله عن اللُّقطة؟

فقال: اعرف عِفاصَها ووكاءها، ثُم عرِّفها سَنة.

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عرِّفها سَنة، أي سنة هي؟

السَّنة العربية الإسلامية اثنا عشر شهرًا، وهذه السَّنة هي السَّنة التي وضعها الله لعباده: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، إلى يوم القيامة، ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾.

وهذه الأشهر هي الأشهر التي تتقيّد بالأهلَّة، لقول الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾.

إذن السَّنة اثنا عشر شهرًا في كتاب الله، والمراد بالشهر: ما بين مطلع الهلالين، بدليل قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾.

---

(١) «خصائص جزيرة العرب» (ص٩١).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣٢/ ٢٥٥)، و«الاقتضاء» (١/ ٣٩٩ و٥١٨).

(٣) «تفسير سورة المائدة» (١٨/ ب) شريط، وفي المطبوع (٢/ ٢١).

وبذلك نعرف سفه قوم من العرب المتأخرين، حيث عدلوا عن التوقيت العربي الإسلامي، إلى توقيت جاهلي نصراني، لأن التوقيت الذي يُسمّى: الميلادي، مبنيٌّ على ميلاد عيسى ابن مريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالذين وضعوه النصارى.

وعجبًا لقوم يقولون: إنهم عرب، ثُم ينتسبون أيضًا إلى الإسلام، ثُم يعدلون عن التوقيت العربي الإسلامي، إلى هذا التوقيت!!!

وهذا أيها الإخوة يُعطي الكفرة من النصارى وغيرهم زُهوًّا وعلوًّا واستكبارًا علينا، حيث عَدَلنا عن تاريخنا العربي الإسلامي إلى تاريخهم!!!

والتاريخ ليس بالأمر الهيّن، بل إنه يُعتبر عزًّا للأمة وفخرًا، فإذا انضمَّ الناس إليه فإنهم بذلك يكسبونهم، ويقولون: آل بهم الأمر إلينا.

ولـمّا كانت هذه الأمم العربية التي تُنسب للإسلام وتنطوي تحت لوائه، لـمّا كانت مقهورةً مُستعمرةً من الكفار، فإنها قد تكون معذورة، لأنَّ المغلوب المقهور لا يستطيع أن يتصرَّف.

ولكن مع الأسف أنّها حين تحرّرت من الاستعمار، لم تعُد إلى أصلها وشرفها بالدِّين الإسلامي وبالتوقيت الإسلامي، وبقيت على ما كانت عليه، وهذا والله يَندى لهُ الجبين، أن نكون أُمةً ذيلًا لغيرنا حتى في التاريخ الإسلامي نعدل عنه لنؤرِّخ بتاريخ نصراني.

ولقد حدثني بعض الناس الذين قدموا للتدريس هنا وهم من غير السعودية، قال: والله ما عرفت الأشهر العربية إلا حين جئت لهذا البلد وهو يُدرس، يعني: عُمره ذهب منه جزء كبير، وهو لا يعرف الأشهر العربية الإسلامية، انطمست الآثار.

فلهذا ينبغي لنا: أن نكون أُمةً لنا شخصيتنا، ولنا مقوماتنا، ولنا تاريخنا، وأن لا نكون أذيالًا لغيرنا، وإذا اضطررنا إلى أن نؤرخ بتاريخهم، نظرًا لانفتاح الناس بعضهم

على بعض، أو دعت الحاجة لذلك، فمن الممكن أن نجعل الأصل التاريخ الإسلامي العربي، ونقول: الموافق لـكـذا، ليس فيه مانع.

أما أن نمحو التاريخ الإسلامي، ولا يُـعـرَف، ثُم نجعل بديلًا عنه هذا التاريخ النصراني، فلا شك أن هذا خطأ عظيم.

ولقد نصَّ الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أنـهُ كَـرِهَ هو نفسه أن يُؤرِّخ بأشهر الفرس، وهو إذا قال: أكـره فهو عند أصحابه للتحريم.

فالحاصل: أن السَّنة إذا أُطلقت فالمراد بها: السَّنة الإسلامية العربية، وهي السَّنة الهلالية التي مُدتها اثنا عشر شهرًا، والشهر مربوط بالأهلة، وهو ما بين الهلالين: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾.

والعجيب أن هذه الأشهر النصرانية مبنية على أوهام، لا على حقائق، ولا على هندسة مضبوطة، لأن بعضها ثمانية وعشرون يومًا، وبعضها واحد وثلاثون يومًا، فبينها ثلاثة أيام، فعلى أي أساس؟!!

والعجيب أني رأيت في كتاب ما: أنهم هموا بأن يجعلوا السَّنة اثنا عشر شهرًا، حسب سير الشمس، لكن يجعلون الأيام مُتساوية، قالوا: لأنه أضبط.

فقامت الكنيسة عليهم باسم الدِّين، وقالوا: لا يمكن أن تُغيِّروا دعوها على ما هي عليه من عوج ولا تُغيِّروها.

لأن تغيير التاريخ ليس هـيّـنًا، لا سيّما ونحن الآن إذا غيّرنا التاريخ، سنُغيّره من أشرف مناسبة وهي الهجرة، إلى مناسبة يتخذها النصارى عيدًا لهم، وهي ميلاد عيسى ابن مريم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحينئذ رُبما يأتي اليوم الذي نجعل هذا عيدًا لنا، نصنع ما يختص بالعيد.

وقد قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من هنأهم بأعيادهم فإنه إن لم يكفر فقد أتى أمرًا عظيمًا، قال: لأن التهنئة بأعيادهم والأعياد مواسم دينية رضا بالكفر، قال: وهو أعظم من أن يُهنئهم بالسجود للصنم، لو واحد يسجد للصنم، وقلت لهُ: تقبّل الله وهنأته، يقول: هذا أشد من التهنئة بالأعياد، وأشد من تهنئته بشرب الخمر، لو وجدت واحد يشرب الخمر من النصارى، وقلت لهُ: هنيئًا مريئًا، تُهنيه بهذا يقول: تهنئتهم بعيدهم أشد، لأنه إشعار بالرضا بالكفر، وهذا أمر عظيم.

وقد بلغني أن من المسلمين مع الأسف من يهنئهم بأعيادهم، بل من يُسافر إلى بلادهم ليشاركهم الأفراح نعوذ بالله.

تستعينون بنعم الله: المال الذي أعطاه الله على معصية الله، نسأل الله لنا ولكم الهداية)[١].

وقال العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (التأريخ الميلادي أقل أحواله الكراهة)[٢].

وقال الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: من تشبه بقوم فهو منهم، فأنا أنصح باستعمال التأريخ الهجري، وهؤلاء ما يريدون أن يتركوا شيئًا من معالم الإسلام إلا طمسوها والله المستعان)[٣].

---

(١) «فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام» (٤/ ٣٢٧)، الطبعة المصرية، و(١٠ / ٣٧٤) في الطبعة الأُخرى.

(٢) «مسائل الإمام ابن باز» – المجموعة الثانية – ص ١٥٥، جمع: عبد الله بن مانع الروقي العتيبي نفع الله به.

(٣) أفادني بهذا أخي عبد الله بن سعيّد بن هليّل الحائلي الشمري نفع الله به، وهو موجود في موقع الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد سمعته بصوته على هذا الرابط: http://youtu.be/50Q2T2dDQog.

وقال الشيخ محمد تقي الدين الهلالي المغربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في معرض رده لأحدهم: (أما بعد: فقد بلغني كتابك المؤرخ بـ: ٢٨/ ٧/ ٦٧م بتأريخ النصارى، ولا ينبغي للمُسلم إذا كتب إلى أخيه المسلم أن يُؤرخ كتابه بتأريخ النصارى، بل يجب عليه أن يُؤرخ بتأريخ الإسلام)[١].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الواجب تعليقُ الأحكام من العبادات وغيرها، إنما يكون بالشهور والسنين، التي تعرفها العرب، دون الشهور التي تعتبرها العجمُ والروم والقِبط)[٢].

وقال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (واعلم أن مذهب العرب من الزمان الأول، أن تكون السنة قمرية لا شمسية، وهذا حكم توارثوه عن إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام، فأما عند اليهود والنصارى فليس كذلك)[٣].

*** وأختم هذه الرسالة بثلاث فوائد جميلة وجليلة:**

(الأولى) ذكر السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في كتابه**: (أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب ص ٥١): إن من خصائص هذه الأمة المحمّدية، الأشهر الهلالية.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في كتابه**: (الشماريخ في عِلم التأريخ ص٢٠): إنما يؤرخ بالأشهر الهلالية دون الشمسية الحسابية.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مصالح الدُنيا والدِّين متعلّقةٌ بالأهِلَّة)[٤].

---

(١) «مجموع مراسلاته للعلماء والأمراء» (١/ ٤٧٥) طبعة الشيخ المفيد مشهور بن حسن نفع الله به.

(٢) «تفسيره» (١٠/ ١٩٦).

(٣) «تفسير» (٨/ ١٥).

(٤) «التبيان في إيمان القرآن» (ص٢٥١).

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولهذا كانت أشهر الحج والصوم والأعياد ومواسم الإسلام، إنما هي على حساب القمر)[1].

قلتُ: وصدق والله، فمن سَبَرَ النصوص الشرعية وأمعن النظر فيها وجد أنها مَبنِيةٌ على حساب القمر، في أمور العبادات والمعاملات وغيرهما، فعلى سبيل المثال لا الحصر: (البلوغ وما يترتب عليه من تكليف يُحسب بالهلال، وكذلك الصوم، والحج، والصلاة، والزكاة، والطلاق، والعِّدة، والإيلاء، والإحداد على الزوج، والحضانة ونهايته سنّ السابعة، ومُدّة الحمل أقلّه ستة أشهر هلالية، والنفقة على الزوجة، وتغريب الزاني سنة، واللُقطة تعريفُها سنة هلالية، وميراث المفقود، والبيع، والأجل، والسَّلم، والإجارة، ومكاتبة الرقيق من سيده، ووقت الجذاذ في المساقاة والمزارعة، والنذور بأنواعها: من صيام، واعتكاف، وعُمرة وغيرها، والكفارات بأنواعها: من ظِهار، وقتل وغيرها، وفي الجهاد: من مصالحة أو هدنة، وفي الأيمان، والعهود، والعقود، وفي كل حديثٍ فيه توقيت: كثلاثة أيام أو خمسة أو سبعة ونحوها، المتعلّقة بالمكلّفين، كُلها بالأشهر الهلالية القمرية، لا الشمسية).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (جعل الله الأهلة مواقيت للناس في الأحكام الثابتة بالشرع ابتداءً، أو سببًا من العبادة، وللأحكام التي تثبت بشروط العبد، فما ثبت من المؤقَّتات بشرع أو شرط، فالهلال ميقات له، وهذا يدخل فيه: الصيام، والحج، ومُدة الإيلاء، والعدة، وصوم الكفارة، وهذه الخمسة في القرآن، قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾، وقال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾، وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾، وقال تعالى: ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾، وكذلك قوله: ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾، وكذلك صوم النذر وغيره، وكذلك الشروط

(١) «مفتاح دار السعادة» (٣/ ١٩٠).

من الأعمال المتعلّقة بالثمن، ودين السَّلم، والزكاة، والجزية، والعقل، والخيار، والأيمان، وأجَل الصَداق، ونجوم الكتابة، والصلح عن القصاص، وسائر ما يُؤجَّل من دين وعقد وغيرها).

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن الأنبياء ما وقّتوا العبادات إلا بالهلال، وإنما اليهود والنصارى حرَّفوا الشرائع)[١].

* **تنبيه لطيف: لأخي في الله: عادل بن عبد العزيز بن علي الجليفي حفظه الله ونفع به، المدرس بجامعة الملك سعود، رسالة قيمة للغاية، قد استفدتُ منها كثيرًا وهي: (بيان خطأ التأريخ الميلادي - نشرة دار ابن الجوزي - ط: أولى)، بيّن من خِلالها خطأ هذا التأريخ من أصله!!! وجاء بنقولات من عُلماء أهل الكتاب أنفسهم!!! فهل منكم يا مَنْ يُؤرخ به رجل رشيد؟؟؟**

(الثانية) قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأما الخطاب بها - أي: باللغة العجمية - من غير حاجة في أسماء الناس والشهور كالتواريخ ونحو ذلك، فهو منهي عنه مع الجهل بالمعنى بلا ريب)[٢].

(الثالثة) حين قالوا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يا رسول الله: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط.....الحديث)[٣].

قال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **مُعلِّقًا على هذا الأمر**: (أنكر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليهم ذلك القول، لمشابهته لقول اليهود، مع ظهور الفرق بينهما لفظًا وقصدًا، فهو دليل واضح على أن

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٥/ ١٣٤) بتصرف، و«الاقتضاء» (١/ ٥٣٢).

(٢) «الاقتضاء» (١/ ٥٢٠).

(٣) صحّحه الترمذي في «سُننه» برقم (٢١٨٠).

مشابهة الكفار مُنكرة شرعًا، ولو كانت النية صالحة)[١].

فإن قال قائلٌ: أنا إذا كتبت بالتاريخ الميلادي، لا أقصد التشبُّه بالكفار، ولم يخطر على بالي ذلك، وإنما رأيت الناس تستعمل هذا التاريخ، بل حتى طلبة العِلم والشيوخ يفعلون ذلك، وحاشاهم أن يتشبهوا بالكفار؟!

قلتُ: التشبُّه بالكفار وبالفساق وغيرهم، منهيٌ عنه شرعًا، ولو لم يقصده الإنسان.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: غيّروا الشيب ولا تشبهوا باليهود، دليل على أن التشبُّه بهم يحصل بغير قصد مِنا ولا فعل، بل بمجرد ترك تغيير ما خلق فينا، وهذا أبلغ من الموافقة الفعلية الاتفاقية)[٢].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ما أمرنا الله به ورسوله من مخالفتهم مشروع، سواءٌ كان الفعل مما قصد فاعله التشبُّه بهم أم لم يقصد، وكذلك ما نهى عنه من مشابهتِهم، يعم ما إذا قصدت مشابهتِهم أم لم تقصد، فإن عامة هذه الأعمال، لم يكن المسلمون يقصدون المشابهة فيها، وفيها ما لا يُتصوّر قصد المشابهة فيه كبياض الشعر وطول الشارب)[٣].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في موضع آخر**: (التحذير من مشابهة المشركين وإن لم يقصد الإنسان المشابهة، وهذه قد تخفى على بعض الناس، حيث يظنّ أن التشبُّه إنما يحرُم إذا قصدت المشابهة، والشرع إنّما علق الحكم بالتشبُّه، أي: بأن يفعل ما يُشبه فعلهم سواءٌ قصد أو لم يقصد، ولهذا قال العلماء في مسألة التشبُّه: وإن لم ينوِ ذلك فإن التشبُّه يحصل بمطلق الصورة).

---

(١) «حجاب المرأة المسلمة» (ص١٠٣).

(٢) «الاقتضاء» (١/ ٢٧٢).

(٣) «مجموع فتاويه» (٧/ ١٨٩).

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن التشبُّه لا يفتقر إلى نية، لأن التشبُّه: المشابهة في الشكل والصورة، فإذا حصلت فهو تشبُّه سواء نويت أم لم تنوِ)[١].

وقال إمام الدعوة الإصلاحية السلفية الشيخ العلامة محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه العظيم: (كتاب التوحيد)، باب: لا يُذبح لله بمكان يُذبح فيه لغير الله، فيه مسائل: التاسعة: الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم، ولو لم يَقصِدهُ.

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ **مُعلِّقًا على هذا**: (قد نصَّ شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أن حصول التشبُّه لا يُشترط فيه القصد، فإنَّه يُمنع منه ولو لم يقصده، لكن مع القصد يكون أشدّ إثمًا)[٢].

قلتُ: فيا طُلاب العِلم النافع: بُثّوا هذا الأمر بين الناس، ولا سيّما أولئك النوكى!! الذين يُلبِسُون أولادهم لباس الكفار الفاضح، وغير ذلك من أنواع التشبُّه المنكر والحرام، وإذا ما أُنكِر عليهم يقولون: هؤلاء صِغار أطفال غير مُكلّفين، ثُم أنا ما قصدت التشبُّه بالكفار!!

فقُل له: لكن يا أحمق أنت مُكلَّف، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ما حرُم على الرجل فعله، حرُم عليه أن يُمكّن منه الصغير)[٣].

---

(١) «القول المفيد» (١/ ٤٠٨)، و«الشرح الممتع» (٢/ ١٩٦).

(٢) «القول المفيد» (١/ ٢٤٣).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ١٤٣).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الصبي وإن لم يكن مُكلّفًا، فوليُّهُ مكلّف، لا يحل لَهُ تمكينه من المحرم فإنه يعتاده، ويعسُر فطامه عنه، وهذا أصح قولي العلماء)[١].

وقال العلامة محمد بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الطفل يجب أن يجتنب ما يجتنب الكبير، وهو لا يأثم لأنه غير مُكلّف، لكن وليُّهُ يأثم إذا أركبه ما يحرم على الكبير)[٢].

وقال العلامة صالح الفوزان حفظه الله: (ما يحرم على الكبير يحرم على الصغير)[٣].

ويُراجع كلام نفيس جدًا للعلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حول لباس الأطفال وتساهل الناس به، في سلسلة الهدى والنور (٦٢٥/ ب) شريط.

لذلك: يُضرب على ترك الصلاة، ويُنهى عن لبس الحرير، وعن الخروج عند غروب الشمس، لأنها ساعة تنتشر فيها الشياطين، وأُمِرَ بالتسمية عند الطعام والأكل باليمين، ونَهى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحسن من أكل تمر الصدقة، ونَهى أن يُحلق بعض الشعر ويُترك بعضه، ونُهي أن يَدخل على قوم دون استئذان، وهذا وغيره كُله ثابت بالسُّنة النبوية، لكن الأمر كما قال الأول:

لِكُلّ دَاءٍ دَواءٌ يُستطَبُّ بِهِ إلاَّ الحَماقةَ أَعيت مَن يداويها

وفي الختام أدعو إخواني في مشارق الأرض ومغاربها، لنُصرة هذا الدِّين الحنيف، في هذا الوقت الغريب، والزمان العجيب، الذي تكالب علينا فيه جميع الكلاب والدواب وسَبّابةُ الأصحاب.

---

(١) «تحفة المودود» (ص٤٠٤).

(٢) «سلسلة اللقاءات الشهرية» (٤/ ٢٤٠)، طُبع باعتناء شقيقي الشيخ عطاء الله ابن نايف الأسلمي نفع الله به.

(٣) «إتحاف الطلاب بشرح منظومة الآداب» (ص٧٨٧).

قوموا لله قومة واحدة، تشهد لكم فيها السموات والأرض ومن فيهن، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

قال الشيخ العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (في قوله ﷻ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾، وهم الموعودون بالاستخلاف في الأرض، والتمكين لدينهم، وإبدالهم بعد الخوف أمنًا، وبعد الذُل عِـزًا، فعليك يـا عبد الله أن تعرف هذا المعنى جيدًا، وأن تعمل بـه حتى تكون من أنصار الله، وحتى تحصل لك العاقبة الحميدة، التي وعد الله بها أنصاره، فالله وعد أنصاره بالنصر والعاقبة الحميدة، والتمكين في الأرض، وأن يُبدلهم بخوفهم أمنًا، لـمّا أخافوا أعداءه من أجله، وصَبروا على دينه، وجاهدوا في الله، وقـدّمـوا أنفسهم في سبيله سبحانه رخيصة، يرجون رحمته ويخافون عقابه)[1].

والـحـمـد لله ربِّ الـعـالـمـيـن.

(١) «مجموع فتاويه» (٧/ ١٢).

قُرة العيون
في ثناء العُلماء على مؤلفاتهم
عبر القرون

تصنيف

عبد الرحمن بن نايف بن مطر الأسلمي الشمري

سلّمه الله

١٤٤٠هـ

في البحث أُكثر من (١٣٠) نقل عن أُهل العِلم في مختلفة العصور،
جمعتها من (٢٠٠) كتاب ورسالة، ولله الحمد والشكر والفضل

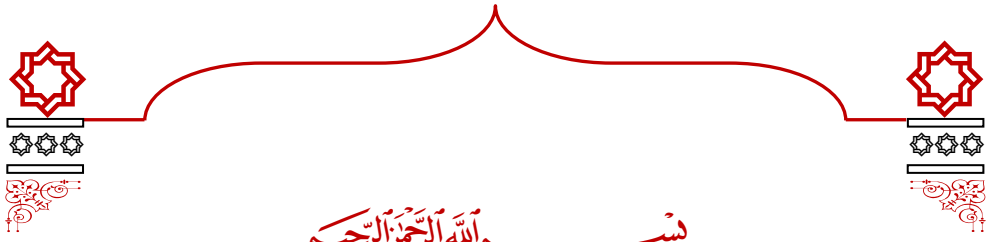

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

- الحمد لله وبعد: فهذه رسالة كتبتها عام ١٤٣٤ هـ، وطُبعت ولله الحمد، واليوم أُعيد النظر فيها على عُجالة مع زيادات كبيرة حصلت في الرسالة، وأسأل الله وحده لا شريك لهُ أن ينفع بها العباد والبلاد والجماد، والحمد لله ربِّ العالمين.

وإنِّي وإنْ كُنتُ الأخيرَ زمانهُ لآتٍ بما لَم تَستطِعهُ الأوائِلُ

هذا جزء لطيف ومُمتع وشيِّق، كتبته لِعِدّة أسباب مختلفة منها:

- السبب الأول: في بعض بحوثي، ولا أقول أبحاثي لأن بعضهم ذكر أنه جمعٌ شاذ، كُنت أُثني عليها، وأصِفُها بأوصاف هي أحقُ بهاَ وبأهلِهَا، ومن حقي ذلك، وهي من التّحدُث بنِعَم الله جل جلاله عليَّ، فعاتبني بعض أقراني؟!

ويُقال:(المعاصره حِرمان!)، وقال: هذا لا يليق بكَ، أين التواضع! أين هضم النفس! هذا من الكِبر! هذا هو الغرور!... إلخ.

فقلتُ له: على هذا الأدلة من الكتاب والسُّنة وأقوال سلف الأُمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.

وقال الله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾.

وقد صحَّ في الحديث النبوي: (التّحدُّث بنعمةِ الله شُكرٌ، وتَركُها كُفرٌ). رواه الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ في المسند.

وقال ﷺ: (إن من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يبغض الله، وإن من الخيلاء ما يُحب الله ومنها ما يبغض الله، فأما الغيرة التي يحبها الله، فالغيرة في الريبة، وأما الغيرة التي يبغض الله، فالغيرة في غير الريبة، وأما الخيلاء التي يحبها الله، فاختيال الرجل في القتال، واختياله عند الصدقة، وأما الخيلاء التي يبغض الله، فاختيال الرجل في البغي والفخر). رواه الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المسند.

ولا يخفى على إخواني أن العِلم وطلبه من الجهاد في سبيل الله، كما قـرّره الأئمة الكِبار، وبَـذل المال فيه لا يقل مرتبة عن بَـذل الأموال في الجهاد والقتال بالأنفس، وهما أعني: الجهاد بالمال والنفس، قرينان في الكتاب والسُّنة، بل الجهاد بالمال مُقدَّم على الجهاد بالنفس، وعليه فإن الخيلاء في صدقة العِلم، وفي الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس، عند المرجفين والمنافقين والزنادقة والملحدين والكفار أجمعين، مقصدٌ من مقاصد الشريعة المطهرة، لما فيه عِـزًّا للإسلام والمسلمين وقهرًا لأعداء المِلَّة والدِّين، وفيه قذف الرُعب في قلوبهم قبل التمكُن من رقابهم، إلى غير ذلك من المعاني الشريفة العفيفة.

وإذا قال المادح لنفسه وصَدَقَ ووافـق الخُبر الخَبر، فلماذا الحسد المغلَّف بالورع البارد، وما أكثره في زماننا هـذا؟! اللهم نسألك قلوبًا تـقـيَّـة من الشِرك نـقـيَّـة لا فاجـرةٍ ولا شـقـيِّـة.

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (لو أعلم أحدًا هو أعلم بكتاب الله منّي تبلغه الإبل لركبتُ إليه). صحيح مسلم.

وقال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (والله لقد علم أصحاب النبي ﷺ أني من أعلمهم بكتاب الله). صحيح البخاري.

وقال أبو هريرة لعُمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: (أستقرأتك الآية ولأنا أقرأ لها منك). صحيح البخاري.

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو على المنبر: (سلوني قبل أن لا تسألوني، ولن تسألوا بعدي مثلي)، رواه الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي.

وفي صحيح البخاري: قال سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وقد سُئل مسألة: (ما بَـقِـي مِـن الـنَّـاس أحـدٌ أعلمُ بـهِ مِـنِّي).

وفي صحيح مسلم: قال عِمران بن الحُصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إنَّـكم لتُجاوِزُوني إلى رجالٍ ما كانوا بأحضر لرسول الله ﷺ مِـنِّي، ولا أعلمَ بـحـديـثِـهِ مِـنِّي)..

وقال التابعي الفقيه سعيد بن المسيّب رَحِمَهُ اللَّهُ: (ما بَـقِـيَ أَحـدٌ أَعلَمُ بِـكُـلِّ قضاءٍ قضَاهُ رسولُ الله ﷺ، وأبو بكر وعُمَر مِـنِّـي). رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى بسندٍ صحيح.

ويُروى عن الفاروق عُمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنـه قال في شأن الإمارة والخلافة: (ولو علمتُ أن أحدًا من الناس أقوى عليه مِنّي، لكنت أقدم فتُضرب عنقي أحبُّ إلـيَّ من أن أليه). رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في الفتح عند أثر ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وفي الحديث جواز ذِكر الإنسان نفسه بما فيه من الفضيلة بقدر الحاجة، ويُحمل ما ورد من ذم ذلك على من وقع ذلك منه فخرًا وإعجابًا).

وفي الزاد قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في الفوائد المستنبطة من غزوة تبوك، وقصة الثلاثة الذين خُلِّفُوا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: (جواز مدح الإنسان نفسه بما فيه من الخير، إذا لم يكن على سبيل الفخر والترفع).

وفي نيل الأوطار قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ في قول أبي حميد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أنا أعلمكم بصلاة رسول الله ﷺ): (فيه مدح الإنسان لنفسه، لمن يأخذ عنه، ليكون كلامه أوقع وأثبت عند السّامع، كما أنه يجوز مدح الإنسان نفسه وافتخاره في الجهاد ليوقع الرّهبة في قلوب الكفار).

وفي شرحه على مسلم قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قول سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (والله إني لأول رجل من العرب رمى بسهم في سبيل الله): (فيه منقبة ظاهرة له، وجواز مدح الإنسان نفسه عند الحاجة).

ومما يُذكر أن النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وضع بابًا كاملًا في كتابه (الأذكار)، قال فيه: (باب مدح الإنسان نفسه وذكر محاسنه).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفتاوى: (وأما إذا أخبر المخلوق عن نفسه بما هو صادق فيه، فهذا لا يُـذم مُطلقًا بل قد يُحمد منه إذا كان في ذلك مصلحة، كقول النبي ﷺ: أنا سيد ولد آدم ولا فخر). اهـ.

وفي حلية الأولياء: كان العابد عبدالله بن غالب الحداني التابعي الثقة (ت٨٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا أصبح يقول: (لقد رزقني الله البارحة خيرًا، قرأت كذا، وصلّيت كذا، وذكرت كذا، وفعلت كذا، فيقال له: يـا أبـا فراس، إن مثلك لا يقول مثل هذا!! فيقول: إن الله تعالى يقول: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾، وأنتم تقولون: لا تُحدِّث بنعمة ربك). اهـ.

وعن أبى نضرة المُنذر بن مالك العَبدي التابعي الثقة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: (كان المسلمون يرون أن من شُكرِ النِعَم أن يُحدِّثَ بها).

وقال التابعي قتادة بن دِعامة السدوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (من شُكر النِعم إفشاؤها).

وقال التابعي عُمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ذِكر النِعمة شكر).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره، عند قول يوسف ﷺ: ﴿ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾، (مَـدَحَ نفسه، ويجوز للرجل ذلك إذا جُهل أمره للحاجة). اهـ.

وقال أيضًاعندها الرسعني الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: (وفي هذا دليل على جواز وصف الإنسان نفسه بالأوصاف الجميلة، إمّا على وجه التحدث بنعمة الله، أو

لتحصيل خير، أو لدفع ضرر، إنّما المذموم من ذلك، ما كان على مذهب التكبّر وتعظيم النفس، فإذا خلص من هذا فلا بأس به). اهـ.

وقال العلامة الشيخ صالح بن سعد السحيمي حفظه الله: (المذموم هو التفاخر الذي يُقصد بهِ التعالي على الناس والتكبُّر، أما إذا كان المرء حاذقًا في أمر مُعيَّن والناس بحاجة إليه، فإنه يتعيَّن عليه بيان ذلك، فهذا يوسف ﷺ يقول للملك: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾، وقال النبي ﷺ: قد علمتم أني أتقاكم لله وأصدقكم وأبركم، وقال ﷺ أيضًا: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب). اهـ. من القطوف الدواني شرح نونية القحطاني (٢/ ٢٧٥).

وعن أبي الأحوص رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: قال أبو إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يا معشر الشباب اغتنموا -أي: شبابكم- قلما تمر بي ليلة إلا وأقرأ فيها ألف آية، وإني لأقرأ البقرة في ركعة، وإني لأصوم أشهر الحرم، وثلاثة أيام من كل شهر، والإثنين والخميس، ثم تلا: ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾). اهـ. أخرجه الحاكم في مستدركه (٢/ ٥٧٤/ ٣٩٤٧ - ٣٩٤٨)، وعَمرو بن عبد الله السبيعي أبو إسحاق الكوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أئمة التابعين الثقات، ويُنقل نحو ذلك أيضا عن التابعي المخضرم الثقة عَمرو بن ميمون الأودي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قلتُ: نعم، الأصل عندي أن الحسنة عورة، يجب سترها وعدم إظهارها، ولكن عند المصلحة الراجحة المتحققة، قد تُكشف هذه العورة إذا دعت الحاجة لذلك، والأعمال بالنيات، والفقيه وحده هو الذي يُحدِّد وقتها ومكانها ومقصده من ذلك.

وسترى هنا أكثر من (١٣٠) نقل عن أهل العِلم والفضل، منذ القرن الثالث الهجري حتى زماننا هذا، في مدحهم لمؤلفاتهم، وتنوع عبارات الاطراء عليها، من قِبَلِهم هُم أنفسهم،هذا الفعل الصادر عنهم في القديم والحديث تنبيهًا منهم للغير وحُبًّا للخير، وليس مقصودهم العُجب والإطراءُ المنهي عنه، بل والله ما عَلِمنا منهم إلا إرشادنا ونُصحنا في الحرص على هذه الفوائد النادرة.

وأنا واحد مـمَّن تشبه بهم في نُصحي لإخواني على بعض البحوث التي لا يجدون من حَـرَّر القول فيها إلا فلان عفا الله عنه!!

- السبب الثاني: لقوله ﷺ: (من تشبه بقوم فهو منهم)، وستقرأ في هذه الرسالة الماتعة الرائعة ما ذكره أهل العِلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قال نجم الدين الغَزِّيِّ (ت١٠٦١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: (اعلم أن التَّشبه بالصَّالحين، والدخول في عدادهم، مندوب إليه، محثوث عليه، لأنه يورث تولي الله لعبده، وهو مطلوب الأنبياء عليهم السَّلام، ومن أوصافهم التي يحمدون بها وعليها... ولو لم يكن في التشبُّه بالصالحين إلا تولي الله تعالى العبدَ المتشبِّه بهم لـكفى).اهـ. من حُسن التنبُّه (٢/ ١٥١).

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: (لاشك أن الداعي للعبد إلى التشبه بالصالحين إنمـا هو محبتهم، وانجذاب روحه إلى أرواحهم، وتحرك قلبه لما تحركت له قلوبهم). اهـ. من حُسن التنبُّه (١/ ١٤٤).

ونقل الأصمعي رَحِمَهُ اللَّهُ عن بعضهم أنه قال: (إذا تلاحمت بالقلوبِ النِّسبة، تواصلت بالأبدان الصُّـحـبَـة). اهـ.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في بهجة قلوب الأبرار عند حديث: (المرءُ مع من أحبَّ)، ما نصه:

(وهذا مشاهدٌ مجرَّبٌ، إذا أحب العبد أهل الخير، رأيته منضمًّا إليهم، حريصًا على أن يكون مثلهم). اهـ.

- السبب الثالث: شحذًا للهِمم وتحريكًا للعزائم الساكنة وتشجيعًا للخير وحُـبًّـا للغير، وإشعال فتيل المنافسة الشريفة لطلب المعالي العِلمية والعملية في جميع شؤون الحياة الدينية والدنيوية، فلا يَمدَح الإنسان العاقل نفسه غالبًاإلّا بعد بذل الجهد الجهيد في تحقيق ما يستحق به المدح والثناء.

- السبب الرابع: بيان أن المتأخر قد يُدَّخر له ما لم يطَّلع عليه المتقدم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وفي كُلِّ خير، فلا يُقبل قول المتقدِّم لِقِدَمه ولا يُرد قول المتأخر لتأخره، إنما الحُجة بالدليل والإجماع.

قال الحافظ السخاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولكلِّ زمان رجال، وقد يُدَّخر للمتأخر ما لم يطلع عليه من تقدَّمه من الفحول الأبطال). اهـ. من القول المنبي عن ترجمة ابن العربي - مخطوط- بواسطة كتاب: ابن عربي عقيدته وموقف علماء المسلمين منه، ص٩ لدغش بن شبيب العجمي حفظه الله ونفع به.

وقال ابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولا نعلمه - أي الله سبحانه وتعالى- خص بالعِلم قومًا دون قوم، ولا وقفه على زمن دون زمن، بل جعله مشتركًا مقسومًا بين عباده يفتح للآخر منه ما أغلقه عن الأول). اهـ. من كتابه: إصلاح غلط أبي عبيد ص٤٥.

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فكلُّ من أتى بحسَنٍ من قولٍ أو فعل ذكرناه له، وأثنينا به عليه، ولم يَضَعهُ عندنا تأخرُّ قائله أو فاعله، ولا حداثةُ سِنِّهِ، كما أنَّ الرّدِيَ إذا ورد علينا للمتقدِّم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرفُ صاحبه ولا تقدُّمه). اهـ. من كتابه: الشعر والشعراء (١/ ٦٤).

قل لمن لا يرى المعاصر شيئًا ... ويرى للأوائل التقديما

إن ذاك القديم كان حديثًا ... وذاك الحديث سيبقى قديما

وقال أبو العباس محمد بن يزيد النحوي المشهور بالمبرد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وليس لِقِدَم العَهدِ يُفضّلُ الفائلُ ولا لِحِدْثان عَهْدٍ يُهتضَمُ المصيب ولكن يُعطى كلُّ ما يستحق). اهـ. من الكامل (١/ ٢١).

وقال ابن خلدون رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة تأريخه: (الفضل ليس مُنحصرًا في المتقدمين). اهـ.

وقال نجم الدين الغزِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وما الباعث لي على الإقدام على مزاحمة الأئمة الأعلام في جمع المؤلفات النافعة والكتب الجامعة، إلا أني شاهدت أن فضل ربي لا يختص بزمان، وأن المبرز في الفضل في عِلم الله تعالى عند حضور السباق في مضمار الرهان متقدم في حلبة الموفَّقين وإن تأخر زمنًا، بذلك قضى أهل الحكمة إلا من كان أجبن من صَافر، أو أحمق من ربيعة البكَّاء). اهـ. من حُسن التنبُّه (١/ ٧).

وقال صدِّيق بن حسن القنوجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (واعلم أن نتائج الأفكار لا تقف عند حد، وتصرفات الأنظار لا تنتهي إلى غاية، بل لكل عالم ومتعلم منها حظ يحرزه في وقته المقدر له، وليس لأحد أن يزاحمه فيه، لأن العالم المعنوي واسع كالبحر الزاخر، والفيض الإلهي ليس له انقطاع ولا آخر، والعلوم منح إلهية ومواهب صمدانية، فغير مُستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين، ما لم يدخر لكثير من المتقدمين، فلا تغتر بقول القائل: ما ترك الأول للآخر، بل القول الصحيح الظاهر: كم ترك الأول للآخر، فإنما يستجاد الشيء ويسترذل لجودته ورداءته في ذاته، لا لقدمه وحدوثه، ويقال: ليس كلمة أضر بالعِلم من قولهم: ما ترك الأول شيئا!! لأنه يقطع الآمال عن العِلم، ويحمل على التقاعد عن التعلُّم، فيقتصر الآخر على ما قدّم الأول من الظاهر، وهو خطر عظيم، وقول سقيم... كما قال ﷺ: أمتي أمة مباركة لا يدري أولها خيرًا أو آخرها). اهـ. من أبجد العلوم ص ١١١.

وقال ابن مالك النحويُّ صاحبُ الألفية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة تسهيله: (وإذا كانت العلومُ مِنَحًا إلَهِيَّة، ومواهبَ اختصاصيَّة، فغيرُ مُستبعدٍ أن يُدَّخر لبعض المتأخرين، ما عَسُر على كثير من المتقدمين).اهـ.

قلتُ: ولا يخفى على أهل العِلم جواز مدح المرء نفسه عند الحاجة، ومدح كتابه أو عَمله أو دابته أو مسكنه أو غير ذلك، ولا يُنكر عليه بمجرد ذلك إلا إذا ظهر لكَ خلاف ما يقول، أدعى دعوى عريضة ولا بيِّنةَ لهُ نقول لهُ: هذا لا ينبغي لك ولا

يليق بك، أما إذا قال وصَدَقَ فلماذا الإنكار حـيـنـئـذٍ؟!

- السبب الخامس: بيان أنَّ المحقّقين من أهل العِلم والفضل يعلمون أن ثناء العالم أو طالب العِلم على كتابه جادة مطروقة، وسُنةٍ عند المؤلِّفين والمصنِّفين متبوعةٍ مزبورةٍ، سَطَّرها العلماء في ثنايا كتاباتِـهم، منذ القرن الثالث الهجري حتى زماننا هذا، تنبيهًا للطُلاب على أهميةِ بعضِ النُكتِ العلميةِ، أو الفوائد العملية السَّلُوكيةِ، نُصحًا منهم رحمَهُم الله للعلم وأهله.

ولا يُظن بهم تزكية لِـعُلومِهِم أو العُجْبُ بها، بل الحامل منهم على ذلك، الشفقة على هذه العلوم العزيزة والنادرة، التي هي غالبًا لا تكون محلَّ اهتمامٍ من الناسِ، فيقولون مثل هذه العبارات ونحوها، لكي ينتبه القارئ إليها.

وقد أُبتلينا في هذا الزمان بطلبة عِلم من نوع وصنف جديد، أستطيع تلقيبهم: (بطلبة الأجهزة الغبية!)، يأتيك أحدهم بجهلٍ بالغ وحمق خانق ويقول: من صنع صنيعك هذا؟

من قال بهذا؟ من أين لك هذا؟

فـيُـنـكـر عليك هذا البغل لأنه بَحَثَ بجواله الذكي! ولم يجد جوابًا، فـيُـبـادرك بالنكير، وما علِم الجحش أن هناك من طلبة العِلم من نفض الكُتب نفضًاوفضَّ أبكارها فضًّا، وطاف المُدن، وجالس الشيوخ، طلبًا للفائدة الواحدة فقط.

وهذا التيس الأجرب تـمُـرُّ بـه الليالي ذوات العدد وما فتح بها كتابًا ولا حتى صفحة واحدة منه.

نعم: الخير في أُمة الإسلام إلى قيام الساعة، وليس من العدل والإنصاف أن نهضم أنفسنا التي لها حـقٌ علينا، بل من السُّنة أن لا تحقر نفسك، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

وإليك بعض النماذج والصُّور في مدح المصنفات والثناء عليها والإشادة بها من قِـبَـلِ مؤلفيها، فاحرص عليها جيدًا، فإنها غنيمة باردة ودُرَّة غالية وجهدٌ شاق (**لا يتأتى بكبسة زر في الكمبيوتر!**)، يعرفُ ما أقول كل مُنصِف، وحينها تعلم من هو طالب العِلم بحق ومن هو طُويلب غِـر خلف حاسوب المكتبة الشاملة كالـهِـر!!!

(١) قال الإمام المبجَّل أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ لابنه عبد الله: (احتفظ بهذا المسند، فإنَّه سيكونُ للناس إمامًا). وقال فيه: (أنـتـقـيـته من أكثر من سبع مئة ألف وخمسين ألفًا، فما اختلف المسلمون فيه من حديث رسول الله، فارجعوا إليه، فإن وجدتموه فيه وإلا فَـليس بحُـجـة). اهـ. من المناقب لابن الجوزي ص٢٦٢، سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٢٧).

(٢) وقال الإمام مسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ مادحًا كتابه: الجامع الصحيح: (لو أن أهل الحديث يكتبون مائتي سنة الحديث فمدارهم على هذا المسند). اهـ. من مقدمة شرح صحيح مسلم للنووي ص٢١.

(٣) وقال أبو داود السجستاني (ت٢٧٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالته المشهورة إلى أهل مكة والتي يـَصِـفُ فيها كتابـهُ الذي ألَّـفـهُ في السُّننِ قائلًا: (ولا أعلم شيئًا بعد القرآن ألزمَ للناس أن يتعلموا من هذا الكتاب، ولا يضر رجلًا أن لا يكتب من العِلم بعد ما يكتبُ هذا الكتاب شيئًا، وإذا نَظَرَ فيه وتدبَّره وتفهَّمَه حينئذ يَعلمُ مقداره). اهـ.

(٤) وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولا أعرفُ أحدًا جَمَع على الاستقصاء غيري). اهـ. ص٣٥-٤٦.

(٥) وقال عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فاتحةِ كتابهِ: المعارف ص١: (هذا كتاب جمعت فيه من المعارف ما يحق على من أنعم عليه بشرف المنزلة، وأخرج بالتأدب عن طبقة الحشوة وفضل بالعِلم والبيان على العامة، أن يأخذ نفسه

بتعلمه، ويروضها على تحفظه، إذ كان لا يستغنى عنه في مجالس الملوك إن جالسهم ومحافل الأشراف إن عاشرهم... وكتابي هذا يشتمل على فنونٍ كثيرة من المعارف).اهـ.

(٦) وقال محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت٣١١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قد عرف أهل الشرق والغرب، أنَّه لم يصنِّف أحد في التوحيد والقدر وأصول العِلم مثل تصنيفي).اهـ. النبلاء (١٤/ ٣٧٩).

(٧) وقال العلامة ابن الأنباري (ت٣٢٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فرأيت أن أجمعها في كتابنا هذا على حَسَب معرفتي ومبلغ علمي، ليستغني كاتبُه والناظر فيه عن الكتب القديمة المؤلّفة في مثل معناه، إذ اشتمل على جميع ما فيها، ولم يُعدَم منه زيادةُ الفوائد، وحسنُ البيان، واستيفاءُ الاحتجاج، واستقصاءُ الشواهد).اهـ. الأضداد ص١٣.

(٨) وقال محمد بن أحمد المَلَطِي الشافعي (ت٣٧٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لم أضع كتابي هذا إلا ليكون إمامًا وأصلًا أرجع إليه، ومعقلًا لي وللمؤمنين إن شاء الله). اهـ. من كتابه: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص٥٦.

(٩) وقال القاضي التنوخي (ت٣٨٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فكان هذا من أسباب نشاطي لتأليف كتاب يحتوي من هذا الفن على أكثر مـمَّـا جمعه القوم وأشرح، وأبين للمغزى وأكشف وأوضح،.... ليزداد من يقف على الكتب الأربعة، بكتابي من بينها إعجابًا). اهـ. الفرج بعد الشدة (١/ ٥٤).

(١٠) وقال العلامة القحطاني (ت٣٨٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في خاتمة نونيتِهِ المشهورةِ:

وأنـــا الـــذي حبَّرتُهـــا وجَعَلتُهـــا ... مَنُظـــــومةً كقلائِـــــدِ المَرْجـــــانِ
مـــع أنَّهـــا جمعَـــت عُلُومًـــا جَـمـــةً ... مـمَّـــا يَـــضيقُ لِـــشَرحِهَا ديـــوَاني
أبياتُهـــا مِثْـــلُ الحَدائِـــقِ تُجتَنَـــى ... سمعـــًا ولـــيس يَملُّهُـــنَّ الـجـــَاني
وكـــأنَّ رَسْـــمَ سُـــطُورِها في طِرْسِـــها ... وَشـــْيٌ تُنمِّـقُـــهُ أكُـــفُ غَـوَانـــِي

(١١) وقال المعافى بن زكريا الجريري (ت٣٩٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأودعته كثيرًا من فنون العلوم والآداب، على غير حصر بفصول وأبواب، وضمنته كثيرًا من محاسن الكلام وجواهره، وملحه ونوادره، وذكرت فيه أصولًا من العِلم أتبعتها شرح ما يتشعب منها، ويتصل بها بحسب ما يحضر في الحال، مما يؤمن معه الملال، ومن وقف على ما أتيت به من هذا، عَلِمَ أن كتابنا أحق بأن يوصف بالكمال والاستيفاء، والتمام والاستقصاء). اهـ. من الجليس الصالح (١/ ١٦٢).

(١٢) وقال أحمد بن فارس الرازي (ت٣٩٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والذي جمعناه في مؤلَّفنا هذا مفرَّق في أصناف - أي: تصانيف- العلماء المتقدمين). اهـ. من الصَّاحِبيُّ ص٣٥.

(١٣) وقال الحافظ عثمان بن سعيد الدّاني (ت٤٤٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في منظومة له في القراءات وعلوم التجويد اسمها: الأرجوزة المنبِّهة ص٨٣، جميلة جدا:

لِكَي تكُونَ هذِهِ الأرجُوزَه ... قد جَمَعَتَ جَوَاهِرًا مَكْنُوزَه

يَنتفِعُ القَارِئُ بِهَا والمُقرِي ... وكُلّ مَنْ دَرَى ومَنْ لا يَدْرِي

ما عَابَها لَحْنٌ ولا تصحِيفُ ... ولا خَطَاءٌ لا وَلا تحرِيفُ

لا لا ولا كَسْرٌ ولا إيطَاءُ ... ولا سِنادٌ لا وَلا إقْواءُ

يُقِرُّ بالفَضلِ لَهَا الجَميعُ ... وكُلُّ ما تضمنَّتْ بَدِيعُ

إن أُنشِدَت سُرَّ بها السُّنِّيُّ ... وَخَزِيَ الزَّنَدِيقُ وَالبِدْعِيُّ

لَيسَ لها في حُسنِهاَ نظِيرُ ... وكُلُّ نظْمٍ عِندَهَا حَقِيرُ

(١٤) وقال السمَّعاني (ت٤٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: مجموع غرائب أحاديث النبي ﷺ ص٢: (صنفتُ هذا الكتاب، جامعًا فيه ما تَفرقّ في غيرِهِ،..... وسمَّيتَهُ: مجموع غرائب الاحاديث، إذ كان لأكثرِها جَامعًا، وعَليهَا آتِيًا). اهـ.

(١٥) وقال أبو إسحاق القيرواني (ت٤٥٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ألَّفتُ له هذا الكتاب، ليستغني به عن جميع كتب الآداب).اهـ. من زهر الآداب وثمر الألباب (١/ ٣٩).

(١٦) وقال الحافظ ابن ماكولا (ت٤٧٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه القيم: الإكمال (١/ ٢): (لو كنت قد ذكرت ما في كُتُبهم وحدها، ولم أهذّب أغلاطها وأُسقِطُ ما لا يحتاج إليه منها، ولم أضف إلى ذلك شيئًا لكنت قد قربت طريقًا شاسِعًا وأزلت عناءً كثيرًا، فكيف وقد أضفتُ إلى ما ذكروا شيئًا كثيرًا لم يوردوه وحققتُ أشياء كانت مضطربة في كتبهم وأصلحت أوهامًا ظاهرة قد سطرت فيها على السهو).اهـ.

(١٧) وقال الحافظ الدّيلمي(ت٥٠٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الثناء على كتابه: الفردوس بمأثور الخطاب (١/ ٧): (لعمري إن من أدمن النظر في كتابي هذا يجد فيه من الفوائد ما لا يجد في عدّة كتب).اهـ.

(١٨) وقال الزمخشري (ت٥٣٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وهذا كتاب قصدت به إجمام خواطر الناظرين،.....فأخرجته لهم روضة مزهرة، وحديقة مثمرة متبرجة بزخارفها، مياسة برفارفها، تمتع برايع زهرها، وتلهي بيانع ثمرها، وتقر العيون بآنق مرآها،..... ومن خلا به استغنى عن كل جليس، ومن أنس به سلا عن كل أنيس).اهـ. من ربيع الأبرار ونصوص الأخبار (١/ ٢١).

(١٩) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ يمدح تفسيره الكشاف:

إِنَّ التَّفاسيرَ في الدنيا بلا عدد ... وليس فيها لعمري مثلُ كشَّافي

إِنْ كنت تبغي الهدى فالزم قراءتَهُ ... فالجهل كالداء والكشاف كالشافي

قلتُ: وأنا أقول إِن كنت تبغي الهدى فاحذر قراءتهُ، فإن صاحبه من أئمة المعتزلة الضُّلال، ولا تفتحه إلا بعد التمكُّن من العِلم النافع والتحصن بسلاح العقيدة الصحيحة السليمة من التأويلات الباطلة.

(٢٠) وقال أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الغرناطي(ت٥٧٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قرَّبت طريق علم الوثائق تقريبًا لم أُسبق إليه، ولا نبّه أحد منهم عليه، واختصرت مسائل من الفقه منتخبة، وجمعت فيها أنواعًا مُستعذبة).اهـ. الوثائق المختصرة ص٤٦.

(٢١) وقال ابن الجوزي(ت٥٩٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (هذا الكتاب يتميز عن كل كتاب يُصنَّف في الغريب، لأن تلك تشتمل على غريب اللفظ فقط، وهذا على غريب اللفظ والمعنى، وقد حوى ما صح من المنسوخ إلى غير ذلك من الفوائد التي لم تجمع في مثله).اهـ. من تذكرة الأريب في تفسير الغريب (١/ ٥٠).

(٢٢) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة كتابه: نزهة الأعين النواظر في عِلم الوجوه والنظائر ص١٢: (جمعت في كتابي هذا أجود ما جمعوه).اهـ.

(٢٣) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: الحدائق في علم الحديث والزهديات (١/ ٢٣) يمدح كتبه في تفسير القرآن: (ومن اطَّلع على كُتُبي المؤلفة في التفسير، عرف الفرق).اهـ.

(٢٤) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الحدائق (١/ ٢٨): (انتخبنا فيه غُرر المنقولات ودُرر المقولات).اهـ.

(٢٥) وقال ابن القطان الفاسيِّ (ت٦٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: بيان الوهم والإيهام (٢/ ١٦): (فيه من التنبيه على نكت حديثية، خلت عنها وعن أمثالها الكتب،.... وقد كاد يكون مما لم نُسبق إلى مثله في الصناعة الحديثية).اهـ.

(٢٦) وقال ابن الأثير(ت٦٣٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة كتابه: الكامل في التاريخ (١/ ٦): (جمعت في كتابي هذا ما لم يجتمع في كتابٍ واحدٍ، ومن تأمّله علم صحّة ذلك).اهـ.

(٢٧) وقال ابن دِحْية الكلبيِّ(ت٦٣٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الرائع: الآيات البيّنات في ذكر ما في أعضاء رسول الله ﷺ من المعجزات ص٢٠٠: (هو كتابٌ يزهُو على

المصنفات، لم يأت أحدٌ بمثله ولا هو آتٍ!!!) اهـ.

(٢٨) وقال ابن الصلاح (ت٦٤٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: أدب المفتي والمُستفتي ص٧٠: (في تأليف كتابٍ في الفتوى،..... جامعًا فيه شمل نفائس التقطتُها من خَبَايَا الرَّوايا وخَفَايا الزَّوايا، ومُهِمَّاتٍ تقرُّ بها أعينُ الفقهاء).اهـ.

(٢٩) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: علوم الحديث (١/ ٤٤): (هذا الذي باح بأسرارِهِ الخفيَّة، وكَشَفَ عن مُشكلاتِه الأبيَّةِ وأحكم مَعاقِدهُ، وقعَّد قواعِدَهُ، وأنار مَعالِمَهُ، وبَيَّن أحكَامَهُ..... إلخ).اهـ.

(٣٠) وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: صلة الناسك في صفة المناسك، ط: الجامعة الإسلامية،ص ٥٩ ما نصه: (وأجمع فيه مُستعينًابالله ومُلتجئًا إليه من الفوائد والمهمات ما لا أعلمه أجتمع مثله في شيءٍ من المناسك المصنفات). اهـ.

(٣١) وقال عبد الرّزاق الرّسعني الحنبلي (ت٦٦١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد إجابته عن إشكال في آية: (وقل أن يُذكر مثل هذا التحرير في تفسير، ولكن هذا من السِّر المكنون الذي لا يَظهر إلا بالبحث والتقرير). اهـ. من تفسيره رموز الكنوز (١/ ٣٢٤).

(٣٢) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في خاتمة منظومته: (دُرة القاري للفرق بين الضاد والظاء ص٥٨).

وَقَـد تَقـضَّتْ بحَمـدِ اللهِ مُودَعَـةً ... حُـسْنَ البَيـانِ بـلاَ عَـيْبٍ وَلا أَفَـنِ

شُـعَاعُ أنوارِهَـا يَحكـي ذُكـاءَ وتجلـوا ... ما عَـلَى القَلْـبِ مـن شَـكٍّ ومِـن دَخَـنِ

(٣٣) وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مدح تفسيره المُسمّى: رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز: (من أمثل التفاسير تهذيبًا، وأجملها ترتيبًا، وأجودِها جَمعًا، وأعودِها نفعًا، وأوفاها بالمقاصد، وأنفاها للمفاسد..... إلخ). اهـ. من الجزء المفقود ص٢٣.

(٣٤) وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ يمدح نفسه وعِلمه: (قَـلَّ أن ترى مثل هذا التدقيق والتحقيق في تفسير، فإذا قرأته فادْعُ بالرحمة والمغفرة لمن أسهَر فيه ناظره، وأتعب في استشماره خاطره، واعلم أنني بعد ذلك رأيت بعض نَحارِير العلماء قـد ألـمّ بهذا المعنى، فحمدتُ الله على مماثلته في التوفيق، لإصابة جهة التحقيق). اهـ. من رموز الكنوز (٧/ ٥٢٤).

(٣٥) وقال العلامة أبو شامة المقدسي (ت٦٦٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (هذه الفصول التي ذكرناها فصولٌ حسنةٌ كثيرةُ الفوائد، مجموعةٌ من عدَّة مصنّـفاتٍ، ينبغي لكلّ من يعتني بالعِلم النّظرُ فيها والإطـلاعُ عليها). اهـ. من خُطبةُ الكتاب المؤمَّل ص١٥١.

(٣٦) وقال محمد بن عبد الله بن مالك الطائي (ت٦٧٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدّمة الّـفيته المشهورة بـ: (الخُلاصة):

تُقـرّبُ الأقـصى بلفـظٍ مُوجَـزِ ... وتبـسُطُ البَـذلَ بوَعـدٍ مُنَجـزِ
وتَقتـضي رِضًـا بِغَـيرِ سُـخطِ ... فائِقـةً ألفيّـةَ ابـنِ مُعْطِـي

(٣٧) وقال الحافظ النووي (ت٦٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُـثـني على كتابه الأذكار قـائـلًا: (الذي لا يستغني مُتدين عن مثله).اهـ. من شرحه على صحيح مسلم (٢/ ١٨٠).

(٣٨) وقال محمد بن عبد القوي المرداوي (ت٦٩٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في خاتمة ألفيّتِهِ الداليَّة في الآدابِ الشرعية:

وَقَـد كَمُـلت والحمـدُ لله وَحـدَهُ ... عـلى كُـلِّ حـالٍ دائـمًا لم يُـصرَّدِ
عَروسًا سَمَتْ شَمْسَ الـضُّحى حنبليـةً ... تـآزَرُ بـالنورِ الْمُبـينِ وترتَـدِي
فـمَـا روضـةٌ حُفـتَّ بنَـور ربيعهـا ... بسَلـسَالها العَـذب الـزلالِ الْمُـبرَّدِ
بأحَـسنَ مـن أبياتِهـا ومـسائلٍ ... أحاطـت بهـا يومًـا بغَـيرِ تـردُّدِ
فـلا تَرْعَـوِي عَـنْ حِفظِهـا فَهَـي دُرَّةٌ ... يتيمـةٌ استخلـصتُها في التنقُّـد

(٣٩) وقال أحمد بن الزّبير الثقفي الغرناطي (ت٧٠٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: البُرهان في تناسب سور القرآن ص٧٧: (كَمُل لي بفضل الله الأمل من جليل هذا العمل، غريبًا في بابه، رفيعًا في نصابه).اهـ.

(٤٠) وقال ابن جزيّ الكلبي (ت٧٤١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (صنفتُ هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم،..... -وفيه فوائد منها- ذكرُ نكت عجيبة وفوائد غريبة قلَّما توجد في كتاب).اهـ. من التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٦).

(٤١) وقال الذهبي (ت٧٤٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: ميزان الاعتدال (١/ ٤٥): (هذا كتابٌ جليلٌ مبسوط).اهـ.

(٤٢) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة تأريخه العظيم: (أما بعد فهذا كتاب نافع إن شاء الله، ونعوذ بالله من عِلم لا ينفع، ومن دعاء لا يسمع، جمعته وتعبت عليه، واستخرجته من عِدّة تصانيف). اهـ.

(٤٣) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة الكاشف: (هذا مختصر نافع في رجال الكُتب الستة). اهـ.

(٤٤) وقال العلامة المحقق ابن القيم (ت٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي لا أعلم أحدًا، أكثر منهُ ثناءً على كتبهِ وبحوثِهِ وتقريراتِهِ، فيما وقفتُ عليه من كلام أهل العِلم، وتنوَّعت عباراته رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك فمنها، قوله: (ذكرنا في هذه المسالة من النقول والأدلة والنُّكت البديعة ما لعلَّه لا يوجدُ في شيءٍ من كتب المصنِّفين). وقال: (تأمل هذه الأسرار التي أدناها يساوي رحلة)..

(٤٥) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفصل السابع من الصواعق: (هذا فصل بديع لمن تأمله). وقال: (تدبَّر هذا السرَّ الذي لو لم يكن في هذا التعليق غيره لكان كافيًا، فكيف وفيه من الأسرار والفوائد ما لا يوجد عند أبناء الزمان).، وقال: (ولا تظفر به مجموعًا في كتابٍ واحدٍ غير هذا البتة).، وقال: (فتدبر هذا الفصل، فإنه من الكنوز في هذا

الكتاب، وهو حقيقٌ بأن تثنى عليه الخناصر). وقال: (وهذا الفصل من أجلّ فصول الكتاب، وأنفعها لكل أحد، وهو حقيق بأن تثنى عليه الخناصر، ولعلك لا تظفر به في كتاب سواه)..

(٤٦) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وصف كتابه: مفتاح دار السعادة: (وهو كتابٌ بديعٌ في معناه). وقال: (قد جُلِبت إليك فيه نفائس في مثلها يتنافس المتنافسون وجُلِيت عليك فيه عرائس إلى مثلهنَّ بادرَ الخاطبون)..

(٤٧) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: التبيان في أيمان القرآن: (هذا كتابٌ صغير الحجم، كبير النفع)..

(٤٨) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: عدة الصابرين: (فجاء كتابًا جامعًا حاويًا نافعًا، فيه من الفوائد ما هو حقيق أن يُعضَّ عليه بالنواجذ،.....وغير ذلك من الفوائد التي لا يكاد يُظفر بها في كتاب سواه)..

(٤٩) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: الوابل الصيِّب: (وذكرنا قريبًا من مائة فائدة تتعلَّق بالذكر، كلُّ فائدةٍ، منها لا خطَر لها، وهو كتاب عظيم النفع جدًا).

(٥٠) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النونية يمدح صواعقه:

ولقد ذكرنا أربعين طريقة ... قد أبطلت هذا بحُسن بيان

هي في الصواعق إن ترد تحقيقها ... لا تختفي إلا على العميان

(٥١) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: جلاء الأفهام: (وهو كتاب فرد في معناه لم يُسبق إلى مثله في كثرة فوائده وغزارتها،..... ومَخْبرُ الكتابِ فوق وصفه). إلى غير ذلك من العبارات التي هو أحقَّ بها وأهلَهاَ، وأنا أشهد بكُل ما قال غفر الله له.

(٥٢) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة تهذيبه لِسُنن أبي داود: (لعل الناظر المجتهد لا يجدها في كتابٍ سواه فهي جديرة بأن تُثنى عليها الخناصر ويُعض عليها بالنواجذ)..

(٥٣) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: شفاء العليل: (فيا أيها المتأمل له الواقف عليه، لك غنمه، وعلى مؤلفه غرمه، ولك فائدته، وعليه عائدته، فلا تعجل بإنكار ما لم يتقدم لك أسباب معرفته، ولا يحملنك شنآن مؤلفه وأصحابه على أن تُحرم ما فيه من الفوائد، التي لعلّك لا تظفر بها في كتاب، ولعل أكثر من تُعظمه ماتوا بحسرتها، ولم يصلوا إلى معرفتها، والله يقسم فضله بين خلقه بعلمه وحكمته وهو العليم الحكيم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم). اهـ.

(٥٤) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: جلاء الأفهام: (ولو لم يكن في كتابنا هذا إلا هذا الفصل وحده، لكفى من لهُ ذوق ومعرفة). اهـ. جميع هذه من كتبه: (طريق الهجرتين / الوابل الصيِّب / الفوائد / مدارج السالكين / بدائع الفوائد / زاد المعاد / مفتاح دار السعادة / الروح / وغيرها)..

(٥٥) وقال صلاح الدين العَلائي الشافعي (ت٧٦١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: المجموع الـمُذهب في قواعد الـمَذهب (١/ ١١): (استخرت الله تعالى، وسألته الهداية إلى الصواب، في جمع هذا الكتاب، المميز للقشر عن اللباب، في هذا النوع البديع والأسلوب الصنيع).اهـ.

(٥٦) وقال ابن كثير (ت٧٧٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه حجَّة الوداع: (نحن نُورد بحمد الله وعونِهِ، وحُسن توفيقه ما ذكره الأئمةُ في كتبهم من هذه الروايات، ونَجمعُ بينها جمعًا يُثلِجُ قلبَ من تأمَّله، وأنعم النَظَر فيه، وجَمع بين طَريقتْي الحديثِ وفهم معانيه). اهـ. من البداية والنهاية (٧/ ٤٠٤).

(٥٧) وقال يوسف بن محمد العبادي الحنبلي (ت٧٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في منظومته: نهج الرشاد في نظم الاعتقاد، والتي نشرها الأستاذ: هلال ناجي ضمن أربعة نصوص إسلامية نادرة، طبعة القيروان للنشر ببغداد ص٧٢، قال:

وسّـــميتُها نهـــجَ الرشـــاد لكونهـــا تفـــوق بـــنظم الاعتقـــاد عـــلى الـــدُرِّ

(٥٨) وقال محمد البَعليُ (ت٧٧٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه التسهيل: (هذا مختصرٌ في الفقهِ على مذهبِ الإمامِ المبجَّلِ، والحَبْرِ المفضَّل أبي عبدِ الله أحمدَ بنِ محمدِ بنِ حنبلٍ، رضي الله عنه وأرضاه، وجعلَ الجنة مأواه، جعلته على القولِ الصحيح، مما اختارهُ مُعْظَمُ الأصحابِ، تسهيلًا على الطلابِ، وتذكرةً لأولي الألبابِ، مَعَ كثرةِ عِلْمِهِ، وقِـلَّـةِ حَجْمِهِ). اهـ. فقه الدليل شرح التسهيل (١/ ٢٦).

(٥٩) وقال الزركشي(ت٧٩٤هـ)رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَصِفُ كتابه: لقطة العجلان وبلة الظمآن ص٣٩: (هذه أوراق يقرب منها المتناول، ويقصر عنها المتطاول، توقف على المطولات في الزمن القصير مواليها وتربو بالغرائب والعجائب فلا تساويها). اهـ.

ينْسى لهـا الراكـبُ العَجْـلانُ حاجتَـه ويـصبحُ الحاسـدُ الغـضْبانُ يطرْيهَـا

(٦٠) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة كتابه: البرهان في علوم القرآن: (كتاب في ذلك جامع لما تكّلم الناس في فنونه، وخاضوا في نكته وعيونه، وضمنته من المعاني الأنيقة، والحكم الرشيقة، ما يهزّ القلوب طربًا، ويبهر العقول عجبًا). اهـ.

(٦١) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: خبايا الزوايا: (فهذا كتاب عَجِيب وَضعه، وغريب جمعه). اهـ.

(٦٢) وقال ابن الملّقن (ت٨٠٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في خاتمة: التذكرة في علوم الحديث ص٢٧: (هذا آخِـرُ التَّذكِرةِ وهي عُجالةٌ للمبتدي فيه ومَدخلٌ للتأليف السَّالِـفِ المُشار إليه أولًا، فإنَّهُ جامعٌ لفوائِدِ هذا العِلمِ وشواردِهِ ومُهَّماتهِ وفرائِدِهِ).اهـ.

(٦٣) وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الكبير: التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٣٣/ ٥٩٧): (واعلم أيها الناظر في هذا الكتاب أنه نخبة عمر المتقدمين والمتأخرين إلى يومنا هذا).اهـ.

(٦٤) وقال محمد بن سليمان البكري المصري (كان حيًّا عام ٨٠٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (شرعت في جمع هذا الكتاب، مختصرًا من كلام ذوي الألباب، قليل حجمه، كثير فوائده، وقد أوضحته بحيث لا يشكل على منتهي، ولا يعجم على مبتدي). اهـ. من الاستغناء في الفروق والاستثناء (١/ ١٠٩).

(٦٥) وقال ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وصف كتابه المشهور: بمقدمة ابن خلدون ص١٤: (هذا الكتابُ فَذًّا بما ضَمَّنتُهُ من العُلوم الغريبةِ والحِكَمِ المحجوبَةِ القريبَةِ). اهـ.

(٦٦) وقال محمد بن علي الموزعيّ اليمني الشافعي (ت٨٢٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (استخرت الله الكريم الحكيم العليم في تصنيفٍ صغيرٍ حجمُه، خفيفٍ حملُه، كثيرٍ نفعُهُ، كبيرٍ قدْرُه). اهـ. من تيسير البيان لأحكام القرآن (١/ ٤).

(٦٧) وقال محمد بن إبراهيم الوزير (ت٨٤٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن كتابه: العواصم والقواصم، ما نصه: (اشتمل على علومٍ كثيرةٍ، وفوائد غزيرة، أثريَّة ونظريّة، ودقيقة وجليلة، وجدليّة وأدبيّة، وكلُّها رياض للعارفين نضِرَة، وفراديس عند المحققين مُزهرة). اهـ. من الروضُ الباسم ص١٨.

(٦٨) وقال البقاعي الشافعي (ت٨٨٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فوضعت هذا الكتاب، الحال من ذروة الصواب، وقمة الحق أعلى جناب). اهـ. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السُّور (١/ ١٠١).

(٦٩) وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مدح كتابه الآخر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: (لـمّـا منَّ الله وله الحمد عليَّ بصوغي لكتاب: المناسبات بين السور والآيات، بل الجمل والكلمات، الذي لم تسمح الأعصار بمثله حقيقة غير غلو، ولا نسج ناسج على منواله وشكله، إخبارًا بالحق من غير فخر ولا علو، فإنه أخرج من كتاب الله تعالى

خفايا أسرار ما ظفر بها أحد، وأبدى غرائب أنوار ما عثر على بارق منها ولا وجد،.... إلخ). اهـ. من مصاعد النظر (١/ ١٠١).

(٧٠) وقال العلامة المرداوي الحنبلي (ت٨٨٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فنذكر أمهات جميلة، ودقائق جليلة، خلت عنها أكثر المطولات). اهـ. التحبير شرح التحرير في أصول الفقه (١/ ٤).

(٧١) وقال محمد بن عبد الله الخيضري (ت٨٩٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (هذه دُرر فاخرة، وروضات زاهرة، يَقرُّ بها الناظر، وينشرح لها الخاطر).اهـ. اللفظ المكرم بخصائص النبي ﷺ (١/ ٥٧).

(٧٢) وقال محمد بن عبدالرحمن الأيجي الشافعي(ت٨٩٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فها قد تمَّ تفسيرٌ لاح النور من خلاله وفاح المسك من أذياله، قد حلَّ عقد المغلقات بما قيَّد، وبيَّض وجه المشكلات بما سَوَّد،..... ثُم اعلم أن ما يحتويه أكثر التفاسير ترى في هذا التفسير مع معانٍ صحيحةٍ نفيسةٍ لم تجد في كثير منها).اهـ. جامع البيان في تفسير القرآن ص٣٢.

(٧٣) وقال السخاوي(ت٩٠٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة شرحه ص٢٧ على كتاب النووي المُسمى: التقريب والتيسير في معرفة سُنن البشير النذير: (هذا توضيحٌ مفيدٌ وتنقيحٌ سديدٌ).اهـ.

ومدحه أيضًا السخاوي نفسه في كتابه: الضوء اللامع (٨/ ١٦) قـائـلًا: (وشرح التقريب للنووي في مجلد متقن).اهـ.

(٧٤) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابِهِ: القول البديع ص٤١: (المرجوُّ من فضل ذي المنّ والجُود، أن يكون هذا التأليف إمامًا في كثرة الجمع، وحائزًا لـجُـلِّ المقصود).اهـ.

(٧٥) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الثناء على كتابه: فتح المغيث: (لا يُعلم في هذا الفن، أجمع منه ولا أكثر تحقيقًا لمن تدبّـره). اهـ. من الضوء اللامع (٨/ ١٦).

(٧٦) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن كتابه: الجواهر المجموعة والنوادر المسموعة ص١٣: (هذا كتابٌ نفيسٌ مختصر، من الحديث النبوي والأثر).اهـ.

(٧٧) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب: عُمدة المحتج في حكم الشطرنج ص٢٩: (فهذا جزءٌ من الشطرنج فائقٌ في الكمال، استوعبت فيه ما وقفت عليه من الآثار والأقوال، وأتيتُ به بنفائس لا نظير لها ولا مثال).اهـ.

(٧٨) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: السر المكتوم ص ١٥٥، بعدما حرَّر القول في التفصيل بين المالين المحمود والمذموم، ما نصه: (وهذه الفائدة رحلة). اهـ.

(٧٩) وقال العلامة السيوطي (ت٩١١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة منظومته في الحديث والأثر:

وهـــذهِ ألْفيَّـــةٌ تَحكـــي الـــدُّرَرْ منَظْومـــةٌ ضـــمَّنتها علـــم الأثـــر
فائقـــةٌ ألفيـــة العـراقـــي في الجمـــع والإيجـــاز واتـــساقِ

(٨٠) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: الإتقان في علوم القرآن (١/ ٧): (هذا الكتاب العلي الشأن الجلي البرهان، الكثير الفوائد والإتقان).اهـ.

(٨١) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موضع آخر (١/ ٧٧)، بعد أن ذكر أسماء سورة الفاتحة: (هذا ما وقفت عليه من أسمائها ولم تجتمع في كتابٍ قبل هذا).اهـ.

(٨٢) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موضع آخر أيضًا (١/ ٢٠٠)، بعد أن ذكر مجموعة من الآيات التي وقعت في القرآن بغير لغة العرب: (فهذا ما وقفت عليه من الألفاظ المعربة في القرآن بعد الفحص الشديد سنين ولم تجتمع قبل في كتاب قبل هذا).اهـ.

(٨٣) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فليس في الإسلام قطر إلَّا وقد وصلت تصانيفي إليه، ولا مصر إلّا وتجد شيئًامن كُتبي لديه، ووصلت إلـيَّ من علماء الأَمصار المطالعاتُ

والرسائل، ما بين راغبٍ في تأليفي وطالبٍ لجواب ما بعَث به من الفتاوي والمسائل). اهـ. من مقامة طرز العمامة في التفرقة بين المقامة والقمامة، ضمن شرح مقاماته، ص ٦٨٧.

(٨٤) وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كُتبي التي أصوغها صوغ الذهب، وأنزهها من الفحش والسفه والرِّيب، وأملؤُها بالفوائد ما بين مسطور ومقتضب، فلا أفرغ من مسودتها إلّا وقد ازدحمت عليها الناس، وتداولها الفضلاء والأَكياس، وبذلوا في تحصيلها ما حوته الأَكياس، ثم تطبق الدُّنيا بعدًا وقربًا، وتسير إلى الآفاق شرقًا وغربًا). اهـ. من مقامة الدوران الفلكي على ابن الكركي، ص ٣٩٧.

(٨٥) وقال أحمد بن حجر الهيتمي (ت٩٧٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: الدر المنضود في الصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود ص٤٠: (كتابي هذا، مع زيادات عليه إليها يفتقر العاملون، وعليها يعوِّل المحققون،..... بتحرير بديع وأسلوب منيع).اهـ.

(٨٦) وقال مرعي بن يوسف الكَرميَّ (ت١٠٣٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (هذه فوائد مشرقات، وفرائد متفرقات، بعد التفرق مجتمعات، في الكلام على قول رب السموات ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾، بحسن عبارات، ورمز إشارات، يلذ بمعانيها معانيها، ويظفر بما فيها موافيها). اهـ. الكلمات البينات ص٣٩.

(٨٧) وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: قلائد المرجان في الناسخ والمنسوخ من القرآن ص٩١: (هذه عرائس تجلى للناظرين، ونفائس تشرى بالدر الثمين، جمعت فيها آيات الناسخ والمنسوخ).اهـ.

(٨٨) وقال أيضًارَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: تلخيصُ أوصاف المصطفى وذِكرُ مَن بَعدهُ مِنَ الخُلفا ص ١١٨، ما نصه: (ولم أذكر في هذا المجموع اللطيف، إلا ما كان صحيحًا أو حسنًاعند المحدِّثين،..... فصار مجتمعًا فيه ما هو في كتبٍ كثيرةٍ غيره). اهـ.

(٨٩) وقال أبو بكر بن أحمد بن أبي القاسم الأهدل (ت١٠٣٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في منظومته الموسومة بـ: تُحفة النُّسَّاك بنظمُ متعلَّقاتِ السِّواكِ، ضمن: لقاء العشر الأواخر، رسالة(٨٤)ص١٤.

وبعـــــد إن هـــــذه أرجـــــوزة ... نافعـــــةٌ فائقـــــةٌ وجـــــيزة

تـــــضمَّنت مـــــسائل الـــــسواكِ ... فلُقِّبـــــت بتحفـــــة النُّـــــسَّاكِ

جمعتُهـــــا ممـــــا حكـــــاه العُلـــــما ... مفرَّقًـــــا في كتـــــبهم كـــــي يُعْلَـــــما

(٩٠) وقال نجم الدين الغزِّي (ت١٠٦١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (هذا كتاب كريم تطمئن إليه قلوب الأتقياء، وتنشرح له صدور الفضلاء، وتنبسط به أرواح الأولياء،..... وهو كتاب لم أُسبق فيما أعلم إلى جمعه وترتيبه، ولم أُزاحم على اختراعه وتهذيبه، ولا وجدت من جاء في بابه بمثله ولا على أسلوبه). اهـ. حُسن التَّنبُّه لما ورد في التَّشبُّه (١/ ٦)، وقد صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ بذلك، فهو كتابٌ نفيس جدًا، أنصح كل طالب علم بإقتنائه وقراءته، وقد استغرق في تأليفه قُرابة أربعة عقود، كما صرَّح بذلك في (١٢/ ٣٧٥).

(٩١) وقال عبد الله بن محمد الشّبْراوي (ت١١٧١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة نظمه في القواعد العربية:

يـــا طالِـــبِ النّحـــوِ خُـــذ مِنِّـــي قَواعِـــدَهُ ... مَنظُومَـــةً جُمْلَـــةً مِـــنْ أحْـــسَنِ الجُمَـــلِ

(٩٢) وقال الأمير الصنعاني(ت١١٨٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: توضيح الأفكار (١/ ٩): (كتبتُ عليه ما هو قرة لعين طالب التحقيق، ولا يُستغنى عنه إلا من يستغنى بمجرد التصور عن التصديق).اهـ.

(٩٣) وقال السفاريني (ت١١٨٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الثناء على كتابه: البُحُور الزاخرة في علوم الآخرة (١/ ٥): (لا يسأمُه الجليس، ولا يملُّه الأنيس، مشتمل من بديع الفوائد وفرائد القلائد، على ما يعسر تحصيله على الطلاب في سوى هذا الكتاب).اهـ.

(٩٤) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ شِعرًا في كتابه: بُغية النُّساك في أحكام السِّواك.

إن رُمْـــت إدراك الحقـــائق والـــذي ... قـــد قيـــل عنـــد ذوي النهـــى بـــسواكِ

فـدعِ التكاسـل واحفـظ العِلـم الـذي ... أودعتُـــــهُ في بُغيـــــة النُّـــــساك

(٩٥) وقال محمد مُرتضى بن محمد الزَّبيديُّ (ت١٢٠٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مدح كتابه: حكمة الإشراق إلى كُتَّاب الآفاق، الذي طبعه عبد السلام بن هارون رَحِمَهُ ٱللَّهُ قديمًا، ضمن سلسلة نوادر المخطوطات: (وهو غريب في بابه، يستوقف الراتع في مريع هضابه). اهـ. المعجم المختص ص١٩٦.

(٩٦) وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فجاء بحمد الله تعالى هذا الشرح واضح المنهج كثير الفائدة سهل السُّلوك موصول العائدة آمنًا بمنّة الله من أن يصبح مثل غيره، وهو مطروح متروك عظُم إن شاء الله تعالى نفعه بما اشتمل عليه وغني بما فيه عن غيره وافتقر غيرهُ إليه... فجاء بحمد الله وفق البُغية وفوق المُنية بديع الإتقان صحيح الأركان سليمًا من لفظه لو كان حللتُ بوضعه ذروة الحفاظ وحللتُ بجمعه عُقدة الألفاظ). اهـ. من تاج العروس (١/ ٥).

(٩٧) وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مدح رسالة ألَّفها اسمها: مُزيلُ نِقابِ الخَفا عن كُنى ساداتِنا بَني الوفا، ما نصه: (فليُراجِعها فإنَّها نفيسةٌ في بابها لم أُسبَق إليها). اهـ. من تاج العروس (٣٩/ ٤٢٢)

(٩٨) ولهُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أرجوزة في الفقه تُسمى: (المنهج القويم)، ذكرها في المعجم المختص ص ١٨٧، مطلعها:

الحمـــــدُ لـلإلـــــهِ ذي الإنعـــــام ... مـــــشرِّع الحـــــلالِ والحـــــرام

إلى أن قال:

أرجـــوزةً مفيـــدةً للطالـــبِ معينـــةً لفهـــم كـــلِّ راغـــبِ
بديعـــةً رائقـــةَ المعـــاني وقـــدرَها يعـــرفُ كُـــلُّ عانِـــي

(٩٩) وقال محمد التاودي بن سودة المري المغربي (ت١٢٠٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (هذا مصنف رفيع، ومؤلف بديع). اهـ. كشف الحال عن الوجوه التي ينتظم منها بيت المال ص١٥.

(١٠٠) وقال العلامة الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة نيل الأوطار: (قد قمت ولله الحمد في هذه المقامات مقامًا لا يعرفه إلا المتأهلون، ولا يقف على مقدار كنهه من حملة العِلم إلا المبرّزون، فدونك يا من لم يذهب ببصر بصيرته أقوال الرجّال، ولا تدنَّست فطرة عرفانه بالقليل والقال، شرحًا يشرح الصدور، ويمشي على سنن الدليل وإن خالف الجمهور). اهـ.

(١٠١) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: الفوائد المجموعة ص٤: (فمن كان عنده هذا الكتاب، فقد كان عنده جميع مصنفات المصنِّفين في الموضوعات).اهـ.

(١٠٢) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مدح كتابه: الدَّراري المضيَّة.

إن شـــئت فـــي شرع النبـــي تقـــدح بزنـــد فيـــه داري
فـــاعكف علـــى الـــدرر التـــي سُـــلكت بـــسِمط مـــن دراري

(١٠٣) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة شرحه على كتابه الدُّرر البهيّة في المسائل الفقهية المشهور بالدراري المضيّة، ما نصه: (فنسبة هذا المختصر إلى المطولات من الكتب الفقهية، نسبةُ السبيكة الذهبية إلى التربة المعدنية). اهـ.

(١٠٤) وقال العلامة الألوسي (ت١٢٧٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (آن وقتُ الشروع في المقصود، مقدِّمًا عليه عدَّة فوائد يليق أن تُكتبَ بسواد العيون على صفحات الخدود).اهـ. روح المعاني (١/ ١٠٢).

(١٠٥) وقال أبو الحسنات محمد اللكنويِّ (ت١٣٠٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (التزمتُ بذكر مذاهب الأئمة المختلفة، مع الإشارة إلى دلائلها بقدر الضرورة، وترجيح بعضٍ على بعض، ولـعمري إنها طريقةٌ حسنة، قلَّ من يسلُـكها في زماننا). اهـ. التعليق الممجَّد على مُوطأ الإمام محمد (١/ ٢١).

(١٠٦) وقال صدِّيق بن حسن القنوجي (ت١٣٠٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: أبجد العلوم: (قد جاء بحمد الله تعالى، في بابه بديع المثال، منيع المنال، مبدئ العجب العجاب.....إلـخ).اهـ.

(١٠٧) وقال أبو البركات نُعمان الألوسي البغدادي (ت١٣١٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أظنني قد أتيت والحمد لله تعالى بما هو في هذا الوقت دريـاقٌ لأهل العراق، بل الآفاق، وقد جمعتهُ من عدَّةِ أسفار، غدت كالشَّمسِ في رابعةِ النهار).اهـ. غالية المواعظ ومصباحُ المتَّعظ وقبسُ الواعظِ ص٨٢٤.

(١٠٨) وقال جمال الدين القاسمي (ت١٣٣٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولكن وجدت عندي في ذلك منثور أوراق، فاحـببت أن أنظمها منتخبًا منها ما رق أو راق، إذ لا تخلو من فوائد يُعترَف بفضلها، ويغترف من عذب منهلها).اهـ. رسالة في الشاي والقهوة والدخان ص٢.

(١٠٩) وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي (ت١٣٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في خاتمة كتابه: القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن ص١٤٢: (وقد يَسَّر الله ما مَنَّ علينا بجمعه، فجاء ولله الحمد على اختصاره ووجازته ووضوحه، كتابًا يسُر الناظرين، ويعين على فهم كلام رب العالمين، ويبدي لأهل البصائر والعلم من المآخذ والمسالك، والطرق، والأصول النافعة، ما لا يجده مجموعًا في محل واحد، ومَـخْبَرُ الكتاب يغني عن وصفه). اهـ.

(١١٠) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: تيسير الكريم الواحد في شرح عقد الفرائد وكنز الفوائد (٢٠/ ٦٠٢)،ضمن مجموعة مؤلفاته الكاملة التي طبعتها مؤسسة العنود الخيرية: (والمطلوب ممن طالع هذا الكتاب، أو نظر فيه، أو استفاد منه، دعوةٌ لمؤلفه بالعفو والغفران، فإنه قد كفاه المؤنه والتعب في جمع نقولات ومسائل، لعلّها لم تجتمع في كتاب سواه).اهـ.

(١١١) وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: الإرشاد إلى معرفة الأحكام ص٣: (هذا تأليف بديع المنزع، سهل الألفاظ والمعاني، حسن الترتيب).اهـ.

(١١٢) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مدح كتابه: القواعد والأصول الجامعة: (وهو مفيد في الفقه). اهـ. الأجوبة النافعة عن المسائل الواقعة ص٢٨٢.

(١١٣) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في خاتمة: طريق الوُصول إلى العِلم المأمُول: ما نصه: (هذا المجموع الجليل الذي حوى من الأصول المهمة، والقواعد المتنوعة، ما لم يحوه كتاب،.. ومَـخـبـرُه يُغني عن وصفه). اهـ.

(١١٤) وقال محمد عبد الحيَّ الكتَّاني المغربيِّ (ت١٣٨٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فإليكم معاشر الآتين وأرواح أفراد من الماضين، أسوق هذه المجموعة النفيسة).اهـ. التراتيب الإدارية (١/ ١١٨).

(١١٥) وقال الإمام العلامة الكبير الألباني (ت١٤٢٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: قصة الغرانيق: (قد حققت ذلك رواية ودراية بما لم أُسبق إليه). اهـ. صحيح السيرة النبوية ص٢٠٦، حاشية (١).

(١١٦) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وصف كتابه: حجاب المرأة المسلمة ص٤ بطبعته الخامسة: (فإنهم مع إعجابهم بالكتاب وأسلوبه العلمي، وقوة حجته، ونصاعة برهانه).اهـ.

(١١٧) وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُـثـنـي كثيرًا على بحوثه الفريدة فيقول مثلًا: (كما حققته في تمام المنة، تحقيقًا قد لا تراه في غيره ولله الفضل والمنة). (تحقيق سماع الحسن البصري للحديث من عبد الله بن مغفل، بما لا تجده في مكان آخر والحمد لله). (في كتابي الفذ في أسلوبه، مختصر البخاري). (كما حققته في الصحيحة تحقيقًا ربما لا تراه في مكان آخر). اهـ. من كتبه: الأدب المفرد برقم (١٢٣٦)حاشية (١)، والسلسلة الصحيحة برقم (٣٢٨٦)، والسلسلة الضعيفة برقم (٦٠٤٩و ٦١٠٣)، والضعيفة (١/ ٣) المقدمة للطبعة الجديدة بدار المعارف للنشر، وتحقيقه لسُنن ابن ماجه ص٨ المقدمة من طبعة المعارف، والمجلد الأول من السلسلة الصحيحة ص ٣٨٤ القسم الأول منه.

(١١٨) وقال الفقيه الكبير محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فهذه ستة أقسام لأفعال الرسول ﷺ، قـلّ أن تجدها محصورة في كتاب معيّن، أو في مكان معيّن، بل تجدها مُـشـتـتـة في كلام أهل العلم).اهـ. منظومة أصول الفقه وقواعده ص١٢٣.

(١١٩) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالته عن الحجاب: (هي صغيرة الحجم، لكنها كبيرة المعنى). اهـ.

(١٢٠) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالته عن حكم تارك الصلاة: (هي صغيرة الحجم، كبيرة الفائدة). اهـ. فتاوى نور على الدرب.

(١٢١) وقال الشيخ محمد بن علي بن آدم الأتيوبي حفظه الله في شرحه الكبير على سُنن النسائي المُسمى: ذخيرة العُقبى (١/ ٦): (فيا طلاّب عِلم الحديث، أهلًا ومرحبًا بكم في رحاب كتاب نفيس، رائق الحديث لكلّ جليس).اهـ.

(١٢٢) وقال الشيخ المفيد العلامة زيد بن محمد بن هادي المدخلي (ت١٤٣٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يَـصِـفُ شرحه المطبوع على حائية ابن أبي داود في السُّنة، قـائـلًا: (ولا

يعيب الكتاب صغر حجمه، فكم من درر توجد في النهر).اهـ. نثر الورود على حائية ابن أبي داود ص٩.

(١٢٣) وقال الشيخ محمد الأمين الهَرَري الشافعي هداه الله تعالى للحق - آمين-: (فدُونَك شرحًا قد أشرقَت عليه من شُرُفاتِ هذا الجامع أضواءُ نورِه اللامع، وصَدَعَ خَطِيبُه على منبره السَّامي بالحُجَج القواطع القلوبَ والمسامع، أضاءَت بهجتُه فاختفَت منهُ الكواكبُ الطالعةُ قَبلَه). اهـ. الكوكب الوهّاج والرّوض البهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج(١/ ٢٣).

(١٢٤) وقال الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة كتابه الحافل: القاموس المحيط، ما نصه: (وإنِّي قد نَبغتُ في هذا الفنِّ قديمًا، وصَبغتُ بهِ أديمًا، ولَم أَزل في خِدمتِهِ مُستَدِيمًا،..... ولَـمَّا رأيتُ إقبَالَ النَّاسِ على صِحاح الجوهرِيِّ، وهُوَ جَدِيرٌ بذلِكَ، غَيرَ أنَّهُ فاتهُ نِصفُ اللُّغَةِ أو أكثر، إمَّا بإهمَالِ المادَّةِ، أو بتَركِ المعَانِي الغرِيبةِ النَّادَّة، أردتُ أن يَظهرَ لِلنَّاظِرِ بادئَ بَدءٍ، فَضلُ كِتابِي هذا عَليه، فَكتَبتُ بالحُمرَةِ المادَّة المُهمَلَةَ لديهِ، وفي سائرِ التَّراكيبِ تَتَّضِحُ المزِيَّةُ بالتَّوَجُّهِ إليهِ، ولم أَذكُر ذَلكَ إشاعةً لِلمفَاخِر، بل إذاعةً لقول الشاعر: كَمْ تَرَكَ الأوَّلُ لِلآخِرِ، وأنتَ أيُّها اليَلْمَعُ العَرُوف، والمَعْمَعُ اليَهفُوفُ، إذا تَأمَّلتَ صَنيعي هذا، وجدتهُ مُشتَمِلًا على فرائِدَ أَثيرة، وفوائد كثيرة: مِن حُسنِ الإختِصارِ، وتَقريب العِبارَة، وتهذيب الكلام، وإيرَاد المَعاني الكثيرة في الألفاظ اليَسيرَة،..... وكتَابي هذا بحَمد الله تعالى، صَرِيحُ أَلفَي مُصَنَّفٍ مِن الكُتُب الفَاخرة، وَسَنيحُ أَلفَيْ قَلَمَّسٍ من العَيَالِمِ الزَّاخِرة، والله أسألُ أن يُثيبني بهِ جميل الذِّكر في الدُّنيا، وجزيلَ الأَجرِ في الآخِرة). اهـ.

(١٢٥) وقال الحافظ عبد الغني المقدسي (ت٦٠٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يمدح بعض كتبه قائلًا: (وقد أفردنا لأحواله ﷺ مُختصرًا لا يَستغني طالب الحديث ولا غيره من المسلمين عن مثله). اهـ. من الكمال في أسماء الرجال (١/ ١١٦).

(١٢٦) وقال العلامة القاضي المالكي عِياض بن موسى اليحصبي (ت٥٤٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: بغية الرائد لـما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد ص ٤١، بعدما ذكر الأشياء التي تُسقط المروءة والعدالة، قال: (وهذه نُكتة بالغة في هذا الفصل، تغلغل القول بها، لعلَّك لا تجدها بهذا البيان في غير هذه الأوراق). اهـ.

(١٢٧) وقال محمد البلباني البعلي الحنبلي (ت١٠٨٣هـ)رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مدح كتابه: أخصر المختصرات، ما نصه: (لم أقِـف على أخصرَ منهُ جامعٍ لمسائِلهِ في فقهِنا من المؤلفات). اهـ.

(١٢٨) وقال العلامة القرافي المالكي (ت٦٨٤هـ)رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن كتابه: الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرّفات القاضي والإمام، ما نصه: (فمن شاء طالع ذلك الكتاب فهو حسَنٌ في بابه،..... وهو كتاب نفيس وجليل في هذا المعنى). اهـ.

(١٢٩) وقال اللغوي أبو منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: الكناية والتعريض، ما نصه: (هذا الكتاب خفيف الحجم، ثقيل الوزن، صغير الجرم، كبير الغنم، في الكنايات عما يُستهجن ذكره، ويُستقبح نشرُه، أو يُستحيا من تسميته، أو يتطير منه، أو يترفع ويُصان عنه، بألفاظ مقبولة تُؤدّي المعنى، وتُفصح عن المغزى). اهـ.

(١٣٠) وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: تهذيب التهذيب، ما نصه: (فلو لم يكن في هذا المختصر إلا الجمع بين هذين الكتابين الكبيرين، في حجم لطيف، لكان معنى مقصودا، هذا مع الزيادات التي لم تقع لهما، والعِلم مواهب، والله الموفق). اهـ.

(١٣١) وقال العلامة المناوي(ت١٠٣١هـ)رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه على الجامع الصغير المُسمى بالتيسير، ما نصه: (فدونك يا طالب الاختصار والاقتصار، شرحًا كأنه سبيكة نضار). اهـ.

(١٣٢) وهكذا في سلسلة تطول أختمها بما قاله العلامة شعبان بن محمد القُرشي الآثاري الشافعي (ت٨٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يمدح ألفيته في النحو الموسومة بـ: كِفاية الغُلام في إعراب الكلام، وهي مطبوعة بتحقيق: هلال بن ناجي، وزهير بن زاهد، ص ٢٥، والتي يقول فيها:

إلهي بعد العسر أنعمت باليُسْرِ ... وكرمتني في ساحة البيت والحجر
ووفقتني حتى نظمتُ كفايةً ... والهمتني فيها الصواب من الأمر
وانعمت في تهذيبها بسهولة ... فصارت من التنقيح انقى من الدُرِّ
وساغت شرابًا كالشفاء وكيف لا ... ومن زمزمٍ تُسقى دواتي على الخير
وطابت لأهل العِلم ذوقًاومنهجًا ... فسارت بها الركبان في البرِّ والبحر
فلا تعجبَن لي في حلاوة نظمها ... فناظمها شعبان سُكَّرُهُ مصري

والحمد لله رب العالمين

حرَّره طالب العلم

عبد الرحمن بن نايف بن مطر الأسلمي

عفا الله عنه

في مدينة حائل

١٢/ رجب/ ١٤٤٠هـ

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٢٣٥
- جواز مدح الإنسان عمله عند الحاجة لذلك	٢٣٥
- أكثر من ثلاثين ومائة نقل عن أهل العلم في هذا الباب	٢٣٩
- التشبُّه بالصالحين ممدوح ومندوب إليه	٢٤٠
- طلبة العلم والأجهزة الغبية!!!	٢٤٣
١) قال الإمام المبجل أحمد بن حنبل	٢٤٤
٢) قال الإمام مسلم بن الحجاج	٢٤٤
٣) قال أبو داود السجستاني	٢٤٤
٤) وقال أيضًا	٢٤٤
٥) قال عبد الله بن مسلم بن قتيبة	٢٤٤
٦) قال محمد بن إسحاق بن خزيمة	٢٤٥
٧) قال العلامة بن الأنباري	٢٤٥
٨) قال محمد بن أحمد الملطي الشافعي	٢٤٥
٩) قال القاضي التنوخي	٢٤٥
١٠) قال العلامة القحطاني	٢٤٥
١١) قال المعافى بن زكريا الـجـريري	٢٤٦
١٢) قال أحمد بن فارس الرازي	٢٤٦

الموضوع	الصفحة

١٣) قال الحافظ عثمان بن سعيد الدّاني ٢٤٦
١٤) قال السمَّعاني ٢٤٦
١٥) قال أبو إسحاق القيرواني ٢٤٧
١٦) قال الحافظ ابن ماكولا ٢٤٧
١٧) قال الحافظ الدّيلمي ٢٤٧
١٨) قال الزمخشري ٢٤٧
١٩) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ يمدح تفسيره الكشاف ٢٤٧
٢٠) قال أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الغرناطي ٢٤٨
٢١) قال ابن الجوزي ٢٤٨
٢٢) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة كتابه ٢٤٨
٢٣) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه ٢٤٨
٢٤) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الحدائق ٢٤٨
٢٥) قال ابن القطان الفاسيِّ ٢٤٨
٢٦) قال ابن الأثير ٢٤٨
٢٧) قال ابن دِحْية الكلبيِّ ٢٤٨
٢٨) قال ابن الصلاح ٢٤٩
٢٩) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه ٢٤٩
٣٠) قال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه ٢٤٩
٣١) قال عبد الرّزاق الرّسعني الحنبلي ٢٤٩

الموضوع	الصفحة

٣٢) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في خاتمة منظومته ٢٤٩
٣٣) وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مدح تفسيره ٢٤٩
٣٤) وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ يمدح نفسه وعِلمه ٢٥٠
٣٥) قال العلامة أبو شامة المقدسي ٢٥٠
٣٦) قال محمد بن عبد الله بن مالك الطائي ٢٥٠
٣٧) قال الحافظ النووي ٢٥٠
٣٨) قال محمد بن عبد القوي المرداوي ٢٥٠
٣٩) قال أحمد بن الزّبير الثقفي الغرناطي ٢٥١
٤٠) قال ابن جزيّ الكلبي ٢٥١
٤١) قال الذهبي ٢٥١
٤٢) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة تأريخه العظيم ٢٥١
٤٣) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة الكاشف ٢٥١
٤٤) قال العلامة المحقق ابن القيم ٢٥١
٤٥) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفصل السابع من الصواعق ٢٥١
٤٦) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وصف كتابه مفتاح دار السعادة ٢٥٢
٤٧) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه التبيان في أيمان القرآن ٢٥٢
٤٨) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه عدة الصابرين ٢٥٢
٤٩) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الوابل الصيِّب ٢٥٢
٥٠) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النونية يمدح صواعقه ٢٥٢

الموضوع	الصفحة
٥١) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه جلاء الأفهام	٢٥٢
٥٢) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة تهذيبه لِسُنن أبي داود	٢٥٢
٥٣) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: شفاء العليل	٢٥٣
٥٤) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: جلاء الأفهام	٢٥٣
٥٥) قال صلاح الدين العَلائي الشافعي	٢٥٣
٥٦) قال ابن كثير	٢٥٣
٥٧) قال يوسف بن محمد العبادي الحنبلي	٢٥٣
٥٨) قال محمد البَعليُ	٢٥٤
٥٩) قال الزركشي	٢٥٤
٦٠) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة كتابه: البرهان في علوم القرآن	٢٥٤
٦١) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: خبايا الزوايا	٢٥٤
٦٢) قال ابن الملّقن	٢٥٤
٦٣) وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الكبير:	٢٥٤
٦٤) قال محمد بن سليمان البكري المصري	٢٥٥
٦٥) قال ابن خلدون	٢٥٥
٦٦) قال محمد بن علي الموزعيّ اليمني الشافعي	٢٥٥
٦٧) قال محمد بن إبراهيم الوزير	٢٥٥
٦٨) قال البقاعي الشافعي	٢٥٥
٦٩) وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مدح كتابه الآخر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور	٢٥٥

الموضوع	الصفحة

٧٠) قال العلامة المرداوي الحنبلي ٢٥٦
٧١) قال محمد بن عبد الله الخيضري ٢٥٦
٧٢) قال محمد بن عبدالرحمن الأيجي الشافعي ٢٥٦
٧٣) قال السخاوي ٢٥٦
٧٤) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابِهِ: القول البديع ٢٥٦
٧٥) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الثناء على كتابه: فتح المغيث ٢٥٦
٧٦) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن كتابه: الجواهر المجموعة والنوادر المسموعة ٢٥٧
٧٧) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب: عمدة المحتج في حكم الشطرنج ٢٥٧
٧٨) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: السر المكتوم ٢٥٧
٧٩) قال العلامة السيوطي ٢٥٧
٨٠) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: الإتقان في علوم القرآن ٢٥٧
٨١) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موضع آخر ٢٥٧
٨٢) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موضع آخر أيضًا ٢٥٧
٨٣) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ٢٥٧
٨٤) وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ٢٥٨
٨٥) قال أحمد بن حجر الهيتمي ٢٥٨
٨٦) قال مرعي بن يوسف الكَرميَّ ٢٥٨
٨٧) وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: قلائد المرجان في الناسخ والمنسوخ من القرآن ... ٢٥٨
٨٨) وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: تلخيص أوصاف المصطفى ٢٥٨

الموضوع	الصفحة

٨٩) قال أبو بكر بن أحمد بن أبي القاسم الأهدل ٢٥٩
٩٠) قال نجم الدين الغزِّي ٢٥٩
٩١) قال عبد الله بن محمد الشّبْراوي ٢٥٩
٩٢) قال الأمير الصنعاني ٢٥٩
٩٣) قال السفاريني ٢٥٩
٩٤) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ شِعرًا في كتابه: بغية النساك في أحكام السواك ٢٦٠
٩٥) قال محمد مُرتضى بن محمد الزَّبيديُّ ٢٦٠
٩٦) وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ٢٦٠
٩٧) وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مدح رسالة ألَّفها ٢٦٠
٩٨) وله أرجوزة في الفقه تسمى (المنهج القويم) ٢٦٠
٩٩) قال محمد التاودي بن سودة المري المغربي ٢٦١
١٠٠) قال العلامة الشوكاني ٢٦١
١٠١) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: الفوائد المجموعة ٢٦١
١٠٢) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مدح كتابه: الدراري المضية ٢٦١
١٠٣) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة شرحه على كتابه الدُرر البهيّة في المسائل الفقهية المشهور بالدراري المضيّة ٢٦١
١٠٤) قال العلامة الألوسي ٢٦١
١٠٥) قال أبو الحسنات محمد اللكنوي ٢٦٢
١٠٦) قال صدِّيق بن حسن القنوجي ٢٦٢

الموضوع	الصفحة

١٠٧) قال أبو البركات نُعمان الألوسي البغدادي ٢٦٢
١٠٨) قال جمال الدين القاسمي ٢٦٢
١٠٩) قال الشيخ عبد الرحمن السعدي ٢٦٢
١١٠) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: تيسير الكريم الواحد في شرح عقد الفرائد ٢٦٣
١١١) وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: الإرشاد إلى معرفة الأحكام ٢٦٣
١١٢) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مدح كتابه: طريق الوصول إلى علم المأمول ٢٦٣
١١٣) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في خاتمة: طريق الوصول إلى علم المأمول ٢٦٣
١١٤) قال محمد عبد الحيَّ الكتَّاني المغربيِّ ٢٦٣
١١٥) قال الإمام العلامة الكبير الألباني ٢٦٣
١١٦) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وصف كتابه: حجاب المرأة المسلمة ٢٦٣
١١٧) وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يثني كثيرًا على بحوثه الفريدة ٢٦٤
١١٨) قال الفقيه الكبير محمد بن صالح العثيمين ٢٦٤
١١٩) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالته عن الحجاب: ٢٦٤
١٢٠) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالته عن حكم تارك الصلاة: ٢٦٤
١٢١) قال الشيخ محمد بن علي بن آدم الأتيوبي حفظه الله في شرحه الكبير على سُنن النسائي ٢٦٤
١٢٢) قال الشيخ المفيد العلامة زيد بن محمد بن هادي المدخلي ٢٦٤
١٢٣) قال الشيخ محمد الأمين الـهَرَري الشافعي هداه الله تعالى للحق - آميـن- ... ٢٦٥
١٢٤) قال الفيروزآبادي ٢٦٥

الموضوع	الصفحة

١٢٥) قال الحافظ عبد الغني المقدسي ٢٦٥
١٢٦) قال العلامة القاضي المالكي عِياض بن موسى اليحصبي ٢٦٦
١٢٧) قال محمد البلباني البعلي الحنبلي ٢٦٦
١٢٨) قال العلامة القرافي المالكي ٢٦٦
١٢٩) قال اللغوي أبو منصور الثعالبي ٢٦٦
١٣٠) قال الحافظ ابن حجر العسقلاني ٢٦٦
١٣١) قال العلامة المناوي ٢٦٦
١٣٢) وهكذا في سلسلة تطور أختمها بما قاله العلامة شعبان بن محمد القُرشي الآثاري الشافعي ٢٦٧

الفروق الواضحات

بين

طُلاب الجوامع والجامعات

صنعه

عبد الرحمن بن نايف بن مطر الأسلمي الشمري

عفا الله عنه

يسّر الله طباعته ونشره

آمين